



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
قسم الدراسات القرآنية والفقاه

الإعجاز التواصلي في القرآن الكريم (دراسة تأصيلية)

أطروحة مقدّمة إلى مجلس كُليّة العلوم الإسلاميّة / جامعة كربلاء، وهي جزء من
متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة الشريعة والعلوم الإسلاميّة

كُتبت من قبل الطالب

حسن فليح جبر الزيدي

بإشراف

الاستاذ الدكتور / حكمت عبيد الخفاجي

٢٠٢٥ م

١٤٤٦ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ

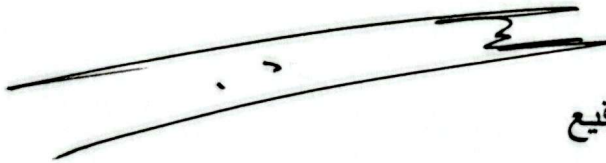
يَتَذَكَّرُونَ﴾

صدق الله العلي العظيم

القصص: ٥١

م/ ترشيح الأطروحة للطبع

نظرًا لإنجاز فصول ومباحث الأطروحة الموسومة بـ(الإعجاز التواصلي في القرآن الكريم - دراسة تأصيلية) لطالب الدكتوراه (حسن فليح جبر الزيدي) فإني أرشحها للطبع.



التوقيع

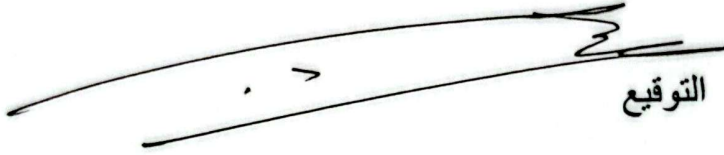
المشرف: أ. د. حكمت عبيد حسين الخفاجي

مكان العمل: جامعة بابل - كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: ٢٠٢٤ / ١١ / ٥

إقرار المشرف

أشهد أن الأطروحة الموسومة بـ(الإعجاز التواصلي في القرآن الكريم - دراسة تأصيلية-) التي قدّمها طالب الدكتوراه (حسن فليح جبر الزيدي) قد تم إعدادها تحت إشرافي في جامعة كربلاء - كلية العلوم الإسلامية، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة الشريعة والعلوم الإسلامية.


التوقيع

المشرف: أ.د. حكمت عبيد حسين الخفاجي

مكان العمل: جامعة بابل - كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: ٢٠٢٤ / ١٢ / ٢٤

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الأطروحة للمناقشة.


التوقيع

أ.م.د. عمار محمد حسين الأنصاري

رئيس قسم الدراسات القرآنية والفقاه

التاريخ: ٢٠٢٥ / ١ / ٧

شهادة الخبير اللغوي

اطلعت على رسالة الطالب/ه (الإعجاز التواحيدي في القرآن الكريم - دراسة تأهيلية -)
(الموسومة)
(وقومتها لغوياً وأجد أنهاصالحة للمناقشة .

التوقيع:

المرتبة العلمية: دكتور

الاسم: د. محمد بن عبد الله بن محمد

مكان العمل: كلية الشريعة الإسلامية

التاريخ:

٢٠١٤/٤/٢٥

إقرار لجنة مناقشة


نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها أننا اطلعنا على هذه الأطروحة الموسومة بـ (الإعجاز التواصلية في القرآن الكريم - دراسة تأصيلية-) وناقشنا الطالب (حسن فليح جبر سلطان) في محتواها وفيما له علاقة بها ونعتقد أنها جديرة بالقبول بتقدير (**امتياز**) لنيل شهادة الدكتوراه فلسفة في الشريعة والعلوم الإسلامية.



أ. د. فاضل مدب متعب

جامعة الكوفة / كلية الفقه

عضوًا



أ. د. حميد جاسم عبود

جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

رئيسًا



أ. م. د. ليلي سعد الله ناجي

جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

عضوًا

أ. د. دريد موسى داخل

جامعة بابل / كلية العلوم الإسلامية

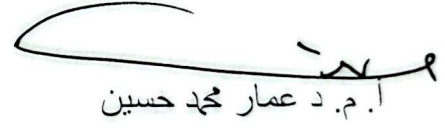
عضوًا



أ. د. حكمت عبيد الخفاجي

جامعة بابل / كلية العلوم الإسلامية

عضوًا ومشرفًا



أ. م. د. عمار محمد حسين

جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

عضوًا

صَدِّقَتْ فِي عَمَادَةِ كَلِيَّةِ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ / جَامِعَةِ كَرْبَلَاءِ

التوقيع:

الاسم: أ. د. محمد حسين عبود الطائي

العميد

التاريخ: ٦ / ٥ / ٢٠٢٥

الإهداء

إلى الصادق الأمين النبي محمد (ﷺ)، وأهل بيته الميامين (عليهم السلام)..... مودةً وولاءً

إلى من كان خُطْبَ جُمُعته النور الذي أضاء لي الطريق ... الشهيد السعيد محمد

محمد صادق الصدر (رحمته غفرانا)

إلى حماة الوطن، أبطال الحشد الشعبي وسرايا السلام ... إكراماً وإجلالاً

إلى روح الشهيد السعيد الذي افجعنا استشهاده وأنا في آخر أيام كتابه هذه الاطروحة

السيد القائد الشهيد حسن نصر الله (رحمته غفرانا) وأرواح شهدائنا جميعاً ألمًا وحنناً

إلى من من الله علينا ببركة دعائها، إمي الغالية ... برّاً وإحساناً

إلى روح والدي ... مغفرةً ودعاءً

إلى سندي، زوجتي العزيزة ... شكراً وعرفاناً

إلى من كانت أصواتهنّ بلسماً، بناتي: زهراء، وربى، وجنى، ورقية...حباً وافتخاراً



الشكر والعرفان

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير الأنام محمّد وآله الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

وبعد، أبدأ الشكر لله سبحانه وتعالى لتوفيقه إيّاي للدراسة في قسم الدراسات القرآنيّة والفقّه مرحلة الدكتوراه فيه، واعترافاً لمن هو متفضّل عليّ في أطروحتي أتقدّم بالشكر والامتنان للأستاذ الدكتور (حكمت عبيد الخفاجي) المشرف على هذه الأطروحة، حبّاً وعرفاناً لجهوده الخيرة، وقبوله الإشراف على هذه الأطروحة، الذي بعد الله له الفضل في تنقيحها وتذليل الصعاب فيها، والأهم من ذلك كله، هو التشجيع والحثّ على إتمامها، والشكر له لرعايته العلميّة لي؛ بتوجيهاته السديدة، وصبره الكبير، إذ عُرف بكرم الخلق، وغزارة العلم، فكان نعم المشرف والأب الحنون الذي وقف معي في الظروف الصعبة التي مرّرت بها، فكان بيته مفتوحاً، فضلاً عن قلبه الطيب، وقد كان له الأثر الكبير في إنارة الطريق لي بقبس من علمه، فجزاه الله عنّي وعن طلبة العلم أوفى الجزاء وأحسنه، والشكر لعمادة كلية العلوم الإسلاميّة، وللإدارة المعاونين، ورئاسة قسم الدراسات القرآنيّة والفقّه، وأساتذة القسم الذين أفاضوا عليّ بما يحملونه من العلم والمعرفة، ومد يد المساعدة والعون داعياً للجميع بالتوفيق.

والشكر إلى كلّ من مدّ يد العون، وساندني بكلمة، أو دعاء بظهر الغيب، أو نصح، أو تشجيع من الأخوة الأصدقاء والزملاء، داعياً للجميع بالتوفيق وحسن العاقبة، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الباحث



مُلخّص الأطروحة

القرآن الكريم كتاب الله والمعجزة الكبرى للنبي محمد (ﷺ)، ومن صور إعجاز القرآن الكريم التواصل هو تفاعل المتلقي مع القرآن الكريم، وهذا التفاعل قائم على الإقناع والإمتاع وتغيير المنظومة الفكرية للمتلقي وتغيير سلوكه، عن طريق استخدام القرآن الكريم الأسلوب الأمثل في إقناع وإمتاع المتلقي والتأثير فيه مع مراعاة حاله.

إنّ جذور الفكر التواصلّي يضرب في عمق التجربة الفكرية عند علماء المسلمين، ويشع في أغلب مدوناتهم النحوية والتفسيرية والبلاغية والاصولية، وللتواصل أسس ومرتكزات يقوم عليها.

والوقوف على هذا الوجه الإعجازي يكون بالتماس السبل الكفيلة وتتمثل في الأثر الذي أحدثه في المتلقي للقرآن الكريم كما في كسر أفق توقعه أو اندماج افقه، أو عن طريق الحذف السردي، أو عن طريق السيمياء، فكل ذلك يوقفنا على التواصل في القرآن الكريم، كما يمكن معرفة التواصل عن طريق قيم القرآن الكريم وما تخلقه من تواصل؛ إذ تتسم بأعجازها التواصلّي، فهي قائمة على أسس ثابتة لا تنفك عنها، فهي تقوم على البراهين المنطقية، فضلاً عن تأثيرها الوجداني، والغاية التي تنشدها، وهي تحرير عقل الإنسان وفكره بناءً على أسس فكرية متينة، لا تقوم على معرفة سابقة؛ بل تقوم على الإبداع والتميز؛ فلم تكن تلك القيم حاضرة في الفكر الإنساني قبل نزول القرآن الكريم، وبهذا نقف على الإعجاز التواصلّي في القرآن الكريم.

إنّ الخطاب القرآني مغاير، ومتفرد عن الخطابات الإبداعية الأخرى، عن طريق فرادته التواصلية غير المتناهية، ويتمحور ذلك حول الأسس المعرفية لنظرية التواصل، فالخطاب القرآني خطاب تواصلّي بامتياز.

المحتويات

أ	الآية القرآنية المباركة
ب	الإهداء
ت	شكر والامتنان
ث	ملخص الأطروحة
ج-خ	المحتويات
١	المقدمة
٨	التمهيد: مقاربات دلالية وتنظيرية لعنوان الأطروحة
٩	المبحث الأول: مقاربات دلالية وتحليلية في الإعجاز واطروحاته
٩	المطلب الأول: الإعجاز مفهوماً ومصطلحاً
١٧	المطلب الثاني: أشهر الاطروحات التي تناولت الإعجاز القرآن
٣٦	المبحث الثاني: التواصل مفهوماً ورؤية
٣٦	المطلب الأول: مفهوم التواصل، وبلورة المصطلح
٤٢	المطلب الثاني: لفظة التواصل في القرآن الكريم
٤٥	المطلب الثالث: تعريف الإعجاز التواصلية
٤٧	الفصل الأول: التواصل الجذور والأسس والمرتكزات
٤٨	المبحث الأول: التواصل في التراث العربي
٥١	المطلب الأول: ملامح التواصل عند النحويين
٥٤	المطلب الثاني: التواصل عند المفسرين
٥٧	المطلب الثالث: ملامح التواصل عند الأصوليين
٦٠	المطلب الرابع: التواصل عند علماء البلاغة
٦٣	المبحث الثاني: اسس التواصل
٦٣	المطلب الأول: نظريات التواصل
٦٥	المطلب الثاني: عناصر التواصل
٧٤	المطلب الثالث: وظائف التواصل

٨٨	المبحث الثالث: مرتكزات التواصل
٨٨	المطلب الأول: أنواع التواصل
٩٢	المطلب الثاني: شروط التواصل
٩٥	المطلب الثالث: عوامل نجاح التواصل
٩٨	الفصل الثاني: التواصل ونظريات تحليل الخطاب
٩٩	المبحث الأول: نظريات تحليل الخطاب المفاهيم والإجراء
١٠٠	المطلب الأول: الخطاب مفهومًا ومصطلحًا
١٠٤	المطلب الثاني: القرآن بوصفه خطابًا
١٠٧	المطلب الثالث: مفهوم تحليل الخطاب
١١٠	المطلب الرابع: الاتجاهات في دراسة اللغة
١١٣	المطلب الخامس: مقاربات تحليل الخطاب
١١٧	المبحث الثاني: التداولية بوصفها نسقًا تواصليًا
١١٧	المطلب الأول: التداولية مهاد نظري
١٢٤	المطلب الثاني: أفعال الكلام والتواصل
١٣٣	المطلب الثالث: تواصلية الاستلزام الحوارية
١٤٣	المبحث الثالث: سيمياء التواصل
١٤٣	المطلب الأول: السيمياء المفهوم والمصطلح
١٤٥	المطلب الثاني: التواصل السيميائي في القرآن الكريم
١٥٦	الفصل الثالث: خصائص المتلقي والخطاب
١٥٧	المبحث الأول: التواصل بين المتلقي والخطاب
١٥٩	المطلب الأول: التلقي والمتلقي الإطار المفهومي
١٦٥	المطلب الثاني: خصائص المتلقي والخطاب
١٦٧	المطلب الثالث: نظرية التلقي ورواها النقدية
١٧٢	المبحث الثاني: آيات القرآن الكريم وخلق التواصل
١٧٢	المطلب الأول: أفق التوقع والتواصل

١٧٨	المطلب الثاني: كسر أفق التوقع
١٨٨	المطلب الثالث: اندماج أفق التوقع
١٩٤	المطلب الرابع: الحذف السردي والتواصل
٢٠٩	الفصل الرابع: مفهوم التواصل في القيم القرآنية تنظيراً وتطبيقاً
٢١٣	المبحث الأول: مفهوم القيم وأنواعها
٢١٣	المطلب الأول: مفهوم القيم
٢١٨	المطلب الثاني: أنواع القيم
٢٢٤	المبحث الثاني: القيم الإنسانية
٢٢٤	المطلب الأول: القيم الوجدانية
٢٣٣	المطلب الثالث: القيم التاريخية
٢٤٠	المطلب الثالث: القيم السياسية
٢٤٦	المبحث الثالث: القيم الفلسفية، والشرعية
٢٤٦	المطلب الأول: القيم الوجدانية
٢٥٢	المطلب الثاني: القيم الشرعية
٢٦٨	الخاتمة
٢٧٢	المصادر
A-B	Abstract

المقدمة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله مُوصل عباده للنجاة، والصلاة والسلام على مُبلِّغ الرسالة السماوية إلى الناس كافة، رسول الله الكريم محمد (ﷺ)، وعلى آله الميامين مصابيح الهدى والعروة الوثقى (ﷺ).

وبعد

إنَّ القرآن الكريم ليس نصاً أدبياً حتى نستطيع تطبيق نظريات اللغة وأدوات تفكيك النص عليه والسبب في ذلك هو أن القرآن الكريم قد عبَّر عن نفسه في آيات عدة بأنه "كلام الله" ولم يعبَّر عن نفسه بأنه "نص" وإذا عبَّر عن نفسه بأنه كتاب فالمراد منه هو "ذلك الكتاب" أي القرآن هو تفصيل الكتاب وأن بعده ثابتاً وإلا فالقرآن هو القرآن وهذا هو الفرق بين كتاب الله المجيد وبين سائر النصوص والكتب، فعلى سبيل المثال أن هناك فرق بين أن تقول بأن القرآن هو نص أو هو كلام الله فالمعروف في النصوص بأن السياق حاكم بالنسبة للمعنى وبشكل أساسي بينما القرآن هو "مثنائي" ومعنى مثنائي قد تكون الآية أو جزء الآية في مكان ما ومعناها قد يتكامل مع آية في مكان آخر حينما يوضح ذلك مكان هذا يتضح المعنى وهذا هو معنى القرآن يصدق بعضه بعضاً، بينما هذا الأمر لا يمكن تطبيقه على النص الأدبي؛ بل يُعد هذا خروجاً عن قواعد قراءة النص الأدبي.

فمثلاً في قوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

(¹) فبحسب نظرية السياق أن معنى الآية مرتبط بالغنائم بينما الروايات الواردة عن المعصومين (ﷺ) فإنه مرتبط بالتشريع وهذا المعنى لا يمكن الوصول إليه من خلال أدوات قراءة النص ونظريات اللغة المعاصرة.

(1) سورة الحشر: الآية: ٧



أولاً: أهمية الدراسة: تكمن أهمية الأطروحة في الكشف عن عملية التواصل بين القرآن الكريم وملتقيه، وهذه العملية مهمة في النصّ الإبداعي، فهي قائمة على التفاعل بين النص وبين ملتقيه؛ إذ جاءت أطروحتي لتُنظر إلى القرآن الكريم بوصفه خطاباً يتجلى فيه الإعجاز التواصليّ الذي استطاع تحقيقه منذ نزوله وإلى يومنا هذا، فجاءت الأطروحة بعنوان (الإعجاز التواصليّ في القرآن الكريم - دراسة تأصيليّة)، فالهدف منها التّأصيل لوجه مستطرف في أبعاد دراسته.

ثانياً: سبب اختيار الدراسة: إنّ مجال اهتمامي في هذه الأطروحة يتساوق مع اهتمام الدراسات الخاصة بالإعجاز القرآني، فمحور هذه الدراسة هو التّأصيل للإعجاز التواصلي في القرآن الكريم، فهذه الدراسة تُظهر الآليات التي لجأ إليها القرآن لخلق التواصل مع ملتقيه، للوصول إلى بلوغ الهدف الأسمى الذي نزل القرآن الكريم لتحقيقه وإقناع المتلقي؛ فالقرآن خطاب موجه لترك الأثر في ملتقيه.

كما إنّ القرآن الكريم كتاب الله الخالد وغيض طري لا تنتهي عجائبه وهو ما يزال يمثل النصّ الإبداعي الأول في الفكر الإسلامي، ولما للقرآن من خصائص إنماز بها تجعله صالحاً لكل زمان ومكان، فلا ضير من تطبيق المناهج اللسانية والنصية التي تمثل مناهج حديثة في فهم النصّ القرآني، والتي لا تتعارض مع القواعد والأسس التي يجب إتباعها في التعامل مع القرآن الكريم، لهذا يمكن الاستفادة منها في كشف تفرده وإعجازه وسموه على باقي النصوص السماوية والبشرية، ومن هذا المنطلق أتت فكرة الأطروحة التي تطمح للوقف على وجه من وجوه الإعجاز القرآني، لتثبت بقاء الإعجاز خالداً في كل عصر، عن طريق بيان إعجازه التواصلي.



ثالثاً: مشكلة البحث: تعدد الإعجاز القرآني فمن الإعجاز اللغوي والأدبي والبياني والبلاغي والنظمي واللفظي والدلالي، وهناك الإعجاز العقدي والتعبدية والتشريعي والتاريخي والتربوي والنفسي والاقتصادي وهذه الدراسة تركزت على نوع جديد من الإعجاز وهو التواصلية فأراد البحث أن يبين مفهوم هذا الوجه وماهيته وأركانه وأساليبه وأهميته وتطبيقاته مع الأخذ بنظر الاعتبار أننا عندما ندرس القرآن الكريم ليس باعتباره نصاً أدبياً أو تاريخياً وإنما وحياً ألهياً وكلام الله لا يمكن إخضاع أدوات ونظريات اللسانيين واللغويين عليه؛ بل هو قرآن مجيد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وتنزيل من حكيم حميد، وتحاول هذا الدراسة عرض هذه النظريات وهل يمكن أسقاطها على القرآن الكريم أم لا؟ فهذه محورية الدراسة الأساسية.

رابعاً: فرضيات الدراسة: إنّ الإعجاز التواصلية يقوم على الاهتمام بنوعية العلاقة بين القرآن الكريم والمتلقي، وذلك عن طريق الإجابة عن هذه الأسئلة:

- ١- كيف تفاعل القارئ للقرآن الكريم معه؟
- ٢- هل كان ردّ فعله تجاه آيات القرآن الكريم وسوره؟ هل كانت عادية؛ لأنه يسير على أسلوب ونمط معروف، أو بالعكس أندش المتلقي بجدته وأصالته ومن ثمّ تفاعل معه، وبعد ذلك سار على الطريق الذي رسمه القرآن له.
- ٣- كيف قام التواصل بين القرآن الكريم ومتلقيه؟ وإلى أي مستوى ينتمي هذا التواصل؟ هل هو تواصل بمستوى عادي أم بمستوى مُعجز؟
- ٤- ما هي الآليات التي جاءت في القرآن الكريم لتكشف عن إعجازه التواصلية؟ إنّ الاجابة على هذه الأسئلة كفيلة بالوقوف على جوانب مهمة من الإعجاز التواصلية في القرآن الكريم.

خامساً: حدود الدراسة: إنّ موضوع دراستي في إعجاز القرآن الكريم؛ لأنه الحق الذي لا يأتيه الباطل، فقد كان وما يزال ماثراً للدراسة والعناية بهذا الجانب، لهذا كانت حدود هذه الدراسة محددة في تسليط الضوء على هذا الموضوع ودراسته، من جهة إعجازه التواصلية عن طريق التعريف به، وبيان آليات النص القرآني التي



إنماز بها وخلقت نواصل بينه وبين متلقيه، والوقوف على السبل التي يمكن عن طريقها بيان الإعجاز التواصلي وكشفه.

سادساً: **الدراسات المقاربة:** بعد البحث عن دراسات مقاربة لهذا الموضوع لم أجد في حدود اطلاعي إلا ثلاث دراسات: الأولى: كتاب بعنوان: **(التواصل في القرآن الكريم)**، للباحث إبراهيم حسن أبو حسنية، وبعد الاطلاع عليها لم أجد فيها شيء قريب من دراستي؛ لأنّ هذا الدراسة درست أنواع العلاقات بين المخلوقات وكيفياتها أو بين الله والمخلوقات وهو أقرب ما يكون للمحاوره بين الله ومخلوقاته وبين المخلوقات بعضها مع بعض، مثل نقل الثقافة من مجموعة إلى مجموعة يعده تواصل، وبين المخلوقات وذاتها^(١) ويمثل له بقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢)، ومن التواصل عنده بين الله والملائكة، والله وآدم^(٣)، ما جاء في قوله

تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٦﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجْرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾^(٤)، والدراسة

الثانية: كتاب بعنوان **(الآيات القرآنية وأبعادها التواصلية)**، للباحث مسعدة مرسلي، يدرس هذا الكتاب الآيات الكونية وما تحمله من دلالات، ويقصد الباحث من ذلك إنّ الآيات الكونية تحمل دلالات على عظمة الله ووحدانيته، فباحث يعد هذه الآيات رسائل كونية بين المرسل والمتلقي، فيعد الآيات هي رسائل يعرف بها مرسلها^(٥)،

ومن أمثله ذلك قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ

(١) ينظر: التواصل في القرآن الكريم، إبراهيم حسن: ١١٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٤.

(٣) ينظر: التواصل في القرآن الكريم، إبراهيم حسن: ١٦٣.

(٤) سورة البقرة: الآيات ٣٤-٣٥.

(٥) ينظر: الآيات القرآنية وأبعادها التواصلية، مسعدة مرسلي: ٢٣-٢٨.



النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾^(١)، والدراسة الثالثة: (التواصل الاجتماعي أنواعه- ضوابطه- آثاره- ومعوقاته "دراسة قرآنية موضوعية")، للباحث ماجد رجب العبد سكر، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، وجميع ما جاء في تلك الدراسات لم أقف عليه في دراستي من حيث معالجة الموضوع، والتبويب والتقسيم، وغير ذلك.

سادساً: **منهج الدراسة:** اقتضى طبيعة عرض المادة العلمية في هذه الأطروحة أن يتبع الباحث المنهج الوصفي والتحليلي، فالمنهج الوصفي استعرضت فيه آراء العلماء الخاصة بالموضوع، من التعريف بالمفاهيم وغير ذلك، فيما كانت الحاجة للمنهج التحليلي لتحليل المادة العلمية التي كُتبت بشأن نظريات تحليل الخطاب ونظرية التلقي وربطها بالإعجاز التواصلية في القرآن الكريم، فتحليل ذلك يوصلنا إلى الإعجاز التواصلية، وفي عرض وتحليل القيم القرآنية التي تخلق التواصل واستخراج الأثر الناتج عنه، تحليل قائم على أساس شرح المعلومات والاستنباط منها.

سابعاً: **خطة الدراسة:** اقتضت طبيعة الدراسة أن تُنظَّم بتمهيد تلاه أربعة فصولٍ وخاتمةٍ، بعدها مصادر الأطروحة، فكانت الخطة على النحو الآتي:

التمهيد: مقارنة دلالية وتنظيرية للإعجاز والتواصل وركائزهما، وقسمته على **مبحثين:**

المبحث الأول: مقاربات دلالية وتحليلية في الإعجاز واطروحاته

المبحث الثاني: التواصل مفهومًا ورؤيةً

الفصل الأول: التواصل الجذور والأسس والمرتكزات، وقسمته على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التواصل في التراث العربي

المبحث الثاني: أسس التواصل

المبحث الثالث: مرتكزات التواصل

(١) سورة غافر: الآية ٥٧



الفصل الثاني: التواصل ونظريات تحليل الخطاب، وقسمته على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نظريات تحليل الخطاب المفاهيم والإجراء

المبحث الثاني: التداولية بوصفها نسقاً تواصلياً

المبحث الثالث: سيمياء التواصل

الفصل الثالث: خصائص المتلقي والخطاب، وقسمته على مبحثين:

المبحث الأول: التواصل بين المتلقي والخطاب

المبحث الثاني: آليات النص القرآني وخلق التواصل

الفصل الرابع: القيم القرآنية وإعجازها التواصلي، وقسمته على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بمفهوم القيم وأنواعها.

المبحث الثاني: القيم الإنسانية.

المبحث الثالث: القيم الفلسفية، والشرعية.

الخاتمة: أوجزت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الأطروحة.

سار البحث مستنيراً بكثير من الدراسات الحديثة التي تُنظَر للتواصل،

ولنظرية التلقي ونظريات تحليل الخطاب، والدراسات اللغوية، وكتب علوم القرآن،

والتفسير، والرسائل والأطاريح العلمية، والبحوث العلمية التي كُتبت في هذا المجال.

وفي رحلتي هذه التي أردت منها خدمة كاتب الله (القرآن الكريم) أتمنى أن

أكون قد وجدت فيها أجوبة للأسئلة التي تدور في ذهني، وإن كان ما توصلت إليه

صواباً مرضياً عند الله؛ فإنه الغاية التي أرتجيتها، وإن كان غير ذلك فأقول: حسبني

أني طالب علم أخطئ وأصيب، وأن هذا مبلغ جهدي في هذه الأطروحة، مع

اعترافي بأنني قصير الباع، وأسأل الله جلّ وعزّ أن يرزقني السداد في القول

والعمل، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلّى اللهم على الحبيب المصطفى محمّد وعلى آله

الطاهرين وصحبه المنتجبين وسلم تسليماً كثيراً.

التمهيد

مقاربة دلالية وتنظيرية للإعجاز والتواصل وركائزهما

المبحث الأول: مقاربات دلالية وتحليلية في الإعجاز
وأطروحاته.

المبحث الثاني: التواصل مفهوماً ورؤيةً.



المبحث الأول

مقاربات دلالية وتحليلية في الإعجاز واطروحاته

المطلب الأول: الإعجاز مفهوماً ومصطلحاً

توطئة:

قبل الحديث عن حقيقة الإعجاز التواصلية في القرآن الكريم، أرى من اللازم التعريف بالإعجاز، وعرض أبرز أطروحات الإعجاز القرآني، ومناقشتها والوقوف على بعض جدلياته؛ لأن الإعجاز القرآني من القضايا العقدية التي شغلت الفكر الإسلامي، بل الإنساني بصورة عامة، فلا يكاد عصر من العصور إلا سطر العلماء والمفكرون مدونات تتحدث عن هذه القضية أو الظاهرة العجيبة التي لم تحدث لأي خطاب أو نص قبل القرآن أو بعده، يأتي الاهتمام بالإعجاز القرآني لما يترتب عليه من إيمان بالدين الإسلامي؛ فإعجاز القرآن الكريم هو المدخل لذلك.

إنّ هذه المفردة العقدية تحتل مكانة متميزة في مباحث علم الكلام وعلوم القرآن الكريم بشكل عام، وتجدر الإشارة إلى أنّ مصطلح الإعجاز لم يكن متداولاً في عصر التنزيل، فقد كانت تستعمل مفردة (آية) مكان معجزة، ولم يستعمل القرآن الكريم لفظ الإعجاز للدلالة على ما ذهب إليه العلماء، لأن القرآن طلب من الأنس والجن أن يأتوا بمثل القرآن الكريم أو بسورة من مثله لكن عدم قدرتهم على ذلك يعني عجزهم، لهذا اصطلح على هذا التحدي مصطلح الإعجاز، ويبدو أنّ أول استعمال لمصطلح (الإعجاز) كان في القرن الثالث الهجري؛ إذ أستعمله محمد بن يزيد الواسطي (ت ٣٠٦هـ)، في كتابه (إعجاز القرآن)^(١)، والحقيقة أنّ القرن الثالث الهجري يُعد القرن الذي استقلت به أغلب العلوم الخاصة بالقرآن الكريم ومنها إعجاز القرآن، بعد أن كانت موجودة على شكل مباحث وآراء مبنوثة في طيات المدونات العلمية.

(١) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الراجعي: ١٥٢

ومن الآيات القرآنية التي جاءت فيها لفظ (الآية) للدلالة على المعجزة قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ شَبَّهْتُمْ قُلُوبَهُمْ وَقَدَّ بَيْنَنَا وَالْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُؤْفِكُونَ﴾^(١).

كما جاءت في القرآن الكريم لفظة (البينة) للدلالة على المعجزة قال تعالى: ﴿وَلِإِنْ تُمُودَ آخَاهُمْ صَلِيحًا قَالَ يَنْفَعُونَ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ آلِيمٍ﴾^(٢).

وأما دلالة لفظ (عَجَزَ) فقد جاء في آيات قرآنية يدل على إظهار الضعف وعدم القدرة في الوصول إلى الأمر وهو يتساقق مع الدلالة اللغوية كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾^(٣)، ذهب المفسرون إلى تفسير الآية يقصد منه الذين بذلوا كل جهدهم وقدرتهم لإبطال حجج الله وبذل الجهد في أمر آيات الله لإبطالها وإطفاء نورها، والمعاجزة المبالغة في الإعجاز، فكان سعيهم لحجب الآيات عن الناس، ولتعجيزها، وإعجاز الناس عن الوصول إليها^(٤).

أولاً: مفهوم الإعجاز: الدلالة اللغوية لمفهوم الإعجاز في المعجم العربي تدل على الضعف وعدم القدرة؛ أي الضعف عن القيام بأمر ما، أو عدم القدرة على القيام بعمل ما، ولفظ الإعجاز مشتق من الجذر (عجز) وللمشتقات هذا الجذر معانٍ عدة وهي:

١. العَجَزُ: وهو التأخر عن الأمر أو الشيء، وهو ضدّ القدرة، وسميت العجوز عجوزاً لعجزها، أي لضعفها وعدم قدرتها على كثير من الأمور.

(١) سورة البقرة: الآية ١١٨

(٢) سورة الأعراف: الآية ٧٣

(٣) سورة سبأ: الآية ٣٨

(٤) ينظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، الحلبي: ٢/٢٠٠، والميزان، الطباطبائي: ٤/٢٠٨، محاسن

التأويل، القاسمي: ٨/١٥٢.



٢. المعجزة: وهي للأمر الذي يُعجز عن الإتيان بمثله، والتاء فيها ليست للتأنيث؛ بل للمبالغة، وجمعها معجزات.

٣. المُعجز: اسم فاعل من (الإعجاز)، ويدل على الإجهاد والإتعب وإحداث المشقة.

٤. التعجيز: التثبيط، والنسبة إلى العجز^(١).

٥. الإعجاز: وهو السبق والفوت، قال الخليل (ت ١٧٠هـ): "أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه، والعجز نقيض الحزم وعَجَزَ يَعْجِزُ عَجْزاً فهو عاجزٌ ضعيفٌ قَالَ الْأَعْشَى: (فذاك ولم يُعْجِزْ من الموتِ رَبَّهُ...)، وعاجز فلانٌ: حين ذهب فلم يُفْذَرْ عليه"^(٢).

ومن قول الخليل يتبين ملمح دلاليّ في معنى العجز وهو أنّ العجز يكون عند عدم القيام بأمر ما، وكذلك عدم طلبه، إنّ من صفة الأمر المعجز، أن يلزم التسلّط والحكومة والتفوق والتأثير، وبهذا يكون مفهوم العجز هو: عدم إدراك الشيء أو عدم الوصول إليه، وذلك بسبب عدم القدرة، وهو ما ذهب إليه حسن المصطفوي (ت ١٤٢٦هـ)؛ إذ يرى أنّ العجز يدل على عدم القدرة، ويتحقق بانتفاء القدرة على عدم القيام بأمر معين^(٣)، وبهذا يكون العجز أمر عدمي، وأمّا مفهوم الضّعف؛ فهو في قبال القوة.

(١) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهرى: (عجز)، ١/ ٢١٩-٢٢٠.

(٢) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: (عجز)، ١/ ٢١٥.

(٣) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن: (عجز)، ٨/ ٤٣.

ثانياً: الإعجاز في الاصطلاح:

قبل تعريف الإعجاز يجب علينا تعريف المعجزة لتعلق الإعجاز بها.

تعرف المعجزة: بأنها "أمر خارق للعادة داع إلى الخير والسعادة مقرون بدعوى النبوة قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله"^(١)، من تعريف المعجزة نستشف أن المعجزة أمر تواصلية غير لغوي يؤيد به الله الرسل دعماً للتواصل اللغوي في دعوى أقوالهم إلى الله (ﷻ) إلا معجزة رسول الله (ﷺ) فهي الأمر الخارق الذي أوتي به، وهي الدعوة اللغوية والعقلية^(٢).

وُعرفت كذلك بأنها أمر "خارقاً للعادة، ومطابقاً لدعوى الرسول ومتعلقاً بها، وأن يكون متعذراً في جنسه، أو صفته المخصوصة على الخلق، ويكون من فعله الله تعالى أو جارياً مجرى فعله تعالى، وإذا وقع موقع التصديق فلا بد من دلالاته على المُصدّق وإلا كان قبيحاً وقد دلّ الله تعالى على صدق رسوله محمد (ﷺ) بالقرآن؛ لأن ظهوره من جهته معلوم ضرورة، وتحديه العرب، والعجم معلوم ضرورة، وارتفاع معارضته أيضاً بقريب من الضرورة أيضاً؛ فإن ذلك التعذر بأدنى نظر؛ لأنه لولا التعذر لعورض"^(٣)، وهذا الرأي ينظر إلى الهدف من المعجزة وهو تأييد المرسل من قبل الله، فقد تكون غير حسية وهذا ما تمثلت به جميع المعجزات السابقة للقرآن الكريم، لكن القرآن معجزة عقلية تقوم على اللغة، أراد لها الله الاستمرار والدوام وتخطي الزمان والمكان لتصل إلى البشر كلهم، فضلاً عن نقلها خبر المعجزات السابقة لها، لذلك يمكن القول إن القرآن الكريم يختلف عن المعجزات السابقة في خصوصية وهي التواصل اللغوي الذي لم يكن في أي معجزة سابقة له.

(١) التعريفات، الجرجاني: ٢٨٢، وينظر: النافع يوم الحشر في شرح باب الحادي عشر، المقداد السيوري: ٩٠

والبيان في تفسير القرآن، الخوئي: ٣٣

(٢) ينظر: الآيات القرآنية وأبعادها التواصلية، مسعدة مرسلتي: ١٠٧

(٣) جمل العلم، الشريف المرتضى: ٤٠

وعرفت المعجزة بأنها "أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة وهي إما حسيّة وإما عقليّة....وقيل المعنى أنّ المعجزات الواضحة الماضية كانت حسيّة تُشاهد بالأبصار كناقاة صالح وعصا موسى ومُعجزة القرآن تُشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه لأجلها أكثر لأنّ الذي يُشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مُشاهده والذي يُشاهد بعين العقل باقٍ يُشاهده كلُّ من جاء بعد الأوّل مُستمرّاً"^(١)، ويجب أن ترتبط المعجزة بالله تعالى؛ إذ "هي من فعل الله سبحانه أولاً: ولا تتم إلاّ بأمره وإرادته، وهي، ثانياً: معجزة لمعرفة أحقية النبي والاهتداء به"^(٢)، وهذا التعريف يسقط منه مفهوم التحدي، وهذا ما يراه بعض الباحثين؛ إذ يذهبوا إلى أنّ التحدي ليس شرطاً في المعجزة؛ لأنّ هناك معجزات لم تقترن بالتحدي، التي يراها أتباع الرسل المصدقون بهم، فلماذا يتحداهم وهم مؤمنون ومصدقون؟ ومن تلك المعجزات المائدة التي أنزلها الله لعيسى (ﷺ) والحواريين^(٣)، لهذا يمكن أن لا يرافق المعجزة التحدي لقوم ما؛ بل هي دليل مادي وحسي لإيضاح عظم الرسالة التي جاء بها ذلك الرسول (ﷺ) ومدى تأثيرها على الطبيعة والإنسان معا وتكون المعجزة دليلاً كاشفاً على صدق المدعي للنبوة، وهناك من يرى أنّ شرط التحدي لازم؛ لأنّه لن يكون هناك معجزة إلا إذا ثبت وجود طرف عاجز رغم التحدي الواقع عليه^(٤).

والذي يبدو للباحث أنّ شرط التحدي لازم في كل المعجزات الموجة للخصم، في حين يكون التحدي غير لازم؛ إذا كانت المعجزة موجة للمصدقين أو المؤمنين بالله ورسوله، وبهذا لا يكون الهدف منها التحدي، بل يراد منه زيادة اليقين والإيمان.

(١) الإيتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي: ٤/٣-٤، وينظر: مناهل العرفان، الزرقاني: ٦٣/١، وكبرى

اليقينيّات الكونية، البوطي: ٢١٤.

(٢) الأمثل، مكارم الشيرازي: ٦/٣٢٧.

(٣) ينظر: البيان في إعجاز القرآن، صلاح الخالدي: ٢٤.

(٤) ينظر: أساليب التعبير عن الخسران في القرآن الكريم، زينب عبد الأمير: ٤.

ويُعرف الإعجاز: بأنه "هو المرتبة التي يعجز البشر عن الإتيان بمثلها ولا تدخل على قدرته قطعاً، ومعنى إعجاز آيات الكتاب المجيد بأسرها هو كونها ممّا تنقاصر القوى البشرية عن الإتيان بمثله"^(١)، وقيل في تعريف الإعجاز "هي التفرد بالشيء في محور إلهي على يد الأنبياء بين يدي رسالاتهم على سبيل التحدي، فالسبب إلى الاكتشاف كيفية مشتركة بين فرد أو جماعات على نحو الابتكار، لا على سبيل التحدي، والمعجزة مختصة بالنبي على سبيله، فالمبتكر - إذن - يحقق سبقاً علمياً، والمتحدي يحقق إعجازاً إلهياً، وفرق بين الأمرين"^(٢)، وفي هذا التعريف تحدد لمفهوم الإعجاز فيكون له ضابطان^(٣):

الأول: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة الوصول إلى المعجزة ومزاوتها على شدة الإنسان واتصال عنايته.

الثاني: استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه، فكأن العالم كله في العجز إنسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت؛ إذ نجد القدرة البشرية عاجزة عن الإتيان بمثل القرآن الكريم منذ نزوله وإلى يومنا هذا على الرغم من كل المحاولات التي طلبت ذلك.

وعُرف الإعجاز أيضاً بأنه الأمر الذي "يعجز الإنسان عن الإتيان بمثل هذا الأمر الذي لا يستطيع الناس الإتيان بمثله، فهو أمر خارق للعادة يعجز الناس عن الإتيان بمثله في كل العصور"^(٤)، ويرى الرازي أنّ معنى الإعجاز المنع من تحصيل المراد^(٥).

وبهذا يكون الإعجاز خاص بعجز الإنسان من جهة عجزه عن الإتيان بالأمر الخارق للعادة، والمعجزة هي نفسها الأمر الخارق للعادة، فهي تتعلق الأمر المعجز ذاته مثل ناقه صالح وعصى موسى فهي أمر خارق أما الإعجاز فهو عدم القدرة

(١) المنار، محمد رشيد بن علي رضا: ٧٧ / ١٢

(٢) نظرات معاصرة في القرآن الكريم، محمد حسين علي الصغير: ١١

(٣) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الراجعي: الراجعي: ٩٨

(٤) كيف نتعامل مع القرآن، محمد الغزالي: ١٤٨.

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي: ١٧ / ٣٣٥

على الاتيان بهذا الامر من قبل البشر، والمعجزة تنتهي بانتهائها وقتها، أما الإعجاز باقي مادام البشر غير قادرين عن الاتيان بهذا الامر؛ فأين معجزة النبي موسى إنها غير موجودة، إما من ناحية الاعجاز فهي باقية لعدم قدرة البشر على الاتيان بمثلها، لكن هذا لا ينطبق على القرآن فهو باقي من جهة كونه معجزة ومن جهة إعجازه، ولهذا يرى جمهور العلماء والباحثين الإعجاز القرآني "أن القرآن قد سما في علوه إلى شأو بعيد بحيث تعجز القدرة البشرية عن الإتيان بمثله، سواء كان هذا العلو في بلاغته أو تشريعه أو معيّناته أو غير ذلك"^(١).

ويظهر ممّا تقدم أنّ المعجزة مصطلح ينطبق على أي أمر يكون خارج القدرة الإنسانية مهما تنامت هذه القدرة فهي لا تصل إلى الإتيان بذلك الأمر (المعجزة)، وتقسم المعجزة على أقسام عدّة منها المعجزة ذات المدة الزمنية المحددة، أي ظهورها في زمن معين، ولا يعني القدرة على الإتيان بها في غير زمانها؛ بل يبقى خرقها للعادة قائم، غاية الأمر أن هذه المعجزة انتقت الحاجة إلى سببها، لذلك نجد المعجزات التي جاءت على أيدي الأنبياء السابقين للنبي محمد (ﷺ) لا يقدر عليها أحد من البشر؛ فهل يمكن للبشر أن يأتوا بمعجزة كناقاة نبي الله صالح (عليه السلام)، أو غيرها، والقسم الآخر معجزة غير محدودة الزمان مثل معجزة القرآن الكريم، فهي تمتاز بتعاليتها على الزمان، ونقصد من ذلك أن خصائص هذه المعجزة ماثلة أمام الحس والعقل البشري في كل زمان، وممكن الوقوف على تلك المعجزة بالتأمل والتفكير ليعلم الفرد أن القرآن الكريم كلام الله وليس كلام البشر، وإنّ البشر كل البشر عاجزين عن الإتيان بمثله على الرغم من التحدي ووجود الحاجة لإبطاله، فلم نجد عصر من العصور يخلو من مجموعة من الناس تحاول تحدي القرآن الكريم لكن هذا التحدي ينتهي بعجزهم عن ذلك؛ إذ أن إعجاز القرآن الكريم مستمر ومتجاوز الزمان والمكان.

(١) عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم: حسن عبد الفتاح أحمد: ١١

ويظهر للباحث أيضاً أنه يمكن التفريق بين المعجزة والمعجز والإعجاز؛ فالإعجاز لا يكون إلا بعد المحاولة للوصول إلى مرتبة المعجزة؛ بينما المعجزة أمر خارق للعادة، في حين المعجز أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي، والأعجاز هو تلك المرتبة التي يدرك بها الخصم نقصه وعدم قدرته للوصول إلى مقام المعجزة؛ أي الإتيان بمثلها أو بما هو أعلى منها.

والأمر المُعجز بحسب ما تقدم له مقومات هي باختصار: خرق للعادة التي تعارف عليها الناس، ومصدره قوة إلهية قادرة وقاهرة ومتحكمة في القوانين الحاكمة للطبيعة، والكون وقوانينه، الغاية من ذلك إثبات الاتصال بتلك القوة الإلهية، ودليل صدق على هذا الاتصال، ويثبت مفارقة ذلك الأمر لما عرفه البشر عن تحدي من ينكر ذلك الاتصال، بأن يأتي بمثل ما جاء به ليبطل دعوته.

ومما ذكر يتبين للباحث أنّ للأمر المعجز جنبتين:

الأولى: تصديقية وهي دليل اتصال الرسول مع الله وبهذا تكون الدليل على صدق دعواه والسبب في الإيمان بما جاء به من رسالة.

الثانية: تقريرية وهي تكذيب المعاندين والمعارضين والمكذبين لمُمثل النبوة الإلهية، وهذا الوصف شامل لجميع المعجزات التي جرت على أيدي الرسل والأنبياء (ﷺ)، فقد جاء الأنبياء (ﷺ) بمعجز خرقَت العادة والقوانين التي تحكم عالم المادة والطبيعة، ومن تلك المعجزات معجزة النبي محمد (ﷺ) القرآن الكريم، ولم يؤمن بها كثير من الناس، وهناك فرقاً بين معجز الأنبياء السابقين للنبي محمد (ﷺ) والقرآن الكريم يتمثل في أمور منها:

الأول: جميع المعجزات التي جاءت على أيدي الأنبياء السابقين (ﷺ) هي معجزات وقتية تخصّ من بعث فيهم النبي، بينما القرآن الكريم لا يخصّ زماناً دون زمان ولا مكاناً دون مكان، فهو يتعدى الحدود الزمكانية.

الثاني: وجوه الإعجاز متعددة في القرآن ومنحصرة في المعجز الأخرى.

الثالث: القرآن الكريم معجزة عقلية، ومعجز الأنبياء (ﷺ) وحسية.

المطلب الثاني: أشهر أطروحات الإعجاز القرآني

توطئة:

نعرض هنا أبرز وأشهر الأطروحات التي قيلت في إعجاز القرآن الكريم ، ويقصد من الأطروحة هنا: "فكرة محتملة، تعرض -عادة- فيما يتّعدّر البتّ فيه من المطالب، ويحاول صاحبها أن يجمع حولها أكبر مقدارٍ ممكن من القرائن والدلائل على صحتّها؛ لكي يبرّج بالتدرّج على أنّها الجواب الصحيح"^(١)، والأطروحة بهذا المعنى، هي ما يمكن للفرد تكثير القرائن على صحتها وتجميع الدلائل على رجحانها، وإلّا لم تكن أطروحة؛ بل احتمالاً^(٢)، وتعددت الأطروحات حول الإعجاز القرآني منها ما تحدث عن إعجاز الصياغة والبناء؛ إذ يدور هذا الإعجاز حول النظم والبيان القرآني أي "يكمن في صميم النسق القرآني ذاته"^(٣)، ومنها ما يدور حول مضامين القرآن الكريم، فيما ترى أطروحة أخرى إنّ الإعجاز قوة من خارج البناء والشكل والمضمون القرآني، هي تلك الأطروحة القائلة بالتدخل الإلهي القاهر للبشر وغيرهم في سلبهم القدرة لمعارضة القرآن، وأشهر الأطروحات التي ذكرت في إعجاز القرآن الكريم هي:

الأطروحة الأولى: الإعجاز البلاغي؛ أي بلاغة القرآن؛ إذ يرى الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ): "أن إعجازه من جهة (البلاغة) وذهب إليه عامة أهل هذه المقالة، وقد جروا في تسليم هذه الصفة للقرآن على نوع من التقليد، وضرب من غلبة الظن، دون التحقيق له، وإحاطة العلم به"^(٤)، ورأي الباقلاني هذا يثبت أطروحة الإعجاز البلاغي، وفي الوقت نفسه يثبت عدم وجود دراسات تقرر هذا الوجه، وبناءً على هذا الرأي، يمكن عدّ الإعجاز البلاغي أشهر أطروحات الإعجاز القرآني.

(١) منة المنان: محمد الصدر: ٣٧/١

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٨/١

(٣) البيان في إعجاز القرآن، صلاح الخالدي: ١١٨

(٤) إعجاز القرآن، الباقلاني: ١٤.

ولا تخلو هذه الأطروحة من بعض الإشكالات؛ إذ يمكن أن يُرد عليها بجملة من النقاط:

أولاً: إنَّ معيار بلاغة الكلام نسبية إلى غيره؛ أي إنَّ الكلام بليغاً قياساً بغيره، فإن قسنا القرآن الكريم بغيره من الكلام هناك نسبية في البلاغة؛ فالقرآن هو أعلى نص عربي في البلاغة، بحسب رأي من يؤمن به، وهذا لا يمنع إنَّ يكون هناك نص أبلغ منه ولو احتمالاً.

ثانياً: إنَّ المعجزة يترتب عليها موقفان الأول: هو الإيمان بالدين الذي يدعو إليه صاحب المعجزة، والثاني: معارضة ذلك الدين، وكلا الموقفين يحتاج مستوى من الإعجاز يكون واضحاً لجميع من قصد هذا الدين على مستوى الفرد والجماعة، وهذا ما أثبتته البحث التاريخي، في إنَّ الجماعات البشرية تنقسم تجاه المعجزة على مؤمن بها ومعارض لها، فإذا كانت بلاغة القرآن ترتقي لجعل الفئة المؤمنة بالمستوى الذي تخوض فيه تلك الفئة غمار المصاعب من أجل ذلك الدين، وإما الفئة المعارضة فمن الممكن أن تترك معارضة هذا الوجه ليس للعجز عن رده، وإنما الشعور بعدم أهمية هذا الوجه من الناحية الإعجازية.

ثالثاً: استدل العلماء بقوله تعالى: ﴿وَأَمْ يَقُولُونَ أَفَنُفِثَ بِهِمْ قَوْلَ مَفْرُوقٍ قَدْ فَتَنَّا قُلُوبَهُمْ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ﴾ (١)، فقد ذهبوا إلى أن الله تحدى بالبلاغة، وهذا التحدي جاء؛ لأن العرب بلغت مستوى من البلاغة لم تصل له أمة من الأمم السابقة لها والتي تأتي بعدها (٢)، والذي يؤخذ على هذا الرأي:

١- إنَّ المفهوم من الآية لا يتعين مصداقه بوجه محدد؛ أي خصوص الإعجاز بالبلاغة.

(١) سورة هود: الآيات ١٣

(٢) ينظر: الميزان، الطباطبائي: ٣٦/١، وعناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، حسن عبد الفتاح أحمد: ٥٥.

٢- إن العلامة الطباطبائي (ت ١٣٢١هـ) قد فهم من الآية إن الخطاب موجه إلى أهل مكة والتحدي مع مالهم من الشأن في البلاغة^(١) وهذا القصر على العرب وإن كان لهم ذلك الشأن غير مقبول؛ لأن القول بأن القرآن من افتراء النبي محمد (ﷺ)، لم يقتصر على العرب، ولا على زمانهم؛ بل هو قول من ينكر مصدرية القرآن ويعده من محمد (ﷺ)، هذا من جانب ومن جانب آخر أن العرب وإن كانوا بحسب قول العلماء المسلمين إنهم قد وصلوا إلى مستوى من البلاغة والفصاحة لا يصل إليها أحد.

وهذا الكلام لا يقبل على إطلاقه؛ لأن مستوى البلاغة والفصاحة لكل لغة يقاس على نفس اللغة لا على غيرها هذا من جانب ومن جانب آخر إن الشواهد التاريخية تثبت تفوق العرب في مجال البلاغة والفصاحة عند نزول القرآن، لكن هذا لا يعني أن تكون الفصاحة والبلاغة هي الأمر الذي ينحصر به إعجاز القرآن الكريم؛ فمن الواضح أن القرآن لم يكن معجزة في مجال ومساحة اللغة العربية فقط؛ بل هو معجزة في مجال ومساحة جميع اللغات البشرية؛ بل تعدى هذا المجال وهذه المساحة إلى الجن أيضاً، قال تعالى: ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(٢)، ولعل السبب في تحدي القرآن لجميع لغات المخلوقات من الإنس والجن هو أن القرآن يحمل معاني لا يحمل الفاظاً فقط علماً أن جميع اللغات تختلف في ألفاظها ولكنها تتحدد وتتفق في جميع معانيها، ولهذا كان إعجاز القرآن يستهدف المعاني وليس الألفاظ، ومن هذا الباب أصبح القرآن الكريم معجزة تتحدى جميع لغات الموجودات بأنواعها كلها، وأما نوع الإعجاز فهو حمل القرآن للمعاني وليست الألفاظ، وهذا ما أبينه في الإعجاز التواصلي.

(١) ينظر: الميزان، الطباطبائي: ٣٦/١

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٨

إنّ التحدي في القرآن للأنس والجن ليس للألفاظ والمعاني التي تحملها؛ وإنما التحدي للإتيان بموضوعات لا كموضوعات القرآن بل بموضوعات أخرى فالعجز ظهر هنا.

والدليل الحروف المقطعة في بدايات بعض سور القرآن أشار إلى أن الفاظ القرآن من هذه الحروف التي هي حروف اللغة العربية فأتوا بموضوعات من هذه الحروف غير التي جاء بها القرآن.

٣- إنّ القرآن الكريم لم يحدد بالتحدي الإنسان خاصة، بل يُدخل في دائرة التحدي الجن بدلالة قوله تعالى: ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^(١)، فضلاً عن أن كثير من الناس لا يتكلمون بالعربية، ولا يعقل أن يتحدى الله هؤلاء بأن يأتوا بمثل القرآن في بلاغته العربية وهم لا يفهمون من بلاغته شيئاً، وعلى ذلك فالمفروض في مقام التحدي أن يكون موجهاً للعرب فقط لا الإنس والجن، والتحدي إنما وُجّه إلى الجن؛ لأنهم لهم قدرات أكبر من قدرات البشر حسبما تؤكد الكتب والروايات في الموروث الإسلامي، هذا من جهة ومن جهة أخرى أن الجن أسبق وجوداً في الأرض من الإنسان وربما قد مرّوا بمثل هذا التحدي سابقاً، ومن جهة ثالثة تحدي العرب من باب أولى؛ لأنهم أهل الاختصاص ولا يكون لغير المختص كما في السحر.

رابعاً: إنّ أطروحة الإعجاز البلاغي لو سلّمنا بها وأنّ العرب عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن من الناحية البلاغية، فإن أمر الإعجاز يكون تاريخياً، ولا يشمل حتى العرب في الوقت الحاضر فضلاً عن غيرهم، لاختلاف الأنساق البلاغية في هذا الزمان عن زمان نزول القرآن؛ إذ إنّ الأساليب البلاغية في ذلك العصر أصبحت قديمة في الأدب العربي الحديث.

سادساً: في مجال الدرس القرآني هناك "انعقدت علاقة تعاضدية بين الإعجاز والبلاغة، مع أن الأولى كان يجب أن ينعقد، في نظر التلقي ومنظروه، بين

(١) سورة الإسراء: ٨٨

العلاماتية السيميولوجيا والأسلوبية"^(١)، ورد على هذا "أيضا بأن القرآن دعا الناس أقصاهم وأدناهم إلى معارضته في البلاغة، وهذا مرفوض وغير صحيح، والقرآن لا يشتمل على مثل هذه الدعوة فمن أين جاء هذا الزعم؟ وما هي أدلته؟ ثم لو أخذنا بمعيار البلاغة كما نعرفها الآن، فهل كل القرآن في كل آياته ينطبق على المعيار البلاغي؟ أليس في هذا أيضا جنوح وتشويه لحقائق القرآن"^(٢).

ويرد الباحث على هذا الرأي بأن القرآن الكريم قد دعا الناس جميعا للإيمان بالإسلام وتعاليمه عن طريق إظهار معجزه التي تثبت للناس مصدريته الالهي، ثم أن السلف في الجاهلية وصدر الإسلام ما كانوا يعرفون عن البلاغة، بمفهومها التقني الذي حددته القرون اللاحقة شيئاً، كما أن الادعاء بأن القرآن الكريم قد تحدى العرب ببلاغته، إنّ هو إلا افتراض لا يملك في الواقع أدلة تسنده، وأنّ بلاغة القرآن الكريم هي التي تكشف عن المعاني الإعجازية التي تخبر عن الإعجاز القرآني وهو ما نريد إثباته في الإعجاز التواصلي.

وذهب أكثر العلماء إلى أن الإعجاز القرآني لا يعرف إلا عن طريق معرفة البلاغة، وهذا ما قاله أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)؛ إذ قال: "علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى، الناطق بالحق، الهادي إلى سبيل الرشد، المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة، التي رفعت أعلام الحق، وأقامت منار الدين، وأزالت شبه الكفر ببراهينها، وهتكت حجب الشكّ بيقينها، وقد علمنا أنّ الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن"^(٣)، وهو تضافيف يقوم على اشتراط وجود الأول (أي علم البلاغة) لحصول علم بالثاني (أي بالإعجاز)، وهو شرط لازم هنا؛ لأن المتلقي إذا أخل معرفة به -علم البلاغة- لم يقع علمه بإعجاز القرآن كما قال العسكري، وللبين أقول إنّ التضافيف هنا شرط يقع على عملية التلقي كما يقع على المتلقي، ولكنه لا يقع على المتلقي^(٤)،

(١) القرآن والتلقي من الإعجاز والمجاز إلى الإسطورة والخرافة، منذر عياشي: ٣٣

(٢) المصدر نفسه: ٦٧

(٣) الصناعتين: الكتابة والشعر، ابو هلال العسكري: ١.

(٤) ينظر: القرآن والتلقي من الإعجاز والمجاز إلى الإسطورة والخرافة، منذر عياشي: ٩٣

أي على القرآن، وبهذا يكون القرآن من هذا المنظور، معجزة سواء وقع علم المتلقي بالبلاغة أم لم يقع؛ أي إنّ إعجاز القرآن الكريم حقيقة ماثلة أمام المتلقي سواء كان ممن يعرف بعلم البلاغة أم لا يعرف به.

ويترتب على ذلك جملة من الأمور:

١- إنّ الإعجاز والبلاغة أمران منفصلان، وأن لا رابط ضروري يجعل من البلاغة برهاناً على الإعجاز ودليلاً، هذا يعني أن من الممكن وجود أمور أخرى يثبت بها الإعجاز مثل الأمور الغيبية التي جاءت في القرآن الكريم، وإن كان وجه الإعجاز البلاغي هو أبرز الوجوه التي قال بها العلماء، ولكن العلماء يرون ترابط ضروري بين البلاغة والإعجاز؛ لأن التحدي كان قائم على البلاغة وهو مذهب أغلب العلماء.

٢- كما يمكن للمرء أن يعتقد أن القرآن في فرادته وتميزه هو خصوصية الله، من غير أن يقع له علم بالبلاغة؛ إذ كثير من الناس قد آمنوا بالقرآن الكريم من دون أنّ يكون عندهم علم بالبلاغة.

٣- يمكن للمرء أن يعتقد قاطعاً كما أعتقد أولاً بعدم ضرورة البلاغة، أن لا ضرورة لكي يقيم معتقده بأن القرآن من عند الله وأن لا أحد يقدر أن يأتي بمثله، على عقيدة الإعجاز، ولكن تستوجب العلم أن الله أقوالاً وأفعالاً لا يقدر أحد أن يجاريه فيها ومنها القرآن الكريم، فهو قوله وفعله، وأنه تبارك وتعالى ليس كمثل شيء، وأنه القادر والقاهر فوق عباده.

٤- يمكن للمرء أخيراً أن يعتقد أن القرآن الكريم معجزة وهو بالفعل كذلك، وأنه مستوى من الكلام لا يقدر أحد على مثله، وأنه دالاً بآثره على متلقيه، وأن الله دعا الإنسان، من أجل ذلك، وحثّه على التفاعل معه، ويدرك قيمه وما جاء به، ولا قدرة لأحد أن يأتي بألفاظه واساليبه ونظمه، وهذا الأمر ثابت وجداناً وعقلاً ثبوت إعجاز القرآن الكريم وهو لا يحتاج إلى دليل، وإنما كل ما كُتب في إعجاز القرآن الكريم هو محاولة لوصف الإعجاز وليس من أجل إثباته.

سابعاً: إنّ اللافت للنظر أن علماء الإعجاز وأن كانوا قد وجدوا في البلاغة تلك الأداة المعرفية التي تكفل تفسير الإعجاز فإنهم لم يجعلوا منها أداة تعبيدية صارمة تروم صوغ قواعد (نهائية) لمظاهر الإعجاز في النص القرآني، إنّ البلاغة عندهم ليست سوى أداة للاقتراب من النص والمساعدة على كشف قدر من خصائصه الإعجازية؛ ذلك لأن الإعجاز في نهاية المطاف هو مما يدرك ولا يمكن وصفه^(١)، وهذا الأمر لا ينبغي القطع بكليته؛ بل هو نسبي؛ فإذا كان الإعجاز لا يمكن إدراكه، فهذا ينسف الجهود كلها التي بحثت في إعجاز القرآن الكريم؛ على الرغم مما تم ذكره من مناقشات لأطروحات الإعجاز فلا يعني هذا إنكارها؛ بل مناقشتها وبيان ما يمكن إن يكون احتمال لردّها.

ويمكن الرد على كل ما ذكر من إشكال على الإعجاز البلاغي: إنّ هذا الوجه قال به المختصون بالبلاغة من العرب الأوائل، وأن البلاغة كانت معروفة عند العرب على سلبقتهم لكن لم يكن مقعد لها، وإنما جاءت قواعدها لاحقاً، وهذا لا ينفي كون التحدي كان لهم ببلاغة القرآن.

الأطروحة الثانية: أسلوب القرآن ويقصد به أن أسلوبه مخالف لسائر الأساليب المستعملة في الكلام، كأسلوب الشعر، وأسلوب الخطب والرسائل، فقد اختص القرآن بأسلوب مخالف لهذه الأساليب^(٢)، ويُشكل على هذه الأطروحة: أولاً: إنّ ابتكار أسلوب أدبي جديد لو كان يدلّ على الإعجاز لاستلزم ابتداء الشعر أو غيره من الأساليب معجز^(٣).

ثانياً: إنّ الإعجاز يتعلق به أمر عظيم، ومغايرة القرآن للأسلوب اللغويّ لما هو متعارف بين الناس لا يكفي دليلاً إعجازياً؛ لأن أساليب البيان والأدب ديدنها التغير والتبدل والابتكار، إنّ حقيقة إعجاز القرآن هو مجيئه بالأمر العظيم وهذا الأمر العظيم تكويني تارة، وتشريعي تارة أخرى، ولما كان كذلك أصبح إعجازه بالمعنى

(١) ينظر: النص وآليات الفهم في علوم القرآن، محمد الحريش: ٢٣٩

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي: ١/ ٦٨، ومحاسن التأويل، القاسمي: ١/

١٧٦

(٣) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي: ٣/ ٢٢٠

كتشريع، وبالإخبار عن الكائنات من هنا أصبح إعجازه خارج نطاق اللغة؛ بل استعمل القرآن اللغة وسيلة لبيان ذلك الإعجاز المكتنف للأمر العظيم.

والقرآن الكريم عندما تحدى أهل اللغة على أن يأتوا بسورة واحدة من مثله، هل هم غير قادرين على نظم العبارات والجمل وهم أهل الفن؟ لكنه يتحداهم على أن يأتوا بمثل القرآن الكريم القادر على التأثير بالمتلقي له وجعله يتفاعل معه وإن كان هذا الأمر يحتاج أن يطرح بنسق من العبارات قادر على إيصال ما يُريده القرآن، فضلاً عن اختيار الألفاظ ودقتها في نسق وسياق محلها في داخل الجمل والعبارات في الآيات القرآنية بما فيها من الروح التي تجعلها حية تقلت من أسر الزمان والمكان، ولا تقتصر على نوع من المتلقين أو بيئة معينة.

والشواهد التاريخية تثبت عجز العرب عن إيقاف تأثير القرآن الكريم بالمتلقين له، فنجد كفار مكة ومن معها وقفوا حيارى أمام الدعوة الجديدة التي تأخذ بالقلوب والعقول، تلك الدعوة التي عمادها القرآن الكريم خير شاهد على أن تفاعل السامع للقرآن الكريم والتأثير فيه محور التحدي.

خامساً: إنَّ أساليب التعبير اللغوية تتبدل من زمان إلى آخر، ولا يدل ذلك على أكثر من الابتكار والتجديد.

والحقيقة التي يؤمن بها الباحث هي أنَّ أسلوب القرآن لم يأتي أسلوب مثله وقد حير العقول ولم يستطع أحد على الإتيان بمثله

الأطروحة الثالثة: نظم القرآن وبديع تأليفه، ويُراد به نظمه على الوجه الذي تميز به من بين سائر الكلام، أي اشتماله على النظم الغريب، والوزن العجيب^(١)، ولا يراد من النظم مجرد رصف الكلمات؛ فإنَّ نظم القرآن لو انفرد عن بلاغته وفصاحته لم يكن معجزاً بحال^(٢)؛ أي إنَّ النظم ليس وحده هو المعجز؛ وإنما هو مع كونه بليغاً وفصيحاً، ويقصد بنظم القرآن طريقة تأليف حروفه، وجمله، وكلماته وسبكها مع أخواتها في قالب محكم، ثم طريقة استعمال تلك التراكيب والجمل في الأغراض مع

(١) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي: ١/ ٢٣، وينظر: المنار، محمد رشيد بن علي رضا: ١٦٥/١

(٢) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي: ٣/ ٢٢٣ .

أخواتها في قالب محكم، ثم طريقة استعمال تلك التراكيب في الأغراض التي يتكلم عنها، للدلالة على المعاني والمقاصد بأجمل نظم وأوضح عبارة وأعذب سياق.

وممكن أن نذكر مجموعة من الملاحظ على هذه الأطروحة بالآتي:

أولاً: إنّ نظم الكلام لا يعرفه إلا من كان مطلعاً على جميع طرائقه وأساليبه ليميز الحسن من الرديء.

ثانياً: ما ذهب إليه السيد المرتضى (ت ٤٣٦هـ) في قوله: "أما من ذهب في جهة اعجاز القرآن إلى النظم، فربما فسّر الذاهب إلى هذا المذهب قوله بما يرجع إلى الفصاحة والمعاني دون نفس النظم المخصوص، ومن فسّر بما يرجع إلى الفصاحة كان قوله داخلاً فيما تقدم فساده، وإنّ صرّح بأنه أراد الطريقة والأسلوب فقد بينا أن طريقة النظم لا يقع فيها تزايد ولا تفاضل ولا يصح التحدي فيها إلا بالسبق إليها وأنّ السابق لا بدّ فيه من وقوع المشاركة بمجرى العادة، وأن كل نظم من النظم لا يعجز أحداً عن احتذائه ومساواته، وأن كان بكلام قبيح خال من الفصاحة"^(١).

والواضح من كلام السيد المرتضى إنه يرد أي شكل يقصد به النظم، ويرى نسبية هذا الأطروحة ولا يكون دليلاً على إعجاز القرآن؛ إذ يرى إنّ الشيء المعجز يجب أن لا يمكن لأحد القدرة على فعله بأي وجه من الوجوه حتى مع فساد ما جاء به، لكون السيد المرتضى يقول بالصرفة.

(١) الذخيرة، المرتضى: ٤٠٢



الأطروحة الرابعة:

وعُرفت الفصاحة: بأنها بسلاسة ألفاظه عن التعقيد الحاصل في مثل قول بعضهم:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر^(١)

ويمكن عرض إشكال على هذه الأطروحة، وهو إن هذه الصفة يشترك بها النصّ القرآني وكثير من النصوص، بحسب ذوق المتلقي للنص، وكذلك صعوبة قياس الفصاحة، أي ما هو المقياس للفصاحة؟

والأمر الآخر تشترك هذه الأطروحة في موارد الضعف والإشكال مع الأطروحات المتقدمة ولا سيما البلاغية.

الأطروحة الخامسة: الإنباء بالغيب، أي إن وجه إعجازه، هو ما فيه من علم الغيب، والإخبار^(٢)، ويتعلق الغيب بثلاثة وجوه أما أمور مستقبلية، أو أمور تخصّ الأمم السابقة، أو ما يتعلق بسلوك بعض الناس مثل اليهود والمنافقين، وتُرد هذه الأطروحة بالآتي:

أولاً: إن الأمر الغيبيّ تاريخي، أما إن يتأخر عن نزول القرآن الكريم في المجتمع الذي أريد منه اتباعه، فإن التأخر هذا حجة لعدم الإيمان به، فكيف يطالب الإنسان بالإيمان بصدق شيء كائن في المستقبل، وأما في هذا الزمان فالعقل الإنساني غير معني بالإيمان بقضايا حدثت بالماضي لتكون دليلاً على إعجاز القرآن، وقضايا يصعب التحقق من وقوعها وصحة نقلها، فضلاً عن الشك بتلاعات المفسرين وغيرهم بتأويل القرآن.

ثانياً: ومن الرد ما ذكره العلويّ بقوله: "إنّ هذا القول يستلزم قصر التحدي على السور المشتملة على الغيوب دون ما سواها واللازم بالإجماع أيضاً منتف"^(٣)، والسور التي جاءت في القرآن الكريم والآيات التي تتحدث عن القضايا الغيبية قليلة قياساً بمجموع القرآن.

(١) ينظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، الزمخشري: ٣١٦/١

(٢) ينظر: النكت والعيون، الماوردي: ٣٢/١.

(٣) عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، حسن عبد الفتاح أحمد: ٦١.

والحق أن القرآن الكريم عندما عرض التحدي تدرج في التحدي حتى وصل إلى التحدي بسورة، وهذا السورة قد تكون من أربع آيات؛ إذ أن "ما وقع به التحدي، فالتحدي لم يقع على أقل من سورة، والسورة تطلق على القصيرة والطويلة، والسورة بشخصيتها المستقلة هي المقصودة في آيات التحدي والإتيان بمثلها خارج عن طوق الإنس والجن وإن قصرت كسورة الكوثر"^(١)، وهذا يكفي في إثبات العجز عند عدم الإتيان بمثل القرآن، وبهذا تكون مسألة الكم في التحدي غير لازمة.

ثالثاً: أعظم عذراً للعرب في عدم قدرتهم على معارضته، فكان من حقهم أن يقولوا: إنا متمكنون من معارضة القرآن، ولكنه اشتمل على ما لا يمكننا معرفته من الأمور الغيبية، فلما لم يقولوا ذلك دل على بطلان هذه المقالة^(٢).

رابعاً: إن دخول الشك بأن ما جاء من غيب في القرآن قد يكون مصدره الجن، أي عن طريق الكهانة، وهذا وارد في الثقافة العربية في عصر نزول القرآن.

خامساً: إن بعض ما جاء في القرآن أمور كائنة ومشهورة، وأشكل عليها المعارضين للقرآن، أنها مأخوذة من الكتب أو من أفواه الرجال^(٣).

الأطروحة السادسة: عدم الاختلاف في القرآن، وتقريره "سلامته على طوله من التعارض والتناقض والاختلاف، خلافاً لجميع كلام البشر"^(٤).

ويمكن عرض مجموعة من الإشكالات على هذه الأطروحة وهي:

أولاً: إن عدم الاختلاف والتناقض، سواء في القرآن أو غيره من الكتب لا يمكن الوقوف عليه إلا أن يكون بكامله، لذا هذه الأطروحة لا يثبت بها تحدي القرآن للعرب إلا بعد نزول كامل آيات وسور القرآن الكريم.

(١) مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم: ٤٢

(٢) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي: ٣/ ٢٢١.

(٣) ينظر: الذخيرة، المرتضى: ٤٠٢

(٤) المنار، محمد رشيد رضا: ١/ ١٧١

ثانياً: ومن إشكالات ما يراه العلوي؛ إذ يرى إنّ "التحدي واقع بكل واحدة من سور القرآن، وقد يوجد في كثير من الخطب، والشعر، والرسائل، ما يكون في مقدار سورة خالياً عن التناقض، فيلزم أن يكون معجزاً"^(١).

إنّ الخطب والكتب والرسائل وكذا الشعر ممكن أن تتحدث عن موضوع واحد أو مجموعة من المواضيع، لكن القرآن الكريم تحدث عن كم كبير جداً من القضايا ولا يوجد تناقض في ما ذكره، وعلى الرغم من ذلك هناك من يرى هناك تناقض في القرآن الكريم ولا سيما في دراسات بعض المستشرقين، الذين اتخذوا من ذلك وسيلة للطعن في القرآن الكريم.

الأطروحة السابعة: الإعجاز التأثري أو النفسي: وهو على مستويين:

المستوى الأول: إنّ قارئ القرآن لا يكل، وسامعه لا يمل، وإكثار تلاوته تزيده حلاوةً في النفوس، وميلاً إلى القلوب، وغيره من الكلام، وإن كان مستحسن النظم مستعذب النثر، يمل إذا أعيد ويستثقل إذا ردد^(٢).

المستوى الثاني: ما ذكره الخطابي (ت ٤٠٣ هـ)؛ إذ قال: "في إعجاز القرآن وجهاً آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعة بالقلوب وتأثيره في النفوس"^(٣)، وهذا يعني: إنّ للخطاب القرآني تأثيراً بأسلوبه على متلقيه، فما أن يقرأ الإنسان آيات من القرآن أو يسمعها تُتلى عليه؛ إلا ويشعر في قلبه تأثيراً خاصاً، وفي نفسه وقعاً خاصاً، وسلطاناً عجبياً، لا يكون ذلك أبداً لغير آيات القرآن؛ لأنه كلام الله تعالى^(٤) ويسمى كذلك الإعجاز النفسي أو الوجداني^(٥)، ويمكن ذكر أشكال على هذه الأطروحة، وهو نسبيتها؛ فإن التأثير ممكن أن يحدث لنوع من الناس، ولا يحدث لغيرهم؛ أي يكون مقتصرًا على المؤمنين به حصراً.

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي: ٣/ ٢٢١.

(٢) ينظر: النكت والعيون، الماوردي: ٣٢ / ١

(٣) إعجاز القرآن، الباقلاني: ١٧/١

(٤) ينظر: الإعجاز التأثري للقرآن الكريم، خليل مصطفى السعيد: ٣٣

(٥) ينظر: الإعجاز الإعلامي في القرآن الكريم، تأصيل وتطبيق، طه أحمد الزبيدي: ٤٣

الأطروحة الثامنة: الإعجاز العلمي: ويقصد به تضمن القرآن الكريم لقضايا علمية لم يكتشفها العلم إلا في زمن متأخر لنزول القرآن الكريم قد يصل إلى مئات السنوات، لذا كُنَّبت دراسات كثيرة عن الإعجاز العلمي في القرآن، يدور محورها حول الآيات التي تُشير إلى القضايا العلمية، وهذا الوجه لا يخلوا من بعض المناقشات منها:

أولاً: عدم معقولية التحدي العلمي: فلا يعقل أن يتحدى القرآن العرب في صدر الإسلام، بقضايا علمية لم تثبت صحتها إلا بعد أكثر من ألف سنة.

ثانياً: إنَّ الإعجاز العلمي وكذلك التفسير العلمي مما وقع فيه الخلاف بين العلماء المسلمين أنفسهم، وهذا الخلاف يضعف هذا الوجه بلا شك.

إنَّ الأطروحات التي ذكرت هي أشهر الأطروحات التي تحدثت عن أعجاز القرآن الكريم، والتي حاولت حصر قضية الإعجاز داخل النصِّ القرآني، وقد قام أصحاب هذه الأطروحات بجمع الأدلة وحشدها التي تؤيد ما ذهبوا إليه، وكذلك ردَّ ما يعارض مقولاتهم المختارة ونقضها، أما في ما يتعلق بالردود التي وردت على كل أطروحة يضاف لها الإشكالات التي دعت جمع من العلماء للقول بالصرفة، وكلها مسطورة في كتب هذا الفريق، بقي لنا الأطروحة التاسعة وهي الأخيرة.

وموقف الباحث من هذه الأطروحات وتعددتها هو أنها لا تقلل من القيمة الإعجازية للقرآن الكريم؛ بل تزيد من ذلك، ومن الممكن أن تكون هناك أطروحات إعجازية أخرى تظهر في قادم الأيام.

الأطروحة التاسعة: وهي (الصرفة)، تقول هذه الأطروحة على أنَّ الإعجاز القرآني خارج النصِّ، وتقوم على أدلة تؤيد ما تذهب إليه وفي الوقت نفسه ترفض نظريات الإعجاز الأخرى أو تجمع بينها وبين هذه الأطروحة.

الرأي الأول: إنَّ الصرفة تعني أن الله تعالى سلب دواعي معارضة القرآن، مع أن أسباب توفر الدواعي حاصلة من التقريع بالعجز، والاستئزال عن المراتب العالية، والتكليف بالانقياد والخضوع، ومخالفة الأهواء.

الرأي الثاني: إنّ الله تعالى سلب العلوم التي لا بد منها في الإتيان بما يشاكل القرآن ويقاربه، ثم إن سلب العلوم يمكن تنزيله على وجهين:

أحدهما: إنّ تلك العلوم كانت حاصلة للمعارضين على جهة الاستمرار، لكن الله تعالى أزالها عن أفئدتهم ومحأها عنهم، **وثانيهما:** إنّ تلك العلوم ما كانت حاصلة لهم، خلا أن الله تعالى صرف دواعيهم من تجديدها، مخافة أن تحصل المعارضة.

الرأي الثالث: أن يراد بالصرفة أن الله تعالى منعهم قسرًا عن المعارضة، مع كونهم قادرين فسلب قواهم عن ذلك، فلأجل هذا لم تحصل من جهتهم المعارضة، وحاصل الأمر في هذه المقالة، أنهم قادرون على إيجاد المعارضة للقرآن، إلا أن الله تعالى منعهم^(١)، ولما هية المنع وكيفيته صورتان:

الأولى: إنّ المنع يكون بعدم إتيان العباد بما هو مثل القرآن الكريم.

الثانية: إنّ المنع بعدم محاولة العباد الإتيان بما هو من دون القرآن، فصورة الصرفة هنا عمًا يشغب به من الباطل على حق القرآن الكريم، فهي من روافد حفظ قداسة القرآن الكريم، وكأنّ في هذا وجهًا من وجوه معاني قوله تعالى: ﴿تَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾^(٢)^(٣)؛ والسبب في ذلك المنع هو عدم التأثير على الناس بما يُعتمد من أنّه مثل القرآن، وهو في حقيقته دون القرآن؛ لكن عدم تمييز بعض الناس بين حقيقة القرآن وما قيل من إنه معارض للقرآن، هو الذي دفع للقول بالصرفة.

(١) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي: ٣/ ٢١٨، وينظر: روح المعاني، الألوسي:

٢٨/١ والنكت في إعجاز القرآن، الرماني: ١١٠.

(٢) سورة الحجر: الآية ٩

(٣) ينظر: إعجاز القرآن الكريم بالصرفة، حسين نصار: ٣٤.

وهذه الأطروحة أكثر الأطروحات التي ناقشها العلماء ومن المناقشات والردود عليها:

أولاً: القول بالصرفة على معنى المنع مما هم قادرون عليه لو خلي بينهم يلزمه أن يكون القرآن الكريم نفسه غير معجز، وليس بأية النبوة المحمدية، وأن المعجز هو المنع نفسه^(١).

ثانياً: إن القرآن فيه سرّ يثبت أنه كلام الله فالإعجاز لا يثبتته شيء خارج المعجز نفسه^(٢).

ثالثاً: اتخذ العلماء من قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ أَجْتَمِعَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^(٣)، للرد على أطروحة الصرفة؛ لأن مناط التحديّ واقع في ذات القرآن^(٤).

رابعاً: إن القول بأطروحة الصرفة يشوبها الغموض، مثل عدم تحديد العلوم التي سُلبت من البشر (العرب خاصة) التي كان من الممكن معارضة القرآن بوجودها.

خامساً: يرى السيد كمال الحيدري: "إنّ نظرية الصرفة تقرر بأن الإنسان لو خَلِي طبعه فإنه قادر على الإتيان بمثل القرآن، إلا أنه كلما أراد ذلك يصرفه الله سبحانه عنه"^(٥)، إن القول بالصرفة وبالخصوص بناءً على منهج النظام، فكرة خطيرة؛ لأنها تسلب المعاني الحقيقية للإعجاز في القرآن الكريم؛ فهي تحيله إلى معانٍ خارجه عنه.

ويرى السيد الحيدري كذلك "إنّ الحاجة البشرية إلى النبوة والوحي الإلهي تتبع من أن الإنسان لا يستطيع الوصول إلى كماله الحقيقي بالاعتماد على قدراته العقلية وتجاربه العملية فقط فالإنسان عاجز عن تحديد مصداق كماله الحقيقي أولاً

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٧ - ١٠٨.

(٢) ينظر: الحل القصدي للغة في مواجهة الاعتباطية، عالم سبيط النيلي: ١٦٠.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٨٨

(٤) ينظر: بيان إعجاز القرآن، الخطابي: ٢٣.

(٥) الإعجاز بين النظرية والتطبيق، كمال الحيدري: ١٨٨.

وعاجز عن معرفة أقرب الطرق التي توصله إلى ذلك الكمال ثانياً ويكفيك شاهداً على هذا العجز ما عاشته الإنسانية على طول تجربتها الطويلة إلى يومنا الحاضر"^(١)، وفي ضوء ذلك فإن افتراض قدرة الإنسان على الإتيان بمثل القرآن كما تقرر ذلك نظرية الصرفة سيفضي إلى أن تكون النبوة والوحي الإلهي للإنسانية لغواً لا محصل له ومعه لا حاجة إلى إقامة المعجزة حتى لو كان ذلك عن طريق الصرفة.

سادساً: ما يراه السيد الخوئي (رحمته الله) (ت ١٤١٣هـ) من ضعف الرأي القائل

بالصرفة لسببين:

١- إنَّ الصرفة التي يقولون بها، إن كان معناها أن الله قادر على أن يقدر بشراً على أن يأتي بمثل القرآن، ولكنه تعالى صرف هذه القدرة من جميع البشر، ولم يُعْطها لأحد منهم فهو معنى صحيح، ولكنه لا يختص بالقرآن، بل هو جار في جميع المعجزات، وإن كان معناها أن الناس قادرون على أن يأتوا بمثل القرآن، ولكن الله صرفهم عن معارضته فهو واضح البطلان؛ لأن كثيراً من الناس تصدوا لمعارضة القرآن، فلم يستطيعوا ذلك، واعترفوا بالعجز.

٢- إنَّ إعجاز القرآن لو كان بالصرفة لوجد في كلام العرب السابقين مثله قبل أن يتحدى النبي البشر، ويطالبهم بالإتيان بمثل القرآن، ولو وجد ذلك لنقل وتواتر، لتكثر الدواعي إلى نقله، وإذ لم يوجد ولم ينقل كشف ذلك عن كون القرآن بنفسه إعجازاً إلهياً، خارجاً عن طاقة البشر، وأنَّ اطروحة الإعجاز بالصرفة لم يكن مشخصاً في دلالاته الخارجية، لهذا ظل هذا الوجه من الوجوه التي تعرضت للطعن، من قبل العلماء من الإمامية والاشاعرة^(٢).

(١) المصدر نفسه: ١٨٩-١٩٠

(٢) ينظر: البيان في تفسير القرآن، الخوئي: ٨٣

في ما تقدم ذكرتُ أبرز الأطروحات التي قيلت في إعجاز القرآن الكريم، وقد صنف أحد الباحثين تلك الأطروحات على صنفين:

الأول: الثابت من وجوه الإعجاز القرآني، وهي الإعجاز البياني وإن وقع الاختلاف في بعض الجزئيات، فمنهم من يراه معجز ببلاغته، وبعضهم يراه معجز بفصاحته، في حين يراه قسم آخر معجز بنظمه وأسلوبه، وذلك كله داخل في الإعجاز البياني.

الثاني: المتغير من وجوه الإعجاز القرآني^(١)، ويقصد منها الوجوه التي لم يقل بها إلا بعض العلماء فهي أطروحات الإعجاز الغيبي والصرفة.

الخلاصة:

١- الإعجاز القرآني قضية ترتبط بمسيرة الإنسان في هذه الدنيا وما يرتبط بعالم الآخرة، فليس من السهل الإيمان بإعجاز القرآن من طريق عجز العرب في زمن نزول الإسلام الأمر الذي ذهبت له أغلب الأطروحات، بينما ما نذهب إليه في الإعجاز التواصلي، هو شامل لجميع البشر، وذلك لعدم قدرتهم على إيقاف تواصل القرآن الكريم مع المجتمع في ذلك الزمان وفي هذا الزمان وفي الزمان القادم، أي خلود القرآن الكريم.

٢- إنَّ إعجاز القرآن هو خروج عن هيئة الألفاظ ومادتها واستهدافه للمعاني والأشياء المتحققة في الخارج، واتخاذ القرآن الكريم اللغة العربية ثوباً له؛ لأنها أقرب من غيرها إلى المعاني الذهنية وأكثر إندكاكاً في الأشياء الخارجية، ولو كان إعجاز القرآن قائم على اللغة وعلى طبيعة اللغة لأصبح إعجازاً من جانب وليس إعجازاً من جانب آخر؛ بل إعجاز القرآن ينطلق من الدلالة ومن المعاني إلى الأشياء، فقد اتخذ القرآن اللغة العربية وسيلة إلى الوصول إلى المعاني، ثم من المعاني وصولاً إلى جوهر الحقائق، وهذا ما جعل الكل عاجزاً عن تحريف القرآن.

(١) ينظر: حركة الثابت والمتغير عند علماء الإعجاز القرآني، محمد عباس نهاية الجريايوي: ٢٧٥-٢٧٦

٣- إنَّ أطروحات الإعجاز توصلنا لنتيجة مفادها لم تعد آيات القرآن الكريم هي الدليل على الإعجاز، كما أراد الله لها أن تكون، وإنما أصبحت معجزات، كما أراد لها نفر من الناس أن تكون، وقد كان الأولى والأهم أن يسير القرآن الكريم في مسار التواصل، أي التفاعل المتلقي معه، لتدل آياته على قدرته الله سبحانه وتعالى لا لتدل على عجزنا نحن فقط.

٤- نظر العلماء إلى الإعجاز القرآني من زاويتين: زاوية هوية النص وتفرد الذاتي، ومن زاوية مغاييرته للنصوص الأخرى واختلافه عنها، وهذا ما يفسر الدواعي التي أُلجأت القدماء إلى عقد مقارنات وافية بين القرآن والشعر؛ إذ لا تخلو كتبهم المصنفة في علوم الإعجاز، أو علوم القرآن بوجه عام.

إنَّ ما يمكن الوقوف عليه من عقد هذه المقارنة بين القرآن والشعر أن نظرة المتلقين الأوائل إلى الإعجاز تأطرت ضمن أفق تلقي النصوص متمم بهيمنة النص الشعري، ومنتشع بقيمه الفكرية وعاداته الجمالية؛ لأن النص القرآني لم يستقبل في أفق (فارغ) لا مكان فيه لأية نصوص مرجعية، بل استقبل في أفق فكري وجمالي تؤسسه نصوص لها قيمها وعاداتها ومواضعاتها، وقد شكل الشعر عماد هذا الأفق ومعياره الفكري والجمالي في التلقي؛ فإن أهم مقاربات الإعجاز القرآني هما مقاربتا الباقلائي والجرجاني (ت ٤٧١ أو ٤٧٤هـ)، كانت بقياس النص القرآني على مثال سابق عليه، وهو النص الأدبي الشعري بالتحديد، فكان العمل منصّبًا على الكشف عن مبادئ النظم القرآني من خارج النص وليس من داخله، عن طريق الرجوع إلى الاستعمالات الشعرية والأدبية للعرب التي كانت مستقرة ومتداولة قبل نزول القرآن، فتم بالتالي بناء الإعجاز القرآني على شرط اللغة المتداولة والاعتيادية، وعن طريق اعتماد قواعد ومبادئ استعمال وتراكيب مُنجزة وسابقة على القرآن الكريم.

٥- إنَّ الإعجاز بالصرفة يعني ردّ الإعجاز إلى القدرة الإلهية تكون قد حددت مكانه في موانع وشروط مفارقة تعود إلى المتكلم بالقرآن، لأنه يستحيل تصور أي مشابهة أو تسوية بين الوضع الوجودي للمتكلم الإلهي والوضع الوجودي للمتكلم

البشري؛ فبين وضع وجودي متعال وآخر بشري ينتفي كل ملح تشبيهي يمكن أن يتخذ أساساً لأي مماثلة من المماثلات.

في حين تذهب نظريات الإعجاز الأخرى إلى الطريقة المخصصة التي جاء بها النظم والتأليف؛ فالعجز عن معارضة النص القرآني لا يستند إلى مانع خارجي، وإنما يستند إلى مانع كامن في داخل النص؛ إذ يمثل النص ذاته، بخصوصيته مانعاً يحول دون القدرة على الإتيان بمثله؛ فأعجازه لا ينفصل، وفرادته كنص على نقض الأعراف والعادات النصية القائمة، وكذلك يكتسب إعجازه من تقويضه المساعي كافة التي يمكن أن تجعل منه مثلاً نصياً قابلاً للمحاكاة والاحتذاء.

٦- إنَّ أطروحات إعجاز القرآن لا يمكن القنعة بها إذا كانت تستند إلى وجوه جزئية ومواطن متفرقة في النصّ مثل الوجه القائم على الأخبار عن الغيوب؛ فهذا الوجه نوع من أنواع إعجازه ولكنه ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن الكريم.

٧- إنَّ الآراء التي قيلت في الإعجاز لا يمكن التسليم لها مطلقاً؛ لأن بعض العلماء ذكرها انتصاراً لمذهبه أو رأيه، وهذا يشكل نقطة ضعف في بعضها.

٨- إنَّ كل ما ذكر من ردود على أطروحات الإعجاز القرآني هي اشكالات ولا تنقص من حقيقة أي أطروحة؛ والغاية من ذلك هو بيان الثغرات التي يمكن للخصم أن يتخذها سبباً في رفض الأطروحة، وهذه الردود لا تنقص من قيمة أي أطروحة؛ بل تزيدها قوة عند الرد عليها.

بعد استعراض أبرز أطروحات الإعجاز القرآني نجد أنّ هناك أطروحات يكاد يكون إجماع العلماء عليها وهي التي تدخل ضمن الإعجاز البياني (البلاغة، الفصاحة، وحسن التأليف، وجمال الأسلوب وتفردده)، في حين هناك أطروحات أخرى يقول بها بعض العلماء، كما في الإعجاز في الأخبار بالغيب، الإعجاز العلمي، وهناك أطروحة يكاد يكون شبه إجماع على ردها وهي الصرفة.

المبحث الثاني: التواصل مفهومًا ورؤية

المطلب الأول: مفهوم التواصل، وبلورة المصطلح

توطئة:

تُعد اللغة أداة التفاعل، ووظيفتها الأساس هي إقامة التواصل، فهي أداة رمزية تستعمل لغايات تواصلية، واللغة بوصفها منتجًا ثقافيًا تتمثل في الإجابة عن إشكال يتعلق بالطريقة التي تمكن البشر من التواصل فيما بينهم، فعلى الرغم من وجود ما لا نهاية له من الأشياء والوقائع فإن لكل لغة إمكان التعبير عن هذه الأشياء والوقائع لتحقيق التواصل، فإقامة التواصل الوظيفية الأساسية والمركزية لكل اللغات الطبيعية، لهذا عدّ (سابير)^(١) اللغة تناقش "وسيلة لا غريزة خاصة بالإنسان يستعملها لإيصال الأفكار والمشاعر والرغبات عبر رموز يؤديها بصورة اختيارية وقصدية"^(٢)، فقد أكد على قصدية اللغة عن طريق اختيار الرموز والهدف من ذلك التواصل، وميّز (مونان)^(٣) بين النظام الإشاري المستعمل فيه العلامات من الإنسان بوصفه مؤسسة اجتماعية تقبّع وراء القصد، والنظام الإشاري للحيوان^(٤)؛ لهذا أصبح موضوع التواصل حجر الزاوية في علم اللغة الحديث^(٥)، وقد قامت كثير من الدراسات على بيان التواصل وماهيته وما يتعلق به، لذا ينبغي أن نعرف بالتواصل وما يرتبط به.

(١) إدوارد سابير (ت ١٩٣٩م) عالم اللسانيات اللغوي الأمريكي، أحد أهم الشخصيات في التطور المبكر لعلم اللغويات، ولد سابير في مدينة (بوميرانيا) في ألمانيا وهاجرت عائلته إلى الولايات المتحدة عندما كان طفلاً، ودرس علم اللغويات الألمانية في جامعة كولومبيا حيث كان تحت تأثير (فرانز بواس) الذي ألهمه دراسة اللغات الأمريكية الأصلية: الشبكة العنكبوتية، ويكيبيديا.

(٢) ينظر: مدخل للتعريف باللغة، ادوار سابير: ٧-٨.

(٣) جورج مونان (ت ١٩٩٣م) لغوي ومترجم وسيميائي فرنسي، نشط في المقاومة الفرنسية والحزب الشيوعي الفرنسي، كتب أيضاً تحت الاسم المستعار جان لو بوشيه: الشبكة العنكبوتية، ويكيبيديا.

(٤) ينظر: مفاتيح الألسنية، جورج مونان: ٣٧.

(٥) مدخل إلى علم اللغة، إبراهيم خليل: ٢٧.

أولاً: التَّوَاصلُ لُغَةً: التَّوَاصلُ من الجذر اللغويِّ (وَصَلَ) الذي يدلُّ على ضمِّ شيءٍ إلى شيءٍ حَتَّى يَغْلِقَهُ^(١)، هذه الدلالة على المستوى الماديِّ، وأما على المستوى المعنويِّ فيدلُّ الأصل على (البلوغ)، يقال: وَصَلَ الشَّخْصُ إلى الأمر: بَلَغَهُ^(٢)، ولأمر قد يكون في ما هو معنويٌّ أو مادي، وسواء كان الوصل بين ما هو معنويٌّ أو مادي، فهو يقتضي وجود علاقة بين شيئين، تؤدي إلى التقارب، والارتباط، والتلاؤم بينهما، وبهذا تتحقق الغاية من الوصل، فد"كُلُّ شيءٍ اتَّصَلَ بِشَيْءٍ، فَمَا بَيْنَهُمَا وَصْلَةٌ"^(٣)، وقال ابن منظور (ت ٧١١هـ): "وَالْوَصْلُ: ضِدُّ الْهَجْرَانِ، وَالتَّوَاصُلُ: ضِدُّ التَّصَارُمِ"^(٤)، في هذا التحديد يشير ابن منظور إلى أن التَّوَاصل هو الترابط بين الناس والصلة القوية، وبهذا يكون الوصل هو تكوين علاقة بين شيئين، الغرض منها الوصول إلى هدف، مثل الترابط أو التقارب بين الشيئين، وهو "ضِدُّ فَصْلِهِ... وَوَصَلَ فُلَانُ الشَّيْءَ أَوْ إِلَى الشَّيْءِ.. بَلَغَهُ وَانْتَهَى إِلَيْهِ.. وَالتَّوَاصُلُ يُطْلَقُ عَلَى أَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا اتِّحَادُ النِّهَايَاتِ، وَثَانِيَهُمَا كَوْنُ الشَّيْءِ يَتَحَرَّكُ بِحَرَكَةِ شَيْءٍ آخَرَ"^(٥).

ثم إنَّ صيغة (التَّوَاصل) تحمل دلالتين وهما: (التَّفَاعُل) (المشاركة)، بين طرفين وجمع هاتين الدالتين ينتج لنا أن التَّوَاصل يقع بين اللفظ اللغوي مع معناه أو مع الأشياء المتحققة بالخارج، والصيغة الصرفية التي دلَّت على المشاركة تَفَرِّضُ أَنَّ المشاركة تَقْضِي بوجود طرفين اجتماعاً على إحداث فعل معين، فلا يمكن أن يكون هناك اتِّصال بغياب أحدهما أو انقطاعهما.

كما إنَّ التَّفَاعُل معنى حاضر في مفهوم التَّوَاصل، وهو المعنى الذي نريده في هذه الدراسة فالتَّوَاصل المقصود هو التَّفَاعُل بين المتلقي ورسالة المتكلم، ثم يرتقي هذا التَّفَاعُل إلى الاستجابة والتأثر، ليتم التَّوَاصل.

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: (وصل) ٦/ ١١٥.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل: (وصل) ٣/ ٢٤٤٨.

(٣) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: (وصل) ٧/ ١٥٢.

(٤) لسان العرب، ابن منظور: (وصل) ١١/ ٧٢٨.

(٥) محيط المحيط: بطرس البستاني: (وصل) ٩٧٢-٩٧٣.

ومما تقدم يمكن القول: إنّ الدلالة اللغوية للجذر (وَصَلَ) هي: البلوغ إلى النّهاية، والاتحاد، والترابط، والاتفاق، وهو نقيض الانفصال، والتّصارم، وأما صيغة (التّواصل)، فتضيف إلى تلك الدلالة المشاركة، والتّفاعل بين الطرفين أو الشّيئين، ولفظ التّواصل ينماز بغناه الدلالي فهو يفيد البلوغ، والاشتراك والاقتران والترابط والالتئام ويمكن القول: إنّ أبرز دلالات مفهوم التّواصل (التفاعل والبلوغ).

ثانياً: التّواصل اصطلاحاً: إنّ مصطلح التّواصل "يكتنفه بعض الغموض بسبب غناه المعجمي؛ نظراً لدخوله في علاقة ترادف واشتراك مع مجموعة من المصطلحات التي تُشاركه في الدلالة، سواء من حيث الجذر اللّغويّ أم من حيث الحقل الدلاليّ، مثل ذلك: الإيصال، والاتّصال، الوصل، الإبلاغ، الإخبار، التّخاطب أو (المُخاطبة)، التّحاور أو (المحاورة)"^(١).

وعُرف التّواصل بأنه: عملية التأثير والتأثر التي تحصل بين المتكلم (المرسل) والمتلقي (المرسل إليه) أثناء عملية الاتّصال، ويمكن التعبير عنه بالتفاعل، فهو العملية التي يقوم خلالها القائم بالاتّصال بمنبهات (عادة رموز لغوية) لكي يعدّل سلوك الأفراد مستقبلي الرسالة^(٢)، وبهذا تكون للتّواصل وظيفتان^(٣):

١- وظيفة معرفية، وتتمثل في نقل الرموز الذهنية، وتبليغها زمكانياً بوسائل لغوية وأخرى غير لغوية.

٢- وظيفة تأثيرية وجدانية، وتتمثل في تمتين العلاقة بين الباث (المتكلم) والمستقبل (المتلقي)، وتفعيلها على المستوى اللفظي وغير اللفظي.

ولهذا يجب أن نميز بين البعدين الاتصالي والتواصلي، أي يجب ألا نخلط بين العملية الاتصالية والعملية التواصلية، فالعملية الاتصالية هي مجرد عملية إخبارية تهتم بنقل الخبر من المتكلم إلى المتلقي، حيث يهيمن المتكلم على المتلقي، بينما العملية التواصلية هو عملية حوارية تقتضي وجود طرفين أو أكثر يجري بينهما نقاش حاجي يحاول عن طريقه كل طرف إقناع الآخر، الإبلاغ والاتصال والإخبار

(١) اللغة والخطاب، عمر أوطان: ٣٥.

(٢) ينظر: الاتّصال والخدمة الاجتماعية: أميرة منصور: ١٧

(٣) ينظر: التّواصل اللساني والسيميائي والتربوي، جليل حمداوي: ٦-٧

كلها ترتكز على المتكلم، أما التخاطب والتواصل فهي تعتمد على المتكلم والمتلقي على حد سواء، وهنا التواصل يعطي معنى تبادل الافكار، وهو معنى من معاني التواصل الذي يشير الى مصداق واحد من مصاديق التواصل.

وكان التواصل محل اهتمام علوم عدّة منها علم النفس، وعلم الاجتماع، وغيرها من العلوم، لكن الأساس الذي بُنيت عليه النظرية هو مخطط (شانون)^(١)، والذي يتخذ الشكل الآتي^(٢):

مصدر الخبر - الباث - الإشارة النهائية - المتلقي
الهدف - الإرسالية - الإشارة المبنوثة - الإرسالية

ويرى بعض الباحثين أنّ هذا التواصل "المقصود فيه يفنقر إلى العوامل الاجتماعية والتداولية وإلى التفاعل، وهو تواصل ذو اتجاه واحد، مبني على الأوامر واجبة التنفيذ، ولا يعتمد على معطيات إنسانية، غايتها وقائع إخبارية تؤثر في المتلقي لتنتج تفاعلاً بينه وبين المتكلم"^(٣)، وبعد هذا المخطط انتشرت دراسات التواصل وتعددت تعريفات التواصل فقد عُرّف بأنه: "تبادل كلامي بين ذات متكلمة تنتج ملفوظاً موجهاً إلى ذات متكلمة أخرى ترغب في السماع أو في إجابة واضحة أو ضمنية على حسب النموذج الملفوظ من المتكلم"^(٤)، ولا يكتفي هذا التعريف بنقل الرسالة؛ بل يذهب إلى ضرورة فهم المتلقي لمقصد المتكلم فهماً صحيحاً لتتم عملية التّواصل بشكل صحيح، لهذا يعدّ التواصل قائم على التفاعل الذي يتم عبر الرموز أو الإشارات.

ويبدو للباحث إنّ مصطلح التواصل يعني نقل المعلومات والأفكار من المتكلم إلى المتلقي عن طريق رسالة قادرة على جعل المتلقي يتفاعل معها، ومن ثم يتأثر بها

(١) كلود إيلود شانون (ت ٢٠٠١م) عالم أمريكي في الرياضيات يعتبر من مؤسسي نظرية المعلومات، وقد كانت هذه المساهمة الاولية في نظرية المعلومات هي الخطوة الأولى في بحث طرق التشفير رياضياً، وكتابه المشهور جداً والذي يبحث النظرية الرياضية في الاتصال: الشبكة العنكبوتية، ويكيبيديا.

(٢) استراتيجيات التواصل من اللفظ إلى الإماء، سعيد بركراد: ٨

(٣) المصدر نفسه: والصفحة نفسها

(٤) اللغة والتواصل التربوي والثقافي، جميل حمداوي: ٧٨

ويُرتب أثر على تلك الرسالة، فليست كل عملية تبادل كلامي هي تواصل؛ إذ التواصل يختص بالعملية التي يكون فيها التفاعل والتأثر حاضراً.

ثالثاً: الألفاظ ذات الصلة بلفظ التواصل: إنّ المحاولات الإجرائية والمعرفية قد استعملت عدة مصطلحات توازي أو تقارب مصطلح التواصل بالدلالة منها الإعلام والبيان والأخبار والاتصال والإبلاغ، لكن المقابل لمصطلح التواصل هي مصطلحات (البلاغ والاتصال)^(١)، وبالاعتماد على الوظيفة التي يؤديها كل منها، والمصطلحات المستعملة مرتبة في مجموعات بحسب استعمال الباحثين العرب كترجمة للمصطلح (communicure) وهي كالاتي^(٢):

- ١- التواصل: استعمل هذا المصطلح مجموعة من الباحثين هم ميشال زكريا، عبد السلام المسدي، بسام بركة، أحمد المتوكل، مبارك حنون، كاطع نعمة الحلفي، توفيق الزبيدي، وائل بركات.
- ٢- الاتصال: قال به جمع من الباحثين منهم، تمام حسان، مجيد الماشطة، منذر عياشي، شكري محمد عياد، نصر حامد، سيزا قاسم، عادل فاخوري، بسام بركة.
- ٣- التوصيل: اختاره كمال بشر، محمود السعران، وصلاح فضل، محمد عناني.
- ٤- البلاغ: اختاره عبد السلام المسدي في قاموس اللسانيات.
- ٥- التبليغ: ذهب إلى ذلك محمد رضا مبارك.

وقد استعمل العرب لفظ (التواصل) في كلامهم، للدلالة على مفهوم الاتصال بالآخر والوصول إليه، فكانت لهم عبارات دالة على التواصل ومرتبطة به ومن هذه الالفاظ:

- ١- الإفادة: وتعني إفادة المتلقي، أي تبليغه الهدف من الرسالة، وهذا عينه التواصل؛ لأن التواصل يحتوي على رسالة مفيدة، ولا إفادة من دون تواصل.

(١) ينظر: اللسانيات المعاصرة في ضوء نظرية التواصل، نور الدين رايص: ٩
(٢) ينظر: الاعلامية في الخطاب القرآني، زهراء البرقعاوي: ٤٢-٤٣

- ٢- التعبير: ويقترّب هذا من مفهوم التواصل بتعريف اللغة عند ابن جنّي؛ إذ عرفها بأنّها: "أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم"^(١)، فكلّمة يعبّر المقرونة بـ(عن أغراضهم) يراد بها التواصل.
- ٣- المعاملة والتعاون والترافد والتعارف: فليست المعاملة والترافد، إلا من مفاهيم التواصل الاجتماعي.
- ٤- التفاهم: ونستشف ذلك من قول أبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ) وهو يتحدث عن وضع اللغة؛ إذ قال: "إنّ واضع اللغة حكيم ومن حكمته أن يضع الكلام للتفاهم"^(٢).
- ٥- التواصي^(٣): إنّ التواصل ثقافة كانت معروفة، وقد كانوا يعرفون أن كل تواصل هو اتصال، قاد إلى تواصل، ويمكن القول بوجود اشتراك بين دلالة التواصي والتواصل، هذه أقرب الألفاظ الدالة على التواصل، عند علماء العرب.
- ويظهر للباحث ممّا تقدم من تعريفات للتواصل تكاد تجمع على بيان شروط التواصل وهي التفاعل وترك الأثر الذي يجب أن تلازم عملية التواصل، وتبين كذلك عناصر التواصل، من متكلم ورسالة والسنن ومتلقي، فهذا العناصر الأساسية لعملية التواصل وبهذا يكون التواصل قائم على علاقة تفاعل وتبادل وتأثير وتأثر، بين فردين فأكثر، وقد يكون ذلك في مجال الثقافة والفكر والتربية والتعليم، وقد يكون في مجال الاقتصاد والسياسة وغيره، إنّ التواصل ليس مجرد تبليغ للمعلومات بطريقة خطية أحادية، ولكنه استقبال للأفكار والأحاسيس والرسائل التي تفهم؛ إذ كانت هذه الرسائل قابلة للتحليل والاستيعاب.

(١) الخصائص: ابن جنّي: ٣٣/١

(٢) مسائل خلافية في النحو، أبو البقاء العكبري: ٨١

(٣) ينظر: النظرية التواصلية بين علم اللغة الحديث وجهود علماء العرب، إيمان سليم يوسف: ١١٦/١١٢

المطلب الثاني: لفظة التواصل في القرآن الكريم

إن لفظ التواصل مفهوم مكتنز بدلالات عدة، بينها السياقات المختلفة التي ورد فيها، فأبو عبيدة (ت ٢٠٩هـ) في مجازه يرى أنه يعني التمام^(١)، في البداية ويرى الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) إنه يعني الانتماء والانتساب والانتها^(٢)، ويفسره ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) بالبيان والأخبار^(٣).

وجاء لفظ التواصل في القرآن الكريم في سياق مجموعة من الآيات، منها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَفُضُّونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٤)، في بيان معنى الآية يذكر الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) قول قتادة ويعلق عليه؛ إذ قال: "وقال قتادة قوله: يقطعون ما أمر الله به أن يوصل وقطيعة الرحم والقراية وقال غيره معناه الأمر بأن يوصل كل من أمر الله بصلة من أوليائه والقطع: البراءة من أعدائه وهذا أقوى، لأنه أعم من الأول ويدخل فيه الأول وقال قوم: أراد صلة رسوله وتصديقه، فقطعوه بالتكذيب وهو قول الحسن، وقال قوم أراد أن يوصل القول بالعمل، فقطعوا بينهما بأن قالوا ولم يعملوا وما قلناه أولاً أولى لانا إذا حملناه على عمومه دخل ذلك فيه"^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾^(٦)، قيل في تفسيرها: "والوصل ضم الثاني إلى الأول من غير فاصلة"^(٧)، "والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل من الرحم، وموالاته المؤمنين، وحضور مجالس

(١) ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة: ١٠٨ / ٢.

(٢) ينظر: الكشاف، الزمخشري: ٥٧٨ / ١.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٢٨٨ / ٥.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٧.

(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١ / ١١٩، ينظر: التفسير المنير، الزحيلي: ١٣ / ١٥٩، الأمثل، مكارم

الشيرازي: ١ / ١٤٢.

(٦) سورة الرعد: الآية ٢١.

(٧) مجمع البيان، الطبرسي: ٦ / ٢٧.

الصالحين، والعلماء العاملين، والاقنتاء بقولهم والاهتداء بهديهم"^(١)، ومثله قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَهُمْ سَوْءُ الدَّارِ﴾^(٢)، قيل في تفسيرها: "وذلك في مقابلة قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾"^(٣)، فجعل من صفات هؤلاء القطع بالضد من ذلك الوصل، والمراد به به قطع كل ما أوجب الله وصله ويدخل فيه وصل الرسول بالموالاة والمعاونة ووصل المؤمنين، ووصل الأرحام، ووصل سائر من له حق"^(٤)، فالتواصل هنا يدل على ضد القطع، لكن له مصاديق عدة منها ما هو معنوي كالموالاة ومنها ما هو مادي كصلة الرحم وغير ذلك.

وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مَبِثَّةٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصْرَتِ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَنِّلُوكُمْ أَوْ يَقْنِّلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقْنَلُوكُمْ فَإِنْ آعَزَلُوكُمْ فَلَمْ يَقْنِّلُوكُمْ وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾^(٥).

يرى الفراء تفسير هذه الآية أن قوماً "واثقوا النبي (ﷺ) ألا يقاتلوه ولا يعينوا عليه، فكتبوا صلحاً لم يحل قتالهم ولا من أتصل بهم، فكان رأيه في قتال رسول الله (ﷺ) كرايهم فلا يحل قتاله، فذلك قوله (يصلون) معناه: يتصلون بهم"^(٦)، وبحسب رأي الفراء أن (يصلون) يدل على وجود العلاقة بين طرفين وهذه العلاقة تقوم على الاتفاق بين الطرفين على أمر معين متفقين عليه مسبقاً.

(١) البحر المديد، بن عجيبة الحسني: ٢١ / ٣.

(٢) سورة الرعد: الآية ٢٥.

(٣) سورة الرعد: الآية ٢١.

(٤) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي: ٣٨ / ١٩.

(٥) سورة النساء: الآية ٩٠.

(٦) معاني القرآن، الفراء: ٢٨١ / ١.

ومن الآيات التي جاء بها لفظ التواصل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ

يَتَذَكَّرُونَ﴾^(١)، يرى الزجاج (ت ٣١١ هـ) معناها؛ "أي فصلناه بأن فصلنا ذكر الأنبياء

وَأَقَاصِيصَهُمْ، وَأَقَاصِيصٌ مَنْ مَضَى، بَعْضُهَا بِبَعْضٍ"^(٢)، فيما ذهب مكي بن أبي

طالب الأندلسي (ت ٤٣٧ هـ) "أي ولقد وصلنا يا محمد لقومك من قريش، وللإهود من

بني إسرائيل القول بأخبار الماضين"^(٣)، والتوصيل تكثير الوصل وتكريره يعني أن

القرآن آتاهم متتابعاً متواصلاً وعداً ووعيداً وقصصاً وعبراً ومواعظ ليذكروا

فيفلحوا^(٤)، وقيل في تفسير الآية، إن آيات القرآن جاءت "على أشكال متنوعة،

وكيفيات متفاوتة، فتارة تحمل الوعد بالثواب، وتارة الوعيد بالنار، وأخرى الموعظة

والنصيحة، وأخرى تنذر وتهدد، وأحياناً تحمل استدلالات عقلية، وأحياناً تحمل

قصص الماضين وتاريخهم المليء بالعبر، وخلاصة كاملة من الأحداث المتجانسة

التي يؤمن بها أي قلب فيه أقل استعداد للإيمان، حيث أنها تجذب القلوب إليها... إلا

أن عمي القلوب لم يذعنوا لها^(٥).

إن ما ذكر من آراء تكاد تجمع على أن هذا اللفظ يدل على نقل الخبر من

المتكلم إلى المتلقي ليجعله يتفاعل مع الخطاب ومضامينه ويتأثر بها.

(١) سورة القصص: الآية ٥١.

(٢) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ١٤٨/٤.

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب الأندلسي: ٥٤٦/٨.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١٤٢/٢٠.

(٥) ينظر: الأمثل، مكارم الشيرازي: ٢٥٣/١٢.

المطلب الثالث: تعريف الإعجاز التواصلي

بعد بيان ما يخص الإعجاز والتواصل، وما يتعلق بهما ولا سيّما ما له علاقة بهذه الأطروحة أصل إلى بيان المقصود من الإعجاز التواصلي.

والذي أقصده من الإعجاز التواصلي: هو تفاعل المتلقي مع القرآن الكريم، ذلك التفاعل القائم على الترابط الدائم بينه وبين متلقيه، والكائن في كلّ آية من آياته، فكل آية تخلق تواصلاً بين القرآن الكريم ومتلقيه؛ إذ في القرآن قدرة غير متناهية بخلق تفاعل ومن ثم تأثر في المتلقي، وهذا التفاعل بين مبدع القرآن الكريم ومتلقيه قائم على قدرة القرآن على إقناعه بمستوى يشعر أنه لا يوجد كلام له مستوى فوق مستواه، وبهذا يكون إبلاغ الرسالة السماوية التي جاء بها القرآن الكريم بصورة فاعله ومؤثره، وهذا التفاعل والتأثير يترتب عليه أثر في تغيير المنظومة الفكرية للمتلقي وسلوكه.

ثم إنّ الإعجاز التواصلي قائم كذلك على إيصال المعنى إلى نفس وعقل المتلقي عبر شفرات تحدث ردّة الفعل لديه، وإثارته التجاوب وتحقيقه بينه وبين القرآن الكريم.

ويمكن تعريف الإعجاز التواصلي برؤية أخرى إذ أرى إنه: هو تلك القدرة الإبداعية الذاتية للقرآن الكريم التي تجعل المتلقي يتفاعل معه، وإقناعه بالارتباط الروحي والنفسي والعقلي والوجداني معه، والسير على الخطى التي يرسمها له، بعيداً عن الإكراه والإجبار.

والإعجاز التواصلي في القرآن الكريم واضح وجلي يكشفه نجاحه في خلق التفاعل والتكامل بين عناصر العملية التواصلية، تلك العملية القائمة على أساس الانسجام بين جميع عناصر التواصل من المتكلم والمتلقي والرسالة والقناة والشفرة، ومن ينعم النظر في القرآن الكريم، يجد أنّ هذا الخصيصة في كلّ آية وفي كلّ سورة؛

لتخلق شبكة تواصلية من عناصر الكلام المتواشجة، التي تمنح القرآن إعجازه التواصلي.

إنّ الوقوف على التواصل في القرآن الكريم الذي يغدو الإعجاز فيه وصفاً لكل النص، وكذا ينطبق على مجموع تحققاته، وليس وصفاً يقتصر على موضع معين، وإنما هو خصيصة نوعية متميزة لصيقة بالقرآن الكريم ماثلة فيه، وهو ذلك الإعجاز الذي يظهر إلى متلقي القرآن فيراه ماثلاً؛ فإذا رجع المتلقي إلى نفسه وجد إحساساً وأملاً لا سبيل لردّه، بسبب القدرة التواصلية غير المتناهية الكامنة في القرآن، تلك القدرة التي تخلق تفاعلاً ومن ثمّ تأثير في المتلقي، بعد ذلك يجد المتلقي نفسه غير قادر على ترك التفاعل مع ما جاء به القرآن، فهذا معنى الإعجاز التواصلي، وهذا الإعجاز مظهر جلال الله تعالى، فمن تدبر ذلك شعر بالبون الشاسع بين كلام المخلوقين وكلام الخالق، وحكم بهذا الضرب من الإعجاز حكماً ضرورياً وجدانياً لا يستطيع أن يدفعه عن نفسه.

والقرآن الكريم بوصفه خطاباً دالاً، على مبدعه الله تبارك وتعالى ودالاً على ذاته؛ أي على كونه متفرد ومتعالٍ عن غيره من الكلام؛ لذا يضع نفسه في قلب التواصل اللساني المعجز، فهو يتضمّن دلالة الكلام على منشئه، ودلالة الكلام على ذاته، ودلالة الكلام على متلقيه، مع الأخذ بعين الاعتبار جلال المرسل في الخطاب القرآني، لذا وجدنا العلماء يتعاملون مع القرآن الكريم من مبدأ المطلق والنسبي، والتام والناقص، والواسع والمحدود، والدائم والتاريخي، والزماني والأنبي؛ فالمتكلم هنا هو الله عزّ وجلّ وهو المطلق وهو الكامل، وخطابه يكون على مثاله فهو تام لغة ومطلق دلالة، وأنه يكون من أجل هذا دائم التحقق في انتسابه إلى قائله، بينما متلقيه بالعكس تماماً؛ إذ هو نسبي ومحدود وتاريخي، لذا كانت قدرته على مثاله، تلك القدرة التي تمثلت بالعجز عن الوصول إلى القرآن الكريم، ويمكن القول أن التواصل: هو تفاعل المتلقي مع القرآن الكريم، وهذا التفاعل قائم على الإقناع والإمتاع بحيث يغير المنظومة الفكرية للمتلقي وسلوكه، عن طريق استخدام القرآن الكريم الأسلوب الأمثل في إقناع وإمتاع المتلقي والتأثير فيه مع مراعاة حاله.

الفصل الأول

التواصل الجذور والأسس والمرتكزات

المبحث الأول: التواصل في التراث العربي.

المبحث الثاني: أسس التواصل.

المبحث الثالث: مرتكزات التواصل.



المبحث الأول: التواصل في التراث العربي

توطئة:

إنّ الهدف من اللغة هي بيان المتكلم عن مقصوده، وذلك البيان هو فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة راسخة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم^(١)، هذا يدل على أن الوظيفة الأساسية للغة هي إقامة التواصل، عن طريق بيان مقاصد المتكلم.

واعتنى العلماء العرب وغيرهم من المسلمين برصد العلاقة بين اللغة ووظيفتها على أساس أن التراكيب اللغوية هي وسائل للتعبير عن أغراض تواصلية معينة؛ إذ تختلف بحسب السياق الذي وردت فيه، لهذا فإن الفكر اللغويّ القديم لعلماء الإسلام رصد ظاهرة التواصل، وسخر أدوات بلاغية، ونحوية، وأصولية للوقوف على تلك الظاهرة، وكان الهدف المشترك لعلماء النحو والبلاغة والتفسير والأصول والمناطقة يتمثل في فهم النص القرآني^(٢)؛ لهذا يمكن القول إنّ مفهوم التواصل نجده في الفكر العربي في كتب التفسير والبلاغة وعند علماء أصول الفقه، وفي الدرجة الثالثة في كتب النحو، وذلك أن العلوم الثلاثة الأولى هي بمثابة لسانيات الخطاب^(٣)؛ فدراسة العرب للتواصل لها أركانها وأهدافها وأسسها، فعلماء التفسير تعاملوا مع الخطاب القرآني وحاولوا استجلاء مكنوناته ممّا يجعلهم يوظفون آليات مختلفة في خدمة الموضوع، وكذا الشأن لعلماء أصول الفقه في تعاملهم مع النصوص الشرعية واستنباط الأحكام منها، وكذلك الأمر في الدراسات النحوية خاصة مرحلة سيبويه والخليل فالكتاب كما هو معروف لم يكن كتاب نحو وصرف بما هو متعارف عليه؛ بل نظر إلى اللغة نظرة تواصلية تراعي الأطراف المختلفة، ناهيك عن البلاغة فهي تعد من أهم العلوم المكتملة في الدرس العربي القديم؛ إذ تمثل علمًا للاتصال يتناول

(١) ينظر: مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون: ٣٥٢.

(٢) ينظر: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، يوسف تغزاوي: ١٧-

(٣) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي: ٩٥

كل ما يرتبط باستعمال اللغة وممارساتها من دون أن نستثني في ذلك مما له علاقة بالتواصل^(١).

ويدل على ذلك "أنّ البلاغي لم يكن يهتمّ بالخطاب الذي يكتفي بذاته، ولا يعير اهتماماً لمخاطبه، فلم ينظر البلاغيون إلى النص على أنه يهتم بالمتكلم فقط، فالعلاقة بين أطراف التواصل كانت من صلب اهتمامهم"^(٢)، ويرى بعض الباحثين: "إنّ العلاقة بين المرسل والمتلقي التي حرصت البلاغة على إبرازها قد وجدت طريقها إلى نظرية الاتصال^(٣)".

وكانت عناية العرب بالشعر والشعراء من أبرز أسبابه، هو معرفة القدرة التواصلية للشعر والشعراء على توصيل الأفكار أو بالأحرى نجاح تواصل؛ أي جعل المتلقي يتفاعل مع ما يُلقيه المتكلم، وهذا يؤكد لنا إنّ اهتمام العرب بالشعر لم يكن لشكل أو البنية الخارجية للشعر أو أسلوبه؛ بل لقدرة الشعر التواصلية؛ وذلك بإثارة المتلقي وجعله يتفاعل معه؛ "لهذا لما نزل القرآن كان في ذلك حافزاً للانتباه أكثر لكل هذه العناصر التواصلية فهو نصّ وخطاب وإذا كان الخطاب يمتاز عن النص بأنه يفترض وجود السامع لحظة بروز الخطاب فإن القرآن كذلك له قارئ ومخاطب في كل لحظة وأن"^(٤).

ولقد كشفت الدراسات الحديثة إنّ العلماء المسلمين القدامى دمجوا بين الاتجاه التواصلية والدرس اللغوي سواء في جمع المادة اللغوية أو اشتراط الفائدة عند النحويين ومراعاة التنوع اللهجي ولا أدل على ذلك من المكانة التي نالها السماع كأصل لغوي فقد تنبهوا إلى أنه لا يوجد كلام أصلاً إلا منطوق في سياق تواصلية.

(١) ينظر: التواصل اللغوي في الخطاب القرآني، دراسة في الاستئناف البياني، العزوي حرزولي: ٤٠

(٢) المصدر نفسه: ٣٥

(٣) علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري: ٢٣

(٤) الدرس النصي في كتاب أصول الفقه على ضوء لسانيات النص، خالد الرفاعي: ٢١٤



الفصل الأول: التواصل الجذور والأسس والمرتكزات

كما إنَّ العلماء من مفسرين وأصوليين ونحويين وغيرهم على الرغم من اختلاف أدواتهم البحثية ومناهجهم العلمية إلا أنهم في موضوع التواصل أتفقوا في الجوهر والعمق؛ وذلك بحكم نظرتهن الموحدة إلى اللغة بعدها أداة لخدمة الغرض الديني، ووظيفتها التواصلية على اختلاف المصطلحات التي استعملت، وانطلاقاً من هذه المقدمة يمكن ذكر جهود علماء المسلمين الأوائل في رصد عناصر النظرية التواصلية؛ لهذا سأقف على ذلك بذكر ملامح هذه النظرية التواصل في المدونة النحوية، والبلاغية، والتفسيرية، والأصولية.



المطلب الأول: ملامح التواصل عند النحويين

تظهر ملامح التواصل عند النحاة عن طريق ابعاد ثلاثة هي:

١- الأصول النحوية كالسماع؛ إذ تبين النظرة التواصلية للغة في ذاتها؛ إذ يعد السماع أحد مصادر التعقيد^(١)، فالسماع يتضمن الإشارة إلى الحدث الكلامي من وجود المتكلم والسماع، والحيز الزماني الذي يمثل عصر الاحتجاج، فضلاً عن الحيز المكاني، وهو مناطق القبائل العربية التي تسكن مناطق جغرافية معينة، وهذه كلّها تمثل أبعاداً تواصلية، فالسماع يدرس اللغة في حالاتها التطبيقية التواصلية.

٢- اشتراطهم في الكلام عنصر الإفادة الذي يعدّ تعبيراً عن التواصل؛ لأن الكلام الذي لا يحصل منه فائدة لا يكون تواصلياً^(٢).

٣- معالجة أبواب الحذف والإغراء والتحذير، فالاعتناء بهذه الأبواب يعد من الاعتناء بالأبعاد التواصلية؛ وذلك لأنها تحدث تواصلاً لما تحدثه من لفت أنتباه المتلقي، فذلك يشوق المتلقي، ويجعله يتفاعل مع النص، ويظهر هذا في اهتمام اللغويين العرب بالعناصر الخارجية المحيطة بالكلام المساعدة في تبليغ الرسالة بين طرفي العملية التواصلية^(٣).

فضلاً عن ذلك وجود المباحث التواصلية في مؤلفاتهم، فقد اعتنى النحويون بعناصر التواصل، فقد كان لأثر التلقي والمتكلم كثير من الاهتمام في مباحث النحويين؛ فكل تركيب لغوي يمثل حلقة تواصلية ثلاثية بين المتكلم والشيء الذي يرمز إليه بكلام والمتلقي لذلك التركيب اللغوي^(٤).

إنّ الفصل والوصل ومجموعة من الظواهر التركيبية التي اعتنى بها النحاة والبلاغيون القدامى أصبحت اليوم تشكل أساساً للنظرية التواصلية، إلا أنّهم لم يقدموها بمنهجية منظمّة أو مُمنهجة، ولم يعيروا الاهتمام إلى بعض الجوانب

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري: ٦

(٢) ينظر: النظرية التواصلية بين علم اللغة الحديث وجهود علماء اللغة العرب، إيمان سليم يوسف: ١٠٩

(٣) ينظر: التواصل اللغوي في الخطاب القرآني، دراسة في الاستئناف البياني، العزوزي حرزولي: ٥٠

(٤) ينظر: البلاغة والاسلوبية، محمد عبد المطلب: ٢١٠.

المحيطة بها كالمقام والسياق الداخلي والخارجي؛ إذ أن الدراسات الكلاسيكية انصبت جهودها غالباً على حدود الجملة^(١).

وأرى صواب هذا الطرح؛ إذ المنهجية غائبة عن دراسات القدماء، فلو رجعنا إلى اقدم كتاب في اللغة وهو الكتاب لسيبويه فإنّ "التواصل بأشكاله وأنواعه موجود في فكر سيبويه؛ لأنّ الشواهد والأمثلة التي ساقها سيبويه في أغلبها ذات طبيعة حوارية تخاطبية أو إخبارية، بدءاً من الآيات القرآنية التي يتراوح معظم مدلولاتها ما بين الخطاب المباشر أو غير المباشر وبين الإخبار والتقرير، ومروراً بالشعر الصادر من متكلم إلى جمهور من المستمعين قلّ أو كثر، وانتهاءً بالتعبير والاقوال المستقاة من أفواه العرب"^(٢)، لكن هذا مقتصر على جانب التطبيق الإشارات العابرة، ولم يكن ضمن نظرية واضحة المعالم، وتطبيق النظرية شيء ووضع قواعد وأسس ممنهجة لها شيء آخر.

ويمكن تلخيص ملامح التواصل في النحو العربي بجملة أمور^(٣):

١- حدّد علماء النحو عناصر التواصل؛ إذ أكدوا على أهمية المتكلم والمتلقي وعضدهما محور العملية التواصلية؛ لأنّهما يتبادلان رسالة عن طريق اللغة في سياق معين يسوده الفهم والإفادة والغرض.

٢- اهتمامهم بالوظائف التواصلية في كثير من أبواب النحو.

٣- يرى علماء النحو أنّ التواصل لا يتمّ بواسطة مفردات أو جمل؛ بل بواسطة نصوص بوصف النص وحدة تواصلية متكاملة، وبذلك ميّزوا بين القدرة اللغوية والقدرة التواصلية، ونجاح التخاطب محكوم بخضوع الخطاب إلى ضابطين الوضوح والإفادة، وإنجاز الوظيفة التواصلية.

٤- استمد النحو قوته من العلاقة التواصلية بين أطراف الخطاب، وهذه العلاقة لم تكن لتحصل لولا استراتيجيات استندوا إليها في توضيح المعاني النحوية

(١) ينظر: التقنيات البلاغية في التواصل اللساني وأبعادها التداولية، يوسف تغزاوي، مجلة الكلمة، ع ٦٧، تشرين الثاني، ٢٠١٢.

(٢) التواصل اللساني في شرح كتاب سيبويه للسيرافي، علي جواد الذبحاوي: ٢٩

(٣) المصدر نفسه: ٤١-٤٢

وأحكامها، ومن ذلك السياق، ومثال على ذلك أهمية المقام في الخطاب التواصلية لتحديد مفهوم الرسالة لدى المتلقي، نلمس ذلك في ردّ ابن هشام (ت ٧٦١هـ) على الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)؛ إذ قال: "الزمخشري قال في ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ إِنَّ السَّيْنَ مَفِيدَةٌ وَجُودُ الرَّحْمَةِ لَا مُحَالَةٌ فَهِيَ مُؤَكَّدَةٌ لِلْوَعْدِ وَاعْتَرَضَهُ بَعْضُ الْفَضْلَاءِ بِأَنَّ وَجُودَ الرَّحْمَةِ مُسْتَفَادٌ مِنَ الْفِعْلِ لَا مِنَ السَّيْنِ وَبِأَنَّ الْوَجُوبَ الْمَشَارَإِلَيْهِ بِقَوْلِهِ لَا مُحَالَةٌ لَا إِشْعَارَ لِلسَّيْنِ بِهِ وَأَجِيبُ بِأَنَّ السَّيْنَ مَوْضُوعَةٌ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْوُقُوعِ مَعَ التَّأَخُّرِ فَإِذَا كَانَ الْمَقَامُ لَيْسَ مَقَامَ تَأَخُّرٍ لِكَوْنِهِ بَشَارَةٌ تَمَحُّضَتْ لِإِفَادَةِ الْوُقُوعِ وَبِتَحَقُّقِ الْوُقُوعِ يَصِلُ إِلَى دَرَجَةِ الْوَجُوبِ"^(١)، ولم يكن غرض الباحث تقصي الشواهد على اهتمام علماء النحو بعناصر التواصل، وإنما ذكر هذا الشاهد ليدل على اهتمامهم بالتواصل و اتخذها مرجحاً في التحليل اللغوي.

ويخلص الباحث ممّا تقدم إنّ علماء اللغة العربية لم يكتفوا بالإشارة إلى التواصل وعناصره ووظائفه؛ بل أشاروا إلى كيفية تجويد التواصل وتحسينه، لدى المخاطب؛ لتكون الرسالة التواصلية في أحسن حالتها، نطقاً ووصولاً وإفادة وتأثيراً، وإنّ في عملية التواصل اللغوي يحول المتكلم المعنى إلى مبنى؛ أي من معاني في الذهن إلى ألفاظ منطوقة، ويحول المتلقي المبنى إلى معنى، أي من كلمات منطوقة إلى معاني يفهمها من تلك الكلمات؛ فالتكلم هو صاحب المعنى ومنشئه وموجهه، وهو المسؤول عن وضوحه والتباسبه، وبقدر ما يوفق المتكلم، وبقدر ما يلتزم بالنظام اللغوي الذي اتفقت عليه الجماعة، يكون هذا عوناً للمتلقي على فهم المعنى المقصود، واستنتاج غرض المتكلم دون لبس.

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام: ٨٧٠

المطلب الثالث: التواصل عند المفسرين

لقد اهتم علماء التفسير، بأركان التواصل وعناصره، وبتوظيف السنن (اللغة) في نجاح التواصل، من دون نقص أو لبس، لأن ذلك من شأنه أن يقود إلى الوظيفة المرتجاة من التواصل^(١)، والدليل ملامح التواصل عند المفسرين "أنّ تلقي نظرة على مقدمات التفاسير لنرى ما يوليه المفسّرون من أهمية لعلوم اللغة وهي الاداة الأهمّ في التواصل مع الخطاب القرآني فلا بدّ للمفسّر أن يستوعب هذا الخطاب ليشرحه لغيره"^(٢).

كما أن عناية المفسرين بأسباب النزول والمكي والمدني والقصة والمقام وقرائن الحال والمخاطبين يدل على أخذهم بأهم أطراف التواصل؛ فقد تنبه العلماء القدامى إلى النظر للقرآن بصفته خطاباً وذلك بالحديث عن تأثيره على من يسمعه؛ ذلك أنّ أهل مكة وهم أول من سمع القرآن يعدون أفصح العرب لساناً وأكثرهم معرفة بأفانين القول أحسوا في القرآن قوة خلافة وتياراً جارفاً يريد أن يبسط سلطانه حيث يصل صوته^(٣).

ولما كان القرآن نزل مفزقاً على مدة زمنية تربو على ثلاث وعشرين سنة، كانت المناسبة واضحة في سياقه، وهذا ما أدى إلى كثرة التحاور والتساؤل في سياقاته؛ مما جعل النص أكثر حيوية واستهواء للمتلقى استماعاً وفهماً، وبهذا بلغ النص مراده وهو التواصل مع المتلقي^(٤).

إنّ بواكير التواصل كانت حاضرة عند علماء التفسير الأوائل؛ "لإدراكهم العناصر المهمة في الحدث التواصلية"^(٥)، فقد أدرك المفسرون أن التواصل لا يتضمن فقط فعل الإخبار، بل يبحث أيضاً عن طرق التأثير في الآخر، وإيهامه

(١) ينظر: النظرية التواصلية بين علم اللغة الحديث وجهود علماء اللغة العرب، ايمان سليم يوسف: ١٤٥

(٢) التواصل اللغوي في الخطاب القرآني، دراسة في الاستئناف البياني، العزوزي حرزولي: ٦٢

(٣) ينظر: أسلوب الدعوة القرآنية، دعوة ومنهاجاً، عبد الغني محمد سعد بركة: ٤٣.

(٤) ينظر: التواصل اللغوي في الخطاب القرآني، دراسة في الاستئناف البياني، العزوزي حرزولي: ٦٤-٦٥

(٥) النظرية التواصلية بين علم اللغة الحديث وجهود علماء اللغة العرب، ايمان سليم يوسف: ١٤٠

وإغرائه، فقد كان المفسرون مدركين تمام الإدراك، أن نجاح التواصل مهم بين المتخاطبين، بتنوع وسائل تبليغ الرسالة.

ومن الأمثلة على اهتمام علماء التفسير بتوظيف السنن في نجاح التواصل؛ لأن ذلك من شأنه إنجاح التواصل، من ذلك قول ابن عطية (ت ٥٤٢هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أُنْتِكَ نَبُؤُا الْخَصْمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾^(١)، "هذه مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم واستفتحت بالاستفهام تعجيباً من القصة وتفخيماً لها، لأن المعنى: هل أتاك هذا الأمر العجيب الذي هو عبرة، فكأن هذا الاستفهام إنما هو تهيئة نفس المخاطب وإعدادها للتلقي"^(٢)، فالسنن توظف من أجل فهم الرسالة بين المتكلم والمتلقي.

وقد أدرك المفسرون أن التواصل ليس إلقاء الرسالة وكفى؛ بل لا بد من نجاح هذا الإلقاء، وبحسن الاستقبال من المتلقي، ووضوح ردة فعله تجاهها، فالمعاني تُفهم عند المتلقي وفقاً للغة للمشاركة بينه وبين المتكلم، وهذا ما يراه الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾^(٣)، "وكان ضم قوله: ﴿أَلَيْسَ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ إلى قوله: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ إلخ من قبيل ضم المقطوع به إلى المشكوك فيه لإيجاد الطمأنينة في نفس المخاطب وإزالة ما فيه من القلق والاضطراب كقول السيد لخادمه: لك جميع ما ملكته وزيادة هي كذا وكذا فإنه إذا

(١) سورة ص: الآية ٢١

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية: ٤٩٧/٤، وينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ٥٤٤/٩

(٣) سورة المائدة: الآية ٥



ارتاب في تحقق ما يعده سيده من الإعطاء شفع ما يشك فيه بما يقطع به ليزول عن نفسه أذى الريب إلى راحة العلم"^(١).

نرى أن السيد الطباطبائي يذهب إلى أهمية اختيار سنن معينة ومنها ضم المقطوع به إلى المشكوك به يحقق التواصل بين المتكلم والمتلقي والرسالة؛ وذلك بإزالة الشك عن نفس المتلقي ليقبل المتلقي الرسالة وتكون ردة فعله إيجابية تجاهها بعد زوال الشك عنه الذي حصل عن طريق ضم المقطوع به.

مما تقدم ذكره يظهر للباحث إنَّ التواصل عند المفسرين يعتمد على العلاقة بين طرفي الخطاب، وأثر المتكلم في إبلاغ الرسالة، أو أثر المتلقي في تحليلها كما ينبغي، فك شفرتها مع دخول الشفرة عاملاً أساسياً في تحديد نوع الرسالة، وذلك عبر دلالاتها، فضلاً عن الاهتمام بعوامل نجاح التواصل، وكيف يدور التواصل بين المتلقي والمتكلم، حتى تنجز الرسالة وتتحقق أهدافها، وذلك بترك أثرها في المتلقي.

(١) الميزان، الطباطبائي: ١١٧ / ٥



المطلب الثالث: ملامح التواصل عند الأصوليين

نلمح التواصل عند علماء الأصول في محاولتهم استنباط الأحكام على وفق مقاييس كثيرة منها ما يفهمه المتلقي العربي من النص أو بطريقة أخرى كيف يتفاعل مع النصوص الدينية ولاسيما القرآن الكريم^(١)، إنَّ التفاعل مع النص، وفهمه هي مرتكزات التواصل؛ فلا تواصل من دون ذلك.

إنَّ التواصل في الدراسات الأصولية له خصوصيته، وله لزومياته، حتى أن القصد والإفهام فيه - وهما من خصوصيات التواصل - لهما خصوصيات التعبد - أحياناً - لا اللغوية العرفية أو التداولية الاجتماعية، وكل حكم تكليفي ثبت بالخطاب القرآني وجب التعبد به، وأن أركان التواصل كلها، حتى أن السياق فيها سياق مشاهدة حضورية، لكن فهم الرسالة ليس كما عهدناه في التواصل اللغوي، عند اللغويين والمفسرين والبلاغيين، بل هو مشروط بفهم أحكامه الشرعية، مقرونة بأدلتها الأصولية، وهذا خصوصية فهم الدلالة والتواصل لدى علماء الأصول، والتواصل عند علماء الأصول له أركان عدة هي^(٢):

الركن الأول: الخطاب وهو الحكم نفسه.

الركن الثاني: وهو المتكلم (المخاطب)، فالحكم خطاب وللکلام فاعل وهو المتكلم.

الركن الثالث: المخاطب (المكلف) وشرطه أن يكون عاقلاً يفهم الخطاب؛ لأنَّ التكليف مقتضاه الامتثال والطاعة.

الركن الرابع: وهو الفعل الداخل تحت التكليف.

وهذا يعني أنَّ الأصوليين لم ينظروا إلى الخطاب مجرداً عن المتكلم به والمتلقي له، وعن وجوه العلاقات بين المتكلم والمتلقي؛ بل نظروا إليه في نطاق

(١) ينظر: التواصل اللغوي في الخطاب القرآني، دراسة في الاستئناف البياني، العزوزي حرزولي: ٥٥

(٢) ينظر: النظرية التواصلية بين علم اللغة الحديث وجهود علماء اللغة العرب، إيمان سليم يوسف: ١٦٧

استعماله وتداوله، ومن ثمّ لزمهم الاعتناء بشروط تحققه، من وجود المتكلم الحاكم والمتلقي المُكلف ومعرفة لمقاصد المتكلم، وكذا وجود فعل يكون مناط محور أو مناط التواصل^(١)، فالتواصل عند الأصوليين لا يكون بالفهم الشخصي، بل بالأدلة المعتمدة المعروفة.

ويظهر اهتمام علماء أصول الفقه بالتواصل في تعاملهم مع القرآن الكريم في أقوالهم ونجد ذلك في ما ذكره الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)؛ إذ قال: "فحيث ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام كنوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهارون فإنما ذلك تسليّة لمحمد عليه الصلاة والسلام وتثبيت لفؤاده لما كان يلقي من عناد الكفار وتكذيبهم له على أنواع مختلفة فتذكر القصة على النحو الذي يقع له مثله"^(٢)، هذا ما قاله الشاطبي في معرض كلامه عن مساق القصة الواحدة بحسب اختلاف الأحوال.

ومن الأمثلة على بيان نظرة الأصولي للتواصل ما جاء في بيان دلالة قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَجْهِ مِئَاتَةَ جَلْدٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣)، يقدم الأصولي دليله لبيان دلالة الآية يقول الكيا الهراسي (ت ٥٠٤هـ): "فكيف ينتظم مع هذا أن يكون الرجم مشروعاً في ذلك الوقت في حق الثيب، وهم كثر الناس أو شطرهم، ولا يتعرض له أصلاً ولا يذكره؟ فلا بد أن يقال: إن في ذلك الوقت ما كان الرجم مشروعاً، ثم شرع الله تعالى الرجم بعده، فصار ناسخاً للجلد في حق الثيب، وليس يجوز إطلاق لفظ التخصيص في كل موضع، بل للكلام قرائن أحوال، يعلم بها مقصود المتكلم ضرورة، وهذا مما لا يمكن فيه إغفال الرجم وإرادة الجلد في حق الأبقار"^(٤)، يتبين من هذا القول إنّ

(١) ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ادواري العياشي: ٤٢

(٢) الموافقات، الشاطبي: ٢٧٤ / ٤

(٣) سورة النور: الآية ٢

(٤) أحكام القرآن، الكيا الهراسي: ١٩١/٤



الفصل الأول: التواصل الجذور والأسس والمرتكزات

الكيالهرّاسي يعتمد في بيان مفهوم ودلالة ألفاظ الآية بالاعتماد على الواقع المعاش مع الأخذ بنظر الاعتبار الدليل الاصولي المعتبر عنده.

وأخلص ممّا تقدم إلى أن علماء الأصول لم ينظروا إلى الخطاب نظرة مجردة؛ بل نظروا السياق، وإلى المتكلم وسلطته الحاكمة، والمُخاطَب المكلف فضلاً عن الحكم الشرعي وهو مناط التواصل، وهذا هي أركان التواصل المعروفة في الدرس التواصلية الحديث.

المطلب الرابع: التواصل عند علماء البلاغة

إنّ البلاغة ألصق العلوم بدراسة التواصل، وهذا ما نلمسه في تعريف البلاغة، فهو شامل للحدث الكلامي بكل عناصره؛ إذ عُرِّفت البلاغة بأنها: "يكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع"^(١)، في هذا التعريف وعي بأهمية قطبي التواصل (المتكلم، والمُخاطب) في نجاح العملية التواصلية، فضلاً عن الاهتمام بالرسالة.

ويرى بعض الباحثين ملامح النظرية التواصلية؛ إذ يقول: "نلمس عند البلاغيين اهتماماً أكبر بالعملية التواصلية؛ لأنّ الدرس البلاغي وثيق صلة بمثل هذه الجوانب؛ لاهتمامه أساساً بالخطاب وجماليته وآياته ونقده، عند المتكلمين والمعتزلة تعريف بهم وغيرهم، الذي اتخذوا البلاغة وسيلة للإفهام والاقناع والانتصار لأفكارهم"^(٢).

ويظهر هذا في كتب التراث العربي؛ إذ "أنّ مفاهيم البلاغة والاتصال والتداولية تبحث جميعها في طبيعة الاتصال وأركانه، مع خصوصية كل مصطلح فيما يقدمه للتواصل، أما مصطلح الصنعة المرتبط بفهم العربية وقواعدها بضمن مساقاتها، فيتعدى عنده ليصل إلى مهارات المتكلم في إنشاء الخطاب، وتخير اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن الصورة، والخيال، وجودة الرصف، وانتقاء الأسلوب... ما يساعد المتلقي على تذوق الفعل التواصلية والانخراط فيه تفاعلياً... فضلاً عن وقوفه على عناصر الاتصال، ووظائفه، وأسباب نجاحه أو فشله"^(٣).

وقد يكون عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) أبرز البلاغيين العرب الذين ذكروا العملية التواصلية وأركانها، ووظائفها وآليات نجاحها، إنّ مفهوم التواصل كان حاضراً عند عبد القاهر الجرجاني، وتمثل ذلك في اهتمامه بالمتكلم وبالرسالة

(١) البيان والتبيين، الجاحظ: ٩٠

(٢) التواصل اللغوي في الخطاب القرآني، دراسة في الاستئناف البياني، العزوي حرزولي: ٦٩-٦٩

(٣) الاتصال اللساني وآلياته التداولية في الصناعتين لأبي هلال العسكري، سامية بن يامنة: ١٩٥-١٩٦، وينظر:

الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، سعد مصلوح: ٣٠

التواصلية اهتماماً كبيراً، فيهذب ألفاظها، ويرتبها ويحفظها من الخلل في المعنى، لا أن تكون الرسالة التواصلية لعقا كحديث الصبيان^(١)، فالاهتمام ببناء الرسالة أدعى إلى حسن الإبلاغ والإفهام عند المخاطب، لتكون هناك عملية تواصلية سليمة.

ومن الظواهر التي تدل على نظرية التواصل (الحذف) الذي يتوقف على كفاءة المتخاطبين التواصلية؛ إذ يقول عبد القاهر الجرجاني عن الحذف: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المآخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين"^(٢).

ويظهر أن الجرجاني واعياً تماماً بالتواصل؛ إذ يجمع المسألة الكلامية بالمعرفة في عملية التواصل التي ينظمها العلم ويحكمها العقل، فيركن إلى النحو الذي يستكنه تراكيب الجمل، ثم يستند إلى علم البيان بأقسامه المتنوعة، وبعد ذلك يضع مسألة تحديد المعنى والوصول إلى دلالاته بيد المتلقي الفاهم والحاذق، الذي يعلم بأسرار التراكيب والإسناد ومعانيه أن يصل إلى المعنى الذي قصده المتكلم^(٣).

ومن الأمثلة على ذلك اهتمام علماء البلاغة بالسنن المشتركة بين المتخاطبين، ومن ذلك الأساليب التي من شأنها إيضاح مقاصد الرسالة، ومن ذلك أسلوب التشكيل، فهو أسلوب بلاغي مؤثر في سياق التواصل، والمقصود من التشكيك هو: "فهو أن يأتي المتكلم في كلامه بلفظة تشكك المخاطب هل هي فضلة أو أصلية لا غنى للكلام عنها؟"^(٤)، وقد بين النويري (ت ٨٢٧) أهمية هذا أسلوب التشكيك في تأويل قوله

تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُوبُهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبًا

(١) ينظر: المعنى عند عبد القاهر الجرجاني في ضوء فكرة التواصل، صلاح كاظم هادي: ١٨١

(٢) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١/١٤٦

(٣) ينظر: المعنى عند عبد القاهر الجرجاني في ضوء فكرة التواصل، صلاح كاظم هادي: ١٨١

(٤) نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري: ١٤٠/٧

بِالْمَكْدَلِ^(١)، قال النويري: "فإن لفظة ﴿بَدَيْنِ﴾ تبعث على الشك عند السامع هل هي فضلةٌ أو أصلية؟ فالضعيف النظر يظنها فضلةً لأن لفظة تداينتم تغني عنها، والناظر في علم البيان يعلم أنها أصلية؛ لأن لفظة الدين لها محامل، تقول: داينت فلاناً المودة، يعني جازيته، وكل هذا هو الدين المجازي الذي لا يكتب ولا يشهد عليه، ولما كان المراد من الآية تمييز الدين المالي الذي يكتب ويشهد عليه، وتيسير أحكامه، أوجبت البلاغة أن يقول: ﴿بَدَيْنِ﴾ ليعلم حكمه^(٢)، فهذا الأسلوب كان سبب وضوح الرسالة، واعتماد المتكلم على أساليب من شأنها بيان مقاصد الرسالة، وتبيين كفاءة المتكلم، وتدعو المتلقي للتفاعل مع الرسالة وتأمل مضامينها، وبهذا يكون تواصل بين المتكلم والمتلقي والرسالة، وهذا الأمر ممّا تؤكد عليه التواصلية.

وبهذا يتضح للباحث إنّ التواصل حاضر في فكر علماء البلاغة؛ إذ اتفق علماء البلاغة على ارتباط الفصاحة بالبيان والوضوح، وهو ما أكدته الدراسات اللسانية التواصلية المعاصرة؛ أي وجود شفرة مفهومة واضحة خالية من الغموض واللبس، لتكون عملية تواصلية هادفة.

وممّا تقدّم يمكن القول إنّ علماء المسلمين أدركوا مفهوم التواصل، وعناصره ومكوناته، وما يتطلبه التواصل، وأدركوا أهمية القصد في الرسالة التواصلية، وكذلك أهمية المعنى، وأكثروا الكلام عن ذلك كله، ولأجل ذلك قدموا كل ما من شأنه خدمة هذا التوجه.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٢

(٢) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري: ١٤٠/٧



المبحث الثاني: اسس التواصل

نقف في هذا المبحث على أهم الأسس التي يقوم عليها التواصل، والتي كانت نقطة الانطلاق في التنظير له.

المطلب الأول: نظريات التواصل

ذكر الباحثون للتواصل مجموعة من النماذج التي تمثل نظريات التواصل أذكر أبرزها:

الأول: النموذج السلوكي: وضع هذا النموذج المحلل النفسي (هارولد دوايت لاسويل)^(١)، ونموذجه يقوم على إن الرسالة لا تحمل هدفًا في ذاتها؛ بل هدفها يتمثل في الأثر الذي يتركه في المتلقي ومدى تغير سلوكه من جهة، ومدى تمكن الباث (المُرسل) من تعديل أسلوب تواصله إذا ما ظهر فيه خلل، وهذا النموذج يندرج تحت المنظور السلوكي الذي شاع في الولايات المتحدة الأمريكية، الذي يعتمد على ثنائية المثير والاستجابة^(٢)، الواضح من هذا النموذج إنه يركز على الوظيفة التأثيرية؛ أي التأثير على المتلقي من أجل تغيير سلوكه.

الثاني: النموذج الرياضي: وضعه (شانون)، إن هذا النموذج لفت انتباه المختصين بحقل الإعلام، وأدخل اللغة الإنسانية في عالم الرياضيات؛ لأن (شانون) نشر عام (١٩٤٩م) أهم عمل بـ(عنوان النظرية الرياضية للتبليغ)، وكان له أثر عميق على علماء اللسان والنفوس، ويعدّ اللسانيون وعلماء التواصل أن نظرية (شانون) من أهم نظريات المعلوماتية ونظريات التواصل اللغوي بشكل خاص وأشهرها، إن النظرية التي وضعها (شانون)، تُعد هي الأهم في بحث الدلالة الكامنة وراء الأصوات إن كانت اللغة شفوية، ووراء الأحرف إن كانت اللغة مخطوطة،

(١) هارولد دوايت لاسويل، عالم اجتماعي أمريكي (ت ١٩٧٨م) درس تأثير أجهزة الإعلام على تكوين الرأي العام، وهو صاحب صيغة (لاسويل) الشهيرة في تصميم الرسائل الاعلامية المستنبطة من طرح الاسئلة التالية، (من يقول، ماذا يقول، بأية وسيلة، لمن، وبأي قصد؟): الشبكة العنكبوتية، ويكيبيديا.

(٢) ينظر: التواصل والتفاعل المدرسي، تاعوينات علي: ٢٠

وتباين قوانين الشفرة التي وظفها المتكلم، لأننا قد نجد جملة تتسم بجمال بنائها وحلاوة جرسها، لكنها تكون غير ذات معنى على الإطلاق^(١).

الثالث: النموذج الاجتماعي: هذا النموذج يعتمد على معرفة وفهم طريقة انتماء الأفراد إلى الجماعات، فالمتكلم هو المعتمد والمتلقي هو الذي يمثل جماعات أولية مثل العائلات والتجمعات والجماعات الصغيرة، وهؤلاء الأفراد يتأثرون ويفكرون ويرون الأمور والأشياء بمنظار الجماعات التي ينتمون إليها، وهي بدورها تتطور في حضان السياق الاجتماعي الذي أفرزها، إنَّ هذا النموذج يندرج تحت علم الاجتماع وبالخصوص علم النفس الاجتماعي، إذ يرصد مختلف العلاقات الاجتماعية والنفسية بين المتواصلين داخل السياق الاجتماعي، وهذا يؤدي بدوره إلى تأسيس علم تواصل الجماعة، وهو من المفاهيم التواصلية الأساسية^(٢).

الرابع: النموذج اللساني: اهتم اللسانيون بالتواصل بشقيه اللغوي وغير اللغوي، وفي طليعتهم (سوسير)^(٣)؛ إذ تعرضوا إلى إشكالية التخاطب، فقد تجاوز عملية التخاطب التي تفرض مرسلًا ومتلقيًا وكلمات متبادلة^(٤)، ويُعدّ (سوسير) أول بنيوي يؤسس لنظرية التواصل؛ إذ استطاع أن يزوج بين البنيوية والانفتاح على المجتمع بعدّه المكان الطبيعي الذي ينشأ فيه التواصل^(٥).

مما تقدم يخلص الباحث إنَّ للتواصل مجموعة نظريات تنوعت في العرض بناءً على الخلفيات الفكرية لأصحابها، فكل نموذج قرره صاحبه على وفق ما يؤمن به والغاية التي يقصدها، لكن المحور المشترك بين جميع النماذج هو التفاعل بين المتكلم والمتلقي والرسالة، وعلى الأثر الذي تتركه في المتلقي سواء أثر في سلوكه، أو طبيعة علاقاته الاجتماعية، أو طبيعة فهم الرسالة، أو الغاية من عملية التخاطب.

(١) ينظر: اللغة والتواصل، إقترايات لسانية للمتواصلين: الشفوي والكتابي، عبد الجليل مرتاض: ٨٢-٨٣

(٢) ينظر: التواصل والتفاعل المدرسي، تعاويينات علي: ٢٢

(٣) فردينان دو سوسير أو فردينان دو سوسور، (ت ١٩١٣م) عالم لغوي سويسري شهير، يُعد بمثابة الأب للمدرسة البنيوية في علم اللسانيات، فيما عدّه كثير من الباحثين مؤسس علم اللغة الحديث، وكان مساهما كبيرا في تطوير العديد من نواحي اللسانيات في القرن العشرين، كان أول من اعتبر اللسانيات كفرع من علم أشمل يدرس الإشارات الصوتية؛ فقد اقترح تسميته بعلم الإشارات: الشبكة العنكبوتية، ويكيبيديا.

(٤) ينظر: مدخل إلى اللسانيات، رونالد إوار: ٤٧

(٥) ينظر: نظرية التواصل في ضوء اللسانيات الحديثة، محمد الركيك، كلية الآداب، تازة: ٦٦

المطلب الثاني: عناصر التواصل

إنّ نظريات التواصل أولت عناية كبيرة بعناصر التواصل وهي (المُرسل والرسالة والمتلقي) فقد عُنيت باستراتيجيات التواصل ولم تنظر إلى اللغة على إنها تتابع مجموعة من الكلمات والجمل والتراكيب.

يضيف (سوسير) عناصر أخرى للنظرية التواصلية منها: فيزولوجي نطقي، ومنها سيكلوجي نفسي، ومنها اجتماعي، ونلمس ذلك عند دراسته (مدار الكلام)؛ فقد ذكر الباحث محمد الركيك إنه "أراد أن يقول إن العلامة عبارة عن عملية تواصلية، بين باث ومخاطب يرغبان في التواصل وتبادل الأخبار والمعلومات، ومعنى هذا أن (سويسر) أول بنيوي يؤسس لنظرية التواصل، وقد اعترف له البنيويون بقصب السبق في تأسيسه لنظرية التواصل، من داخل اللسانيات البنيوية"^(١)

وترى (إليزابيث كوبلر روس)^(٢) في نموذجها التفاعلي أن التواصل يقوم على ستة عناصر أساسية، هي: (المُرسل والرسالة والوسيلة والمستقبل ورجع الصدى والسياق)، إنّ ماهية هذا النموذج تتمثل في: المُرسل، الذي يقوم بجمع أفكاره بقوالب لفظية، ثم الظروف والمؤثرات المحيطة بالتواصل التي تحدد المعنى العقلي للفكرة، بعد ذلك تُنقل فكرة الرسالة عبر الوسائل والقنوات، التي تحمل الرسالة إلى المستقبل (المتلقي)، الذي يقوم بفك شفرات القالب اللفظي، ويختار المؤشرات التي تتفق مع ثقافته وخبراته، بتأثير تجاربه السابقة حيال تلك المعلومات، ومن أحاسيسه وعواطفه ومشاعره وقت التلقي، ثم يُفسر المتلقي الرسالة ويتفاعل معها، لتظهر استجابته لها، وهذه الاستجابة هي رجع الصدى، التي تمكّن المتكلم (المُرسل)، من معرفة مدى تحقيق الرسالة لهدفها، وهذا يعني أهمية ما يحيط بالتواصل من الظرف، أو المناخ

(١) نظرية التواصل في ضوء اللسانيات الحديثة، محمد الركيك: ٦٦-٦٧، وينظر: نظرية التواصل وأبعادها في

الدرس اللغوي العربي، دلداد غفور، ونشأت علي: ١١٩

(٢) إليزابيث كوبلر روس (ت ٢٠٠٤م) طبيبة نفسية أمريكية سويسرية ورائدة في دراسات الاقتراب من الموت ومؤلفة للكتاب الأكثر مبيعاً دولياً الذي يتحدث عن الموت وكيفيته، حيث ناقشت أولاً نظريتها حول مراحل الحزن الخمس والمعروفة أيضاً باسم (نموذج كوبلر روس): الشبكة العنكبوتية، ويكيبيديا.

العام للحالة التي يحدث فيها التواصل، ثم السياق العام، الذي يتضمن مشاعر كلا الطرفين (المرسل والمتلقي) أو عواطفهما أو اتجاهاتهما^(١)، فالمرسل "يقوم بأداء رسالة يستقبلها الملتقط، ولا بد من أن تتضمن الرسالة لكي تكون فاعلة محتوى كلامياً تشير إليه، ويعيه الملتقط في الوقت ذاته، وتقضي أيضاً وجود نظام رموز أو لغة تكون مشتركة كلياً أو جزئياً على الأقل بالنسبة إلى المرسل والملتقط، وتتطلب الرسالة أخيراً توافر قناة اتصال تحقق الاتصال وتبقيه قائماً"^(٢).

ولقد ركز (جاكسون) في نظرية التواصل اللغوي على دراسة اللغة عن طريق تنوع وظائفها، إذ يعدّ أحد أبرز اللسانيين المهتمين بالجانب التواصلية، ولاسيما بالجانب الوظيفي، فقد تناول الوظائف المتعددة للغة وهذا ما جعله يتصدر مصاف المنظرين لمفهوم التواصل، وقد قام (جاكسون) بإدخال مفهوم أساس هو (السياق)^(٣).

وضع في بداية ستينيات القرن الماضي عناصره الشهيرة لبيان عناصر عملية التواصل، وكيفية تآزرها في هذه العملية؛ إذ يرى (جاكسون) أن كل حدث لغوي يحتوي على (المُرسل، والرسالة، والمرسل إليه)^(٤)، ولتكون تلك الرسالة فاعلة فأنها تحتاج إلى سياق تُحيل عليه يكون قابلاً لأن يدركه المرسل إليه، ولا بد لهذه الرسالة من سنن، ثم تحتاج الرسالة إلى قناة اتصال.

ويمكن رسم مخطط يمثل عناصر التواصل:

سياق

المُرسل _____ الرسالة _____ المُرسل إليه

(الشفرة) السنن

لغة اتصال (القناة)

(١) ينظر: الأسس لنظريات الإعلام، جيهان أحمد رشتي، دار الفكر العربي، ١٩٨٨م: ١٢٢-١٢٤، وينظر:

مبادئ في الاتصال، تيسير المشاقبة: ٩٦

(٢) اللسانيات المعاصرة في ضوء نظرية التواصل، نور الدين رايص: ٧٤

(٣) ينظر: الألسنية مبادئها وأعلامها، ميشال زكريا: ٥٥

(٤) ينظر: بلاغة الإنزياح ودورها التواصلية في لزوميات أبي علاء المعري، كدار دليلة، وخياري جنات: ٤٤

وعناصر التواصل هي:

١- المتكلم (المرسل): ويُقصد به المتكلم، الباث، المخاطب، وهو العنصر الأبرز والأهم في العملية التواصلية، وهو مصدر الرسالة ومنشئ الرسالة وهو الذي يقتضي ميكانزمات تشفير الرسالة، وهو المسؤول عن إرسال الرسالة؛ إذ يوجهها إلى الطرف الثاني (المرسل إليه) بقصد الإفهام والتأثير عن طريق اختيار ما يناسب منزلته وما يتناسب وإعداد الخطاب وما يقتضيه موقعه^(١)، وينبغي أن يكون للمرسل قدرتان المستقبلية والمنسقة؛ للقيام بعمليات الترميز وتفكيكها وذلك بالرجوع إلى النظام اللغوي الذي يشترك فيه مع المرسل إليه، وأن تكون للمرسل أيضاً على قدرة كافية بتوجيه الرسالة^(٢)، أي أن يكون له "القدرتان المستقبلية والمنسقة"^(٣) للقيام بعملية الترميز وتفكيك الرمز بالرجوع إلى نظام اللغة الذي يشترك فيه مع المتلقي.

وذكر اللسانيون مصطلحات متعدّدة للمرسل منها: المتكلم، المتحدث، الناقل، الباث، المُخاطب^(٤).

وفي القرآن الكريم المرسل هو الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾^(٥)، والله (ﷻ) المرسل الأول، والنبي محمد (ﷺ) المرسل الثاني؛ إذ يقوم بتبليغ رسالة الله (ﷻ) إلى البشر، وهناك رسائل تواصلية ينقلها النبي (ﷺ) كقصص الأنبياء وأقوامهم، ففي هذا الرسائل يكون المرسل الخاص داخل القصة هم الأنبياء، فضلاً عن اتخاذ المرسل دور المُتكلم والمتلقي في الوقت ذاته، كحديث الأنا الذي يدور بين الإنسان ونفسه.

(١) ينظر: النظرية الألسنية عند رومان جاكسون دراسة ونصوص، فاطمة الطبال بركة: ٦٦.

(٢) ينظر: اللسانيات ونظرية التواصل، رومان جاكسون نموذجاً، عبد القادر الغزالي: ٣٧.

(٣) التواصل اللساني والشعرية، مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكسون: ٢٤.

(٤) ينظر: التواصل اللساني في كتاب سيبويه للسيرافي، علي جواد كاظم الذبحاوي: ١٦.

(٥) سورة البقرة: ١١٩.

٢- المرسل إليه (المتلقي): ويعدّ الطرف الثاني في العملية التواصلية، ويقع على عاتقه فهم الرسالة وتأويلها، وبذلك يكون العنصر الثاني المهم في سيرورة التواصل، وهو من يقوم بتفكيك أجزاء الرسالة، وفك رموزها، وذلك بحسب درجة تفاعله مع المرسل^(١)، ويقوم بتفكيك الرسالة اللغوية بالاستناد على الإشارات المخزونة في ذاكرته، وبلاستعانة بثقافته، وتجاربه، وأحواله الخاصة التي يتميز بها عن غيره وإن كانت مشتركة بين أفراد مجتمعه^(٢)، ومن المصطلحات الدالة على المرسل إليه (المتلقي): وهو المستجيب للرسالة والفاهم لها، والمخاطب والقارئ والسامع، وغيره من الأوصاف والأسماء^(٣)، وفي القرآن الكريم المرسل إليه أو المتلقي يتخذ شخصيات عدة أكثرها ظهوراً هو النبي محمد (ﷺ)، نجد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَتَلَقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾^(٤)، إن هذه الآية تُبين أنه (ﷺ) المتلقي لكل القرآن الكريم وهو أول المخاطبين به، النبي محمد (ﷺ) يقع على عاتقه تبليغ الرسالة وإبلاغها، والعمل بمحتواها، و المرسل إليه الثاني هم البشر الذين يمثلون المتلقي الثاني، وهم بؤرة الخطاب؛ كون النصّ القرآني بلاغاً موجهاً لهم.

إنّ حضور المرسل إليه ليس شرطاً لحظة تبليغ الخطاب، بل يمكن أن يكون مفترضاً، فما زالت أحكام القرآن سارية المفعول، ورسالاته خالدة، فتعاقب الأيام لن يحوها على الرغم من كوننا غير حاضرين في زمن نزوله^(٥)، وهذا ما أكدته روايات أهل البيت (عليهم السلام) عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «إنّ القرآن حي لا يموت والآية حية لا تموت فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام ماتوا ماتت الآية لمات القرآن»^(٦).

(١) ينظر: التواصل اللساني والشعرية، الطاهر بومزير: ٢٥

(٢) ينظر: وصف اللغة العربية دلاليّاً في ضوء مفهوم الدلالة المركزية دراسة حول المعنى وظلال المعنى، محمد

محمد يونس علي: ١٣٣

(٣) ينظر: استقبال النص عند العرب، محمد رضا مبارك: ٢٩-٣٠

(٤) سورة النمل: الآية ٦

(٥) ينظر: استقبال النص عند العرب، محمد رضا مبارك: ١٨

(٦) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، المجلسي: ٤٠٣/٣٥

٣-الرسالة: وهي عبارة عن متتالية من العلامات والرموز المنقولة بين المتكلم والمتلقي، وتكون منضبطة بقواعد تراكييب محددة، أو هي الأفكار والمعلومات التي يريد المتكلم إيصالها للمتلقي، وهذه الرسالة قد تكون لغوية أو غير لغوية^(١)، وتختلف تلك الأفكار والمعلومات من حيث البساطة التعقيد، فإذا كانت تلك الأفكار والمعلومات بسيطة، فإنها قد لا تجيب على تساؤلات المتلقي لها الأمر الذي يجعل الرسالة عرضة للتشويه، فيما إذا كانت الأفكار والمعلومات معقدة فربما يصعب على المتلقي استيعابها ولا يقدر جهازه الإدراكي على الربط بينها^(٢)، فالرسالة هي جوهر العملية التواصلية بين المرسل والمرسل إليه، وتمثل الجانب الملموس من العملية التواصلية، إذ تعتمد على المخزون اللغوي الذي يختار منه المرسل ما يحتاج إليه للتعبير وبعد ذلك ينظمها فيبيثها إلى المتلقي^(٣)، والرسالة هي ثمرة العملية التواصلية، وتتخذ الرسالة اشكالاً متنوعة فقد تكون كلاماً شفوياً أو إيحائياً أو مكتوباً، وغير ذلك^(٤)، ويمكن التمييز بين رسالة وأخرى بحسب نية المتكلم وأهدافه وكذا الظروف المحيطة في إنجاح العملية التواصلية أو إفشالها.

وتمثلت الرسالة في القرآن الكريم بسوره وآياته التي تحتوي على المعلومات والموضوعات والقيم والمفاهيم القرآنية، والتي هدفها الأول الارتقاء بالإنفس البشرية نحو سلم الكمال، وهذه الرسالة إنماز بأنها معجزة، فلا توجد رسالة في الكون لها هذه الصفة.

(١) ينظر: نظرية التواصل: جونيف شوفو، تر: ابراهيم اولحيان: ١٢٢

(٢) ينظر: محاضرات في اللسانيات الاجتماعية، لطي بوقرية: ٣٦

(٣) ينظر: النظرية الألسنية عند رومان جاكسون دراسة ونصوص، فاطمة الطبال بركة: ٦٥.

(٤) ينظر: نظرية التواصل، المفهوم والمصطلح، رضوان القضاوي وأسامة العكش: ١٤٨

٤-القناة: وهي الأداة التي بواسطتها يتم نقل الرسالة وتختلف باختلاف مستوى التواصل وهي لازم أساس فيه^(١)؛ ولكي يتحقق التواصل ينبغي من وجود اتصال يمثل قناة طبيعية، وكذلك ارتباطاً نفسياً بين المرسل والمرسل إليه، وهذا الأمر ضروري لبقاء بث الخطاب متواصلاً^(٢)، والقناة تمثل مجموع العمليات المادية بدءاً بكتابة المؤلف للنص وانتهاءً بفعل القراءة، وتملك المتلقي للنص بصورة كتاب، وتقتضي الرسالة قناة فيزيقية وربطاً نفسياً بين المرسل والمرسل إليه، يسمح لها بإقامة التواصل والحفاظ عليه^(٣).

وهذا يعني أن التواصل لا يقتصر على النقل الفيزيائي للكلام؛ بل لا بد من وجود علاقة نفسية بين المتكلم والمتلقي للكلام، وبهذا تكون هناك قناتين للتواصل الأولى أداة نقل الكلام، والثانية تمثل الربط النفسي.

وقناة التواصل التي نقلت القرآن الكريم تمثلت بالملك جبريل (عليه السلام)، قال

تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٣﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣٤﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٣٥﴾ بِلسان عربي مبين ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ ۝^(٤)

(١) ينظر: بلاغة الإنزياح ودورها التواصلية في لزوميات أبي العلاء المعري، كدار دليلة، وخياري جنات: ٤٥

(٢) ينظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب، نور الدين السد: ٢١٧ / ١

(٣) ينظر: قضايا الشعرية، جاكسون: ٢٧

(٤) سورة الشعراء: ١٩٢ - ١٩٦

٥- السنن أو (الشفرة): وهي "نسق القاعدة المشتركة بين الباحث والمتلقي والذي بدونها لا يمكن للرسالة أن تفهم أو تؤول"^(١)، لذلك تقتضي الرسالة سنناً مشتركة بين المرسل والمرسل إليه؛ لأن وجود السنن يُزيل الغموض، ويُوضح القصد وبهذا تستمر العملية التواصلية^(٢).

ويمكن القول إن السنن: هي رموز وعلامات وقواعد اللغة التي يشترك فيها المرسل والمتلقي فمنها ينطلق المرسل في ترميز رسالته عندما يرسل رسالة حاملة لمضمون ما، فيقوم بعملية الاختيار والتأليف؛ فيما يلجأ المتلقي لفهم محتوى أي رسالة فيقوم بعملية تفكيك الدوال؛ بحثاً عن المضامين الدلالية الموجودة فيها، ففعالية الحدث الكلامي، مرهون باستعمال شيفرة مشتركة بين المساهمين^(٣)، وقد أطلق عليها بعض علماء اللسانيات مصطلح (النظام) والبعض الآخر (القدرة)، وعلى اختلاف المصطلح فالمدلول واحد يحيل على نظام الترميز مشترك كلياً أو جزئياً بين المرسل والمتلقي، ونجاح العملية التواصلية يعتمد في الأساس على هذا النظام المشترك^(٤)، فإذا كان الأساس في العملية التخاطبية الوصول إلى مراد المخاطب وقصده، "لابد للمخاطب من أن يخضع خطابه لقانون القصد وسنن المواضعة لتكون العملية التخاطبية ناجحة"^(٥)؛ فالمتكلم قبل كل شيء يعني "القصد إلى الفائدة بعد العام بسنن المواضعة؛ بل هو في كل لحظة من لحظات استعمال اللغة قصد لفائدة معينة طبقاً لسنن المواضعة العامة في جهاز تلك اللغة مع تكريس مظهر من مظاهرها العملية في الممارسة"^(٦)، وعلى هذا تكون غاية المتكلم إيصال قصده للمتلقي، لتتم عملية الإفهام، عبر المعنى المتولد عن الخطاب بعد العلم بالتواضع

(١) اللغة والخطاب، عمر أوطان: ٤٨

(٢) ينظر: بلاغة الإنزياح ودورها التواصلية في لزوميات أبي علاء المعري، كدار دليلة، وخياري جنات: ٤٥

(٣) ينظر: الاعلامية في الخطاب القرآني، زهراء البرقعاوي: ٤٩

(٤) ينظر: التواصل اللساني والشعرية، الطاهر بومزير: ٢٨

(٥) القراءة الحداثية للنص القرآني، حكيم سلطان السلطاني: ٦٩

(٦) التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبد السلام المسدي: ١٤٥.

اللغوي، والعلاقة بين الدال والمدلول، فكل فعل لغوي يكون ناجحًا إذا علم المخاطب قصد وإحالة العبارة^(١).

والشفرة في القرآن الكريم تمثلت باللغة العربية؛ فالله تعالى أراد أن يتواصل مع النبي محمد (ﷺ) ومن يتبعه من المتلقين عن طريق اللغة؛ لذا اختار اللغة العربية؛ لتكون حاملة لموضوع الرسالة، قال تعالى: ﴿وَلِنُنزِّلَنَّ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٥﴾ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣٦﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٣٧﴾ بِلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ ﴿١٣٨﴾، وقد سار على نظام تلك اللغة وإن خالفها في مواضع، لأن القرآن الكريم اختار اللسان العربي، واللسان العربي لا ينحصر بالنظام الذي وضعته قريش أو غيرها من القبائل العربية.

٦- السياق: وهي مجموع الظروف التي أنجزت فيها الرسالة فلا تكون الرسالة مفهومة مالم يكن لها سياق تُحال إليه؛ وذلك من أجل الوقوف على دلالات مفرداتها اللسانية وتفكيكها، ف"المرسل؛ إذ يوجه رسالة فاعلة، تتطلب سياقًا يدركه المرسل إليه، وهذا السياق اللفظي، أو غير لفظي تقبل أن يكون لفظياً^(٣)، وهو ما يحيط بعملية التواصل، ويطلق عليه الحال والمقام، وهو من أهم عناصر التواصل؛ إذ به يتميز التواصل عن الاتصال والتخاطب عن الخطاب، فالسياق هو الكفيل بإحداث التفاعل بين عناصر التواصل إذ يجعلها تؤدي وظيفتها على أتم وجه^(٤)، والسياق القرآني وهو المقام والظروف المحيطة بالآيات القرآنية والتي تُعين على كشف مراد الله (ﷻ) وبيان معاني الآيات.

(١) ينظر: النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي)، فان ديك: ٢٦٦.

(٢) سورة الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥

(٣) ينظر: قضايا الشعرية، جاكسون: ٢٧

(٤) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي ظافر الشهري: ١٢-١٣

مما تقدم يصل الباحث إلى الحقيقة لا يمكن إنكارها أو التغافل عنها؛ مفادها أنّ القرآن الكريم رسالة تواصلية موجه إلى الناس جميعاً؛ لذا نراه يمثل عملية التواصل بكل عناصرها من مُرسِل ومرسل إليه ورسالة وقناة وسياق وشفرة، كل هذه العناصر تجلت في عملية تواصلية متفردة، بل مُعجزة؛ إذ التناسق العجيب بين تلك العناصر، وتفرد بعض العناصر مثل المتكلم الله الذي يتفرد بصفات تجلت في خطابه (القرآن الكريم) الذي جاء مختلف عن لكل خطاب سواء أكان سابقاً له أم أتبعه، لهذا نجد المتلقي للقرآن الكريم يفاعل معه؛ إذ تأثر به حتى من عارضوه؛ لذا شبهوه بالسحر، وغيرها من الأوصاف لما له من أثر لا يقاوم ولا يمكن التصدي له أو إيقافه، ناهيك عن الذين آمنوا به وتأثروا به؛ فقد تجلى تفاعلهم مع القرآن الكريم في تغيير سلوكهم ومعتقداتهم.

كما أن القرآن العظيم أدقّ رسالة تواصلية في الوجود تتعدى حدود التبليغ، لتصل إلى حدود المُبلِّغ للارتقاء به من التلقي إلى الوعي العقلي، والتفاعل الوجداني، والعمل الناتج عن الترغيب والترهيب إلى الامتلاء النفسي والروحي، الذي يسمو بالنفس الإنسانية، ويزكيها، فتفقه ما جاء به بناءً على الهندسة المتفردة للخطاب القرآني في إحداث التواصل الفعال، فأيات القرآن الكريم تضع تواصل في حقله المناسب ومعاييره التي تحقق فرادته المطلقة.



المطلب الثالث: وظائف التواصل

اعتنى اللسانيون الوظيفيون بالجانب التواصلية؛ إذ يذهب هؤلاء إلى "ارتباط اللغة بوظيفة التواصل والتبليغ والبيان ارتباطاً يجعل البنية انعكاساً للوظيفة وتابعة لها، وتقوم الوظيفة على أن لا اعتبار للوحدة اللسانية إلا عن طريق الدور الذي تلعبه في التواصل"^(١)، ونظرية التواصلية تُعنى بالمعنى ومسبباته، وترتكز مبادئ النظرية الوظيفية على الآتي:

- ١- العلاقة بين الوظيفة والشكل، فلا تعزل الوظيفية البنيات اللغوية عن علاقتها بعضها مع بعض وتهتم بعلاقة الإشارة بالمعنى أو الدال بالمدلول.
- ٢- نظرية التواصل والوظائف اللغوية، ويختلف (جاكسون) عن غيره من اللسانيين في النظرة إلى علاقة اللغة بالجانب التبليغي التواصلية، فالتبليغ والتواصل من أهم الوظائف اللغوية، فاللغة تُدرس وفقاً لارتباطها بالوظائف التي تؤديها، لذلك يستلزم تحليل عناصر العملية التواصلية (المُرسل)، و(المُرسل إليه)، والمرسلة (نص الرسالة)، و (قناة الاتصال) والمدونة التي تفك رموز الاتصال (الشفرة)^(٢).
- إنّ لكل عنصر من عناصر التواصل الستة عملاً تواصلياً تنتج عنه وظيفة لسانية؛ إذ تتوقف البنية اللفظية لرسالة ما على وظيفة مهيمنة، وتتكون كل منها بحسب طبيعة العلاقة بين المرسل والمرسل إليه والعالم المحيط به، ومن ذلك تحصل فئات دلالية متنوعة.

وقد اعتنت الدراسات اللغوية والدراسات القرآنية بوظائف اللغة فقد ميّزت بين نوعين من اللغات، وهي اللغة المعيارية القواعدية، التي تتوخى الدقة والصواب والوضوح، واللغة الشعرية الجمالية المجازية الخيالية، التي تجعل الرسالة الملفوظة أو المكتوبة عملاً فنياً جميلاً^(٣)، ويكون هذا العمل ذا أثر في نفس المتلقي.

(١) أثر الوظيفة التواصلية في البنية الصرفية، الطاهر شارف: ٨

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٣-١٤

(٣) ينظر: في اللسانيات ونحو النص، ابراهيم محمود خليل: ٢٤.



ولهذا نرى تلك الدراسات انطلقت من عناصر التواصل لتحديد وظائف التواصل، فكل وظيفة ترتبط بعنصر من عناصر التواصل وهذا الارتباط يقترن بالهدف المقصود من العملية التواصلية، وهو ما يظهر عند بيان الوظائف التي يؤديها كل عنصر من عناصر التواصل^(١)، وهي ست وظائف^(٢):

١- **الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية:** وهي الوظيفة التي تتعلق بالمتكلم (المُرسل)، وتعبر عن ذاته، وأفكاره ومشاعره وأغراضه، ويظهر ذلك للمتلقى، لتحقيق التواصل، من أجل إحداث التأثير المطلوب^(٣)؛ فهذه الوظيفة تتمحور حول المتكلم في تعبيره عن موقفه وما يتكلم به أو يكتبه.

فهذه الوظيفة تعبر عن المُرسِل تجاه ما يتكلم عنه، وفسر (جاكسون) هذه الوظيفة بقوله: "إنّ الوظيفة المسماة تعبيرية أو الوظيفة الانفعالية التي تتمحور حول المُرسِل تهدف إلى التعبير المباشر عن موقف الفرد ممّا يتكلم عنه فهي تنزع إلى إعطاء الانطباع بوجود انفعال صحيح ما أو مصطنع"^(٤)، إذ يهدف المُرسِل التأثير على مواقف وسلوك وأفكار المتلقى.

ووضع (جاكسون) محورين يقوم بهما التواصل: **إحداهما:** استعمال الأدوات التي تدل على المتكلم مثل (أنا أو تاء المتكلم)، أو استعمال صيغة التّعجب التي تدل على مظهر انفعاليّ للمتكلم، **والآخر:** عدم اختزال هذا الوظيفة في مظهرها الإخباري، بل ينبغي النظر إلى العناصر غير اللسانية^(٥)، وهذه الوظيفة "لغوية تظهر جليلة في الرسائل التي تتكيف فيها اللغة لنتخذ من المتكلم مرتكزاً لها بشكل مباشر من دون سواه"^(٦)، وهذا ما نجده في القرآن الكريم في كثير من الآيات من ذلك قال

(١) ينظر: اللسانيات المعاصرة في ضوء نظرية التواصل، نور الدين رايس: ٧٣.

(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي ظافر الشهري: ١٢-١٣.

(٣) ينظر: نظرية التواصل في رسائل الجاحظ في ضوء نظرية جاكسون، محمود كاظم موات: ٢٥٣.

(٤) قضايا الشعرية، جاكسون: ٢٧.

(٥) ينظر: قضايا الشعرية، الإعلامية في الخطاب القرآني، زهراء البرقعوي: ٤٩.

(٦) التواصل اللساني في شرح كتاب سيبويه للسيرافي، علي جواد كاظم الذبحاوي: ٢٠.



تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(١)، في هذه الآية المباركة يُعلن الله (ﷻ) هو المتكلم الذي أنزل القرآن الكريم وهو الذي يحفظه، وبهذا يكون سبحانه وتعالى هو المتكلم المباشر في القرآن الكريم.

٢- الوظيفة الإفهامية أو الندائية: ويطلق عليها بعض اللسانيين مصطلح (الانتباهية أو التأثيرية) وترتبط بالمتلقي (المرسل إليه)، وهو الطرف الآخر من العملية التواصلية، وتسعى متوسلة باللغة إلى إثارة انتباهه وتدخل الجمل التي تحمل الأوامر ضمن هذه الوظيفة، أو النداء فيطلب من المتلقي القيام بعمل من الأعمال أو إثارة انتباهه، وتسمى بالتأثيرية؛ لأن هذا المصطلح يحمل المدلول العاطفي لهذه الوظيفة، بينما يحمل الافهام المدلول العقلي لها.

وهذه الوظيفة الغرض منها لفنت انتباه المتلقي (المُرسل إليه) والتأثير فيه بقصد إقناعه بالأفكار والقضايا والآراء التي تحملها الملفوظات والنصوص، ومقصد الإقناع هذا يستلزم فعالية منطقية ولغوية تنظم الخطاب بطريقة خاصة، تؤثر في المتلقي، وتجعله يعيد النظر فيما كان يحمله من معتقدات وأفكار^(٢).

وتظهر هذه الوظيفة على سطح الخطاب حينما يتجه إلى المتلقي وتجد تعبيرها الأكثر خلوصاً في النداء والأمر اللذين ينحرفان، من وجهة نظر تركيبية وصرفية في الغالب، عن المقولات الإسمية والفعلية الأخرى، وتختلف جمل الأمر عن الجمل الخبرية في نقطة أساسية؛ فالجملة الخبرية يمكنها أن تخضع لاختبار الصدق، ولا يمكن لجمل الأمر أن تخضع لذلك^(٣)، وهذه الوظيفة تثبت التواصل وتؤمن استمراره بين المتكلم والمتلقي، فهي تقوم على قدرة المرسل إليه في استيعاب الرسالة:

(١) سورة الحجر: الآية ٩

(٢) ينظر: المحاورات مقاربة تداولية، حسن بدوح: ٥٠.

(٣) ينظر: قضايا الشعرية، ياكسون: ٢٩

ويمتاز الخطاب ذو الطابع الإفهامي بمميزات وخصائص منها:

أ-التأثير: ويرتكز على معادلة ذات طرفين هما (المفاجأة والتشبع)؛ لأنّ الحدث اللساني رباط الوصل بين المتكلم والمتلقي، هذا الرباط الذي يوصل بينهما يجب أن يضيف له المتكلم بصماته التأثيرية في من يتلقاه، وتعتمد هذه البصمات على المعادلة (المفاجأة والتشبع).

ويقصد من المفاجأة: إخراج المفاجئ من الأمور العادية المعقولة التي لا تلفت نظر السامع أو القارئ إلا بدخولها ضمن النسق الأسلوبي المفاجئ، ولا تتشكل المفاجأة إلا إذا توافرت العناصر المتضادة فتتكامل وتتناغم مع بعضها بناءً على مبدأ تكامل الأضداد، فالمفاجأة، هي نبضات انفعالية عالية في عمق الخطاب من حيث هو ساكن، والمفاجئة تهز لها النفس بفضل شحنتها التأثيرية العالية؛ لأنها غير منتظرة بينما الشحنات المتكررة بشكل متواتر تحدث تشبعا في نفس المستقبل فتضعف استجابته لارتداداتها.

والمقصود من ذلك أن المتكلم قد يعتمد إلى مفاجئة المتلقي عن طريق تغيير الأسلوب حتى مع كون الأمر المطروح عادي، والغاية من ذلك هو جذب المتلقي للخطاب وجعله يتفاعل معه، ومن الأساليب العادية في الكلام أسلوب إطالة الكلام، لكن القرآن الكريم يستعمل هذا الأسلوب ليجعل المتلقي يتفاجأ، كما في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٣٢﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْحُومٍ ﴿٣٥﴾

خَتَمَهُمْ مِسْكَ^{٣٥} وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿٣٦﴾ وَمِرَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٣٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٣٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ

أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَإِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ أَنْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٤١﴾

وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٤٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٤٣﴾^(١)، يرى سيد قطب أن هذا الإطالة

المقصودة في مواقف الموازنة بين صورتين متقابلتين: إحداها في الحياة الدنيا، والأخرى في يوم القيامة، وهذا التطويل يتناول مشهدين: مشهد النعيم العظيم، الذي

(١) سورة المطففين: ٢٢ - ٣٣



يتمتع به المقربون، ومشهد السخرية التي كانت تنالهم من المجرمين، وكلما زاد المشهدان طولاً - وهذا المشهد الأخير بصفة خاصة- كانت المفاجأة في النهاية أوقع، عندما يقول سبحانه وتعالى: ﴿قَالِئِمَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾^(١).

التشبع: ويقصد به عملية تكرار تتناسب بشكل عكسي مع روعة وجمال الخطاب، بحيث كل ما كثرت العمليات التكرارية تنازلت حدة التأثير على المستقبل لهذه الرسالة^(٢) ومعناه "إنّ الطاقة التأثيرية لخاصية اسلوبية تتناسب عكسياً مع تواترها، فكلما تكررت الخاصية نفسها في النص ضعفت مقوماتها الأسلوبية، ومعنى ذلك أن التكرار يفقدها شحنتها التأثيرية تدريجياً"^(٣).

وهذا لا ينطبق على القرآن الكريم؛ إذ تضمن أسلوب التكرار في أكثر من سورة، لكنه لم يفقد شحنته التأثيرية أو بلاغته وعظمته؛ لأن التكرار في القرآن الكريم "وهو من تصريف البيان، لا من الإطناب المجرد، إنما هو لمقاصد ولتوجيه النظر، ومناسبة المقام"^(٤)، فكل تكرار في القرآن الكريم هو مقصود لا يفقد شحنته التأثيرية؛ بل يجعل المتلقي يتفاعل مع القرآن الكريم فيجعله يتواصل مع القرآن الكريم، وذلك بحثه على البحث عن الغاية والهدف من هذا التكرار.

ب-الإقناع: إنّ التأثير يقوم على توظيف الحجج المنطقية فيحمل المرسل خطابه، شحنة منطقية يحاول عن طريقها اقناع المتلقي على التسليم لمدلول رسالته، والتأثير الإقناعي يظهر بصورة واضحة في الخطاب الحجاجي الذي يستند إلى موضوع النص لا على النص نفسه^(٥)؛ إذ يستعمل وسائل الإقناع التي لا تكتسي صبغة الإكراه، ولا تُدرج تحت منهج القمع، وإنما تتبّع في تحصيل غرضها طرقاً استدلالية تجرّ المتلقي جرّاً إلى الإقناع.

(١) سورة المطففين: الآية ٣٤

(٢) ينظر: التواصل اللساني والشعرية، الطاهر بومزبر: ٤٠

(٣) الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي: ٨٦

(٤) المعجزة الكبرى القرآن، ابو زهرة: ١١٩

(٥) ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن: ٣٠

ج-الإمتاع: ينماز هدف الرسالة الإمتاعية عن الرسالة الإقناعية؛ إذ إن هدف الأولى يرمي إلى جرّ المتلقي نحو مقاصد المرسل للرسالة، بينما تهدف الإمتاعية إلى إدخال النشوة في نفس المتلقي^(١)؛ إذ يتحول الكلام "إلى قناة تعبّره المواصفات التعاطفية، فينطفئ عند الجدل المنطقي العقلاني في الخطاب وتحل محله نفثات الارتياح العاطفي"^(٢)، وبهذا تكون الرسالة المرسله محاولات لاسترضاء عاطفة ووجدان المتلقي.

د-الإثارة: يرى الدكتور عبد السلام المسدي أنها توجد في الخطاب عندما يتحول إلى "عامل استفزاز يحرك في المتقبل نوازع ردود فعل"^(٣).
إن إثارة المتلقي هدف من أهداف المتكلم، ليخلق المتكلم بينه وبين المتلقي تواصل قائم على عنصر الإثارة.

ما تقدم يبين مميزات الخطاب الإفهامي، والذي تكون أهم وظائفه الوظيفة الافهامية.

٣-الوظيفة السياقية أو المرجعية: وتعني "أن يكون للنص مرجعية سياقية مهمة تربطه ببيئة الحدث التواصلية، فلا يمكن بحال أن نتخيل نصاً أو رسالة تواصلية، غير مرتبطة بمرجعية سياقية، إذ لا يمكن فصل النص اللغوي عن محيطه السياقي بحال، ولا يمكن أن نتصور تواصلاً لسانياً من دون سياق"^(٤)، وهذه الوظيفة تتجه نحو المرجع المشترك بين المتكلم والمتلقي، أي طرفي التواصل الأساسيين؛ أي ما هو المسوغ لعملية التواصل، فهي الوظيفة التي يستند إليها في تعيين الموضوعات لتأخذ دلالات محددة أو معينة لهذا تسمى كذلك بالوظيفة التعيينية^(٥)، فهذه الوظيفة هي القاعدة الأساسية لكل اتصال؛ لكنها تكشف عن العلائق القائمة بين (الرسالة)

(١) ينظر: التواصل اللساني والشعرية، الطاهر بومزبر: ٤١

(٢) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن: ٨٢

(٣) المصدر نفسه: ٨٢

(٤) أثر السياق في توجيه دلالة الألفاظ، عبد الكاظم الحسيني: ٦٥

(٥) ينظر: نظرية التواصل المفهوم والمصطلح، رضوان القضاوي، وأسامة العكش: ١٤٤

والموضوع الذي ترجع إليه، وبهذا تكون المسألة الأساسية كامنة في صياغة موضوعية لمعلومات صحيحة عن المرجع، يمكن التدقيق عن صحتها^(١).

واهتم (جاكسون) في مخططه ووظائفه بهذا الجانب أي (الواقع) الذي يتناوله الحديث أو الإرسالية، وهو ما عبر عنه بالوظيفة المرجعية بحكم أن عملية التواصل في نظره تفرض ستة عناصر، وكل عنصر تلازمه وظيفة والوظيفة المرتبطة بالمرجع تسمى بالوظيفة المرجعية وهي "مؤسسة حول الموضوع المتحدث عنه، فإذا عاينا حادثاً وأخبرنا عنه يكون حديثنا هو ذلك الحادث وبذلك فإن الوظيفة المرجعية تقوم على التقرير والنقل وتشكل هذه سلم الوظيفة التبرير الأساسي لعملية التواصل ذلك أننا نتكلم بهدف الإشارة إلى محتوى معين نرغب في إيصاله إلى الآخرين"^(٢)، ومن ثم تفقد العملية التواصلية قيمتها إذا تمت الإحالة إلى أشياء خارج الواقع المتحدث عنه.

وإذا ربطنا هذا بما جاء به القرآن الكريم نجد أن القصص القرآنية ومنها قصة أهل الكهف، وموسى والعبد الصالح، وذي القرنين واقعية تمت الإحالة إليها على نحو الحقيقة، قال تعالى: ﴿مَنْ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾^(٣)، فالله (ﷻ) هو الذي أخبر بخبر تلك القصص الحق، بعيداً عما قيل من أساطير وخرافات حول تلك القصص؛ لذا نجد القرآن استعمل لفظة ﴿إِنَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾^(٤)؛ للدلالة على أن هذه القصة من آيات الله تعالى، ولا دخل للمتخيل الأسطوري في نشأتها، كذلك استعماله لبعض الصياغات التعبيرية^(٥) مثل ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾، و﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾.

(١) ينظر: السيمياء، بيار غيرو: ١٠

(٢) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح: ٤٧.

(٣) سورة الكهف: آية ١٣

(٤) سورة الكهف: آية ٩

(٥) ينظر: القراءة الحداثوية للنص القرآني، حكيم سلطان السلطاني: ٤٨

٤- الوظيفة الانتباهية (التأكيدية): وهي وظيفة إقامة التواصل وترتبط بوسيلة التواصل أو القناة، ويراد بها الطريقة التي تنتقل بها الرسالة التواصلية إلى متلقيها، نقلاً يؤدي إلى الترابط النفسي بين المتخاطبين لإتمام العملية التواصلية^(١)، يتجلى أثر هذه الوظيفة في التأكد من أن قناة الاتصال ناجحة وإن انتباه المتلقي مشدود، وفي ربط الاتصال^(٢)، فهذه الوظيفة توظف انتباه المخاطب أو التأكيد من أن انتباهه لم يرتخ^(٣)، ويظهر أن هذه الوظيفة تؤدي أمرين:

أحدهما: التأكد من المتلقي متفاعل مع المتكلم ومُقبل عليه ومتواصل معه.

الأخر: تطويل الخطاب وتمديده بأداء عناصر محددة لغرض ديمومة عملية التواصل^(٤)، فهي لا تقوم على الإخبار؛ أي تزويد المتلقي بقيم إخبارية؛ "بل ينحصر دورها في التأكيد على فاعلية التواصل واستمراره أو تمديده أو قطعه، وهذا إن دل على شيء يدل على أن ليس كل تواصل إبلاغ"^(٥)، فالعملية التواصلية هنا تتسحب بمقدار قليل من دائرة الرسالة لصالح التأكد من مرورها، ويشترك بها طرفا العملية التواصلية.

ويرى (جاكسون) أن الوظيفة الانتباهية للغة "تقلُّ عندها القدرات العقلية الموجهة في شكل صوري للبنى اللغوية المستعملة لذلك، ولهذا يشترك فيها الإنسان مع الطيور الناطقة، ومع الأطفال الصغار لأنهما لا ينيان تبليغ معلومة، أو التساؤل عن شيء، وإنما يهدفان إلى التواصل مع الآخرين فتتفجر الحبال الصوتية بسلسلة أصوات لا نفهمها لكنها قابلة للتأويل"^(٦).

وهذا يعني أن الوظيفة الانتباهية الغاية منها جلب انتباه المتلقي للرسالة، ويمكن أن تقوم على أي شيء يفهمه مستقبل الرسالة، كأن يكون صوتاً بدون كلمات

(١) ينظر: قضايا الشعرية، جاكسون: ٢٧

(٢) ينظر: اللغة والبيئة، عبد القادر الفاسي الفهري: ٩٤

(٣) ينظر: قضايا الشعرية، جاكسون: ٢٧

(٤) ينظر: التواصل اللساني في شرح كتاب سيويوه للسيرافي: ٢٢

(٥) الاعلامية في الخطاب القرآني، زهراء البرقعواي: ٥٢

(٦) التواصل اللساني والشعرية، الطاهر بومزير: ٤٤

مفهومة، لكن المتلقي قادر على تأويل ذلك الصوت حتى وإن كان عبارة عن حروف؛ إذ كان للناطق (المتكلم) غاية في ذلك، وتمثل ذلك في القرآن الكريم في الحروف المقطعة في بداية بعض سور القرآن الكريم، فأغلب تفسير تلك الحرف تشير إلى أن وظيفة تلك الحروف انتباهية، فقد أختار السيد محمد باقر الحكيم هذا الرأي؛ إذ قال: "الاتجاه السابع: إن هذه الحروف إنما جاءت في أول السور ليفتح القرآن أسماع المشركين الذين تواصلوا بعدم الإنصات إليه، كما جاء في قوله تعالى - على لسانهم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْفِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١)، فكانت هذه الحروف بطريقة عرضها وغموضها سبباً للفت أنظار المشركين إلى استماع القرآن الكريم رجاء أن يتضح لهم منه هذا الغموض والإبهام عند استماعهم له، ويزداد هذا المذهب وضوحاً إذا لاحظنا الحالة النفسية التي كان يعيشها المشركون آنذاك؛ إذ ينظرون الى القرآن الكريم على أنه صورة المعجزة المدعاة وأنه ذو صلة بالغيب وعوالمه العجيبة، فهم ينتظرون في كل لحظة أن تحدث ظاهرة غريبة تفسر لهم الموقف وتأتيهم بالأمور العجيبة"^(٢)، وبعد أن ذكر السيد الحكيم الآراء في تفسير مجيء حروف الهجاء وصف هذا الوجه بقوله: "فأنه المذهب الوحيد الذي شرح القضية بشكل ينسجم مع هذه الظواهر ولا يستلزم السؤال والاستفسار"^(٣)، وبهذا يكون هذا الأسلوب من الأساليب التي برع القرآن في استعمالها.

(١) سورة فصلت: الآية ٢٦

(٢) علوم القرآن، محمد باقر الحكيم: ٢٧٧.

(٣) المصدر نفسه: ٢٩٠.

٥-وظيفة ما فوق اللغة (وظيفة ما وراء اللغة): وهي التي تتعلق بلغة الخطاب نفسه، وهذه الوظيفة "شرح السنن المشتركة بين المتخاطبين، إذا افترضنا أن السنن (اللغة المشتركة) بين المتخاطبين هي الألفاظ المنطوقة، فإذا كانت اللغة تتحدث عن الأشياء والموضوعات، فالميتالسانية تتحدث عن اللغة نفسها وتصفها"^(١)، إن هذا الوظيفة تتمحور حول السنن ومن ثم اللغة فإن اللغة حينما تؤدي هذا الوظيفة تصبح اللغة صناعية تستعمل لتفسير لغة طبيعية ووصفها، ومثل ذلك لغة النحاة المستعملة لتفسير عمل اللغة ووصفها^(٢).

وتظهر هذه الوظيفة عندما يشعر المتخاطبان أنهما بحاجة إلى التأكد من الاستعمال الصحيح للسنن التي يوظفان فيها الرموز في التواصل^(٣)؛ فقد يتساءل المستمع ما الذي تريد قوله، وقد يسأل المتكلم أفهم ما أريد قوله، فهذه الوظيفة تصنف ضمن الكلام عن الكلام نفسه أو القول عن القول^(٤)، وهذا هو المنطق الحديث يميّز بين مستويين من الكلام، هما الكلام عن الأشياء، والكلام عن الكلام أو ما يسمى (ميتالغة).

٦-الوظيفة الشعرية (الجمالية والإبداعية): وتتعلق بالرسالة وتقوم على الجمال والإبداع والخيال والمهارة، وتتحقق هذه الوظيفة بالتأثير بالمتلقي وكسب تفاعله وإعجابه^(٥).

وأهم وظيفة عند (جاكسون) هي الشعرية، لكون هذه الوظيفة حاضرة في كل دراسة أدبية قائمة على الخيال والمشاعر والتأثير؛ "فالخطاب الأدبي عند (جاكسون) خطاب لغوي تواصلي، تهيمن فيه الوظيفة الشعرية من دون غياب الوظيفة الإبداعية الأساسية للغة"^(٦)، فهذه الوظيفة تتمحور حول الرسالة عينها، وهي العامل الوحيد المتبقي في ترسانة الأبنية التواصلية وهو ما تتمحور عليه

(١) ينظر: النظرية التواصلية بين علم اللغة الحديث وجهود علماء اللغة العرب، إيمان سليم يوسف: ١٩٥

(٢) ينظر: المحاورات مقاربة تداولية، حسن بدوح: ٥٣

(٣) ينظر: التواصل اللساني والشعرية، الطاهر بومزبر: ٤٦

(٤) ينظر: علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة، صلاح فضل: ٤٣

(٥) ينظر: النظرية التواصلية بين علم اللغة الحديث وجهود علماء اللغة العرب، إيمان سليم يوسف: ١٧٥

(٦) المصدر نفسه: ٩٣

الوظيفة الشعرية أو البلاغية أو الجمالية؛ لأن "استهداف الرسالة بوصفها رسالة والتركيز على الرسالة لحسابها الخاص هو ما يطبع الوظيفة الشعرية للغة"^(١).

فالوظيفة الشعرية هي الوظيفة الجمالية بامتياز؛ لأن المرجع في الجمال الأدبي، هو الرسالة التي تكفي عن أن تكون أداة الاتصال لتصبح هدفه، والمقصود بشعرية اللغة انزياحها عن معايير اللغة المألوفة وطبيعتها، ويتحقق ذلك الانزياح عن طريق المستويات الآتية: الانزياح التركيبي، والانزياح الدلالي^(٢)، ففي النص الأدبي تتوارى الوظيفة المرجعية ويتراجع دورها لصالح الوظيفة الشعرية؛ ومن ثم تتسم اللغة الأدبية بالإثارة والتكثيف الجماليين، ووسيلتها أدوات فنية وصور معبرة وموحية مختلفة ومتعددة^(٣)؛ مثل الاستعارة والمجاز والتشبيه، وغيرها من فنون البيان قديمة وموروثة، وهناك فنون جديد ومستحدث كالرمز والأسطورة، ويدخل ضمن هذه الوظيفة كذلك الإيقاع وكل ما يتعلق به من تكرار بعض الحروف، أو المقاطع، والجناس والسجع والتوازنات الصوتية المختلفة الأخرى، وبهذا يكون التأثير في المتلقي وجعله يتفاعل مع الرسالة قائم على تسخير المتكلم أدواته اللغوية في لصالح هذه الوظيفة، وأرى إن تمايز النصوص قائم على هذه الوظيفة، والحقيقة أن القرآن الكريم تظهر به هذه الوظيفة بوضوح تام، إذ نجد كل ما ذكر من أدلة على هذه الوظيفة موجود فيه، من فنون البيان وقد جاءت في القرآن على أروع صورة؛ بل على أعلى صورة، لذلك نجد العلماء نظروا لها بعدها وجوة إعجازية للقرآن الكريم.

والوظيفة الشعرية تمثل صيغة لفظية مكتوبة تشتمل على مضمون دلالي يقوم المتلقي بتأويله بالاستناد إلى فك شفراتها، والتركيز عليها بشكل كبير، وجعل تلك الصيغة اللفظية على محور التحليل منطلقاً منها إلى مكونات التواصل الأخرى^(٤)، ولم يقتنع (جاكسون) بتعريف اللغة على أنها وسيلة للتواصل فحسب، وإنما هي التي

(١) قضايا الشعرية، جاكسون: ٣١

(٢) ينظر: المحاورات مقاربة تداولية، حسن بدوح: ٥٤

(٣) ينظر: الإعلامية في الخطاب القرآني، زهراء البرقعوي: ٥٤

(٤) ينظر: اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية (١٩٧٠م-٢٠٠٠م)، ناصر يعقوب: ٤٨



تؤسس للتواصل؛ لذلك تم شيوع نظريته التواصلية في المؤلفات اللسانية^(١)، وقد أعاد بعض الباحثين تصنيف الوظائف إلى ثلاثة أصناف هي^(٢):

١- **الوظائف المعرفية:** هي التي تهتم بأي مجال له علاقة بالخطاب ومحتواه، كالإخبار والإحالة على الواقع المشترك.

٢- **الوظائف التداولية:** هي التي ينصب اهتمامها على التعبير عن الذات وترتبط بالمرسل، بالتأثير في المرسل إليه والتأثير فيه، وتهتم بخصائص الاسترجاع.

٣- **الوظائف الصورية الشكلية:** وهذه الوظيفة تهتم بالرسالة نفسها وبالقناة وبصلاحية الشيفرة، فهذه الوظائف تمثل ثلاث قمم، **القمة الأولى:** ضمير المتكلم (أي المرسل) وظيفته انفعالية، و**القمة الثانية:** ضمير المخاطب (المرسل إليه) وظيفته إفهامية، و**القمة الثالثة:** ضمير الغائب (شخص ما أو شيء ما) وظيفته مرجعية.

ويظهر مما تقدم أنّ اللغة ذات بعد لساني وظيفي، والتواصل الوظيفية الأساسية لها، وللتواصل ست عناصر، ولكل واحد منها وظيفة، المرسل ووظيفته انفعالية تعبيرية، والمرسل إليه وظيفته انتباهية تأثيرية، والرسالة وظيفتها جمالية، والمرجع وظيفته مرجعية، وأما القناة فوظيفتها حفاظية، واللغة ووظيفتها تفسيرية وصفية.

(١) ينظر: اللسانيات المعاصرة في ضوء نظرية التواصل، نور الدين رايس: ٨٦
(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي ظافر الشهري: ١٣



والفكر العربي التواصل يحتوي على عناصر أخرى للتواصل هي:

١-الإعراب: ووظيفته الإبانة: "أن الكلام الذي يكون غاية العملية التواصلية، لا بد له من مراعاة الإعراب، أو ما يسمى باتباع قواعد النحو العربية؛ لأن بها يستقيم المعنى، وتتحقق وظيفة الإبانة والمنفعة، وتتحقق الإفادة، فلا يكون تواصل سليم بكلام غير سليم"^(١)

٢-القصد: وهو معيار تمام الكلام، وفائدته، أن يكون مقصوداً، والقصد فيه عدة مطالب، أن يكون في اختيار الألفاظ التي يجد المتكلم أنها تنهض على حمل الرسالة التي أرادها، ومطابقتها لها من جهة، والقصد في توجيه الرسالة إلى متلق معين، فرداً أو جماعة؛ أي وقوع القصد التواصل من جهة أخرى، والقصد هو حصول التأثير الذي ينشده المتكلم من رسالته التواصلية، من جهة ثالثة^(٢).

٣-الإفادة: ويقصد بها "حصول الفائدة لدى المخاطب من الخطاب، ووصول الرسالة الإبلغية على الوجه الذي يغلب على الظن أن يكون هو مراد المتكلم وقصده"^(٣)، ويضاف إليها:

١-الوظيفة التفسيرية أو التأويلية: وهذه الوظيفة خاصة بتفسير النصوص الدينية؛ لأنها مرتبطة بتفسير القرآن العظيم؛ لأن اللغة التي استعملها الرسول (ﷺ) لتفسير القرآن الكريم كانت وظيفتها التواصلية مع المتلقين ووظيفة تفسيرية، لهذا اعتنت التفاسير بمرويات الرسول (ﷺ).

(١) النظرية التواصلية بين علم اللغة الحديث وجهود علماء اللغة العرب، إيمان سليم يوسف: ١٨٥

(٢) ينظر: الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، مارسليو داسكال: ٣٠

(٣) التداولية عند العلماء- دراسة لظاهرة (الأفعال الكلامية)، في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي:



٢- **الوظيفة التعليمية:** ويقصد منها الوظيفة التي ظهرت في المؤلفات ذات الطابع التعليمي أو الأقوال ذات الطابع التعليمي، وكانت الوظيفة المقصودة من الحدث التواصلية هي الوظيفة التعليمية، فكان التواصل التعليمي، وهذا ما يؤكد نشأة النحو العربي، إذ كان سببه انتشار اللحن، فكانت أول وظيفة في الفكر العربي الوظيفة التعليمية.

٣- **الوظيفة المعجمية:** وهي الوظيفة التي تكفلتها المعجمات اللغوية التي كان الهدف منها حفظ اللغة، وتوصيلها إلى الأجيال المتعاقبة.

٤- **الوظيفة التعبدية:** وتعني أن المتلقي عليه أن يفهم قصد الشارع من الرسالة التواصلية، في ما يخص الأحكام الشرعية التي تُعبد الله بها، ومن هذا نفهم أن هذه الوظيفة كانت عند الأصوليين، فكل حكم شرعي تكليفي ثبت بالخطاب القرآني وجب التعبد به، وهو الحكم المطلوب^(١).

ويظهر الباحث ممّا تقدم أن عناصر التواصل ووظائفه كانت حاضرة عند علماء العرب، وغير العرب المسلمين، ومما لا شك فيه أنّ أغلب تلك الدراسات والمباحث كانت نتيجة دراستهم للقرآن الكريم الذي كان سبب الدراسات اللغوية، وهذا ما يفسر وجود عناصر ووظائف تكاد تكون مختصه بهم؛ لأنها مختصة بالقرآن الكريم الذي تفرد بخصائص لا توجد في خطاب غيره، سواء كانت في بنيته اللفظية أو مضامينه التي جاء بها، لهذا كان القرآن الكريم محور الدراسات عند العلماء المسلمين.

(١) ينظر: النظرية التواصلية بين علم اللغة الحديث وجهود علماء اللغة العرب، إيمان سليم يوسف: ٢٠١-٢٠٥



المبحث الثالث: مرتكزات التواصل

أنّ التواصل يرتكز على مجموعة من المرتكزات التي تمثل الدعامة التي يقوم عليها البناء الفكري للتواصل.

المطلب الأول: أنواع التواصل

يرى الباحثون الذين صنفوا بالتواصل، إنّ للتواصل نوعين، إذ لا يمكن قصر التواصل على اللسان وحده، فذلك يعني تجاهل وإهمال أنساق أخرى لها دور رئيس في إنتاج المضامين الدلالية وإبلاغها^(١)، لهذا ينقسم التواصل على نوعين، هما:

النوع الأول: التواصل اللساني: هو التواصل الذي تستعمل فيه الألفاظ المنطوقة والمكتوبة وسيلة لنقل الرسالة من المتكلم (المُرسل) إلى المتلقي، وهذا التواصل يتوسل بالعلامات اللغوية لتكون وسيطاً له، والعلامات اللغوية هي أقوى فعالية في التواصل، وأشد تأثيراً في نقل المعارف والثقافة والتراث؛ لأنّ النظام اللفظي على عكس نظم العلامات الأخرى؛ إذ يمكن عن طريق التمحيص الدقيق للبنى الدلالية والنحوية أن يشير إلى تنوع واسع للمفاهيم والمقاصد، وينتج عن ذلك قابلية الظواهر اللغوية للتحليل سوء أكان ذلك داخل اللغة أم خارجها^(٢)، وبدوره ينقسم التواصل اللساني على:

أولاً: التواصل اللساني المنطوق، ويقسم على قسمين:

١- التواصل اللساني الفردي: وهو التواصل الحاصل بين شخص وآخر من أجل محاورته أو إيصال فكرة أو معلومة ما أو محاولة اقناعه عن طريق رسالة شفوية وركيزته في ذلك الألفاظ.

٢- التواصل اللساني الجماعي: وهو تواصل فرد مع جماعة محدد.

(١) ينظر: السيميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها، سعيد بنكراد: ٤٣.

(٢) ينظر: العبارة والإشارة، دراسة في ضوء نظرية الاتصال، محمد العبد: ١٥.



ثانياً: التواصل اللساني المكتوب: وهو التواصل القائم على مهارة الكتابة، فالكتابة تستعمل لنقل الأفكار والعواطف بكلمات مكتوبة، والتواصل الكتابي يفتقر إلى الإشارات والإيماءات التي ترافق التواصل اللفظي الشفاهي، وهو بدوره ينقسم على قسمين:

١-التواصل الكتابي الفردي: ويتم هذا النوع عن طريق الفرد مع آخر ووسيلة اتصاله الكتابة، فإذا أحسن المتكلم إتقان رسالته بلغت مناها في التأثير والإقناع، بما يبلغه التواصل اللفظي؛ لأن الرسالة تستند إلى المعايير والقواعد والمهارات والأساليب اللغوية المتنوعة والمؤثرة^(١).

٢-التواصل الكتابي الجماعي: ويتم التواصل عن طريق تواصل فرد مع الجماعة عبر رسالة كتابية تحمل مجموعة من المضامين والمفاهيم والأفكار التي يتداولها طرفا العملية التواصلية؛ بهدف الإيضاح أو الإفهام أو التأثير والإقناع أحدهما بالآخر؛ لتحقيق غايات وأهداف الرسالة.

وفي التواصل المكتوب يختلف الكاتب والمتلقي عن بعضهما زمانياً ومكانياً، كما أن عمليات إنتاج النص واستقباله لا يجري استناداً إلى التفاعل مباشرة، بل التعاقب بوصفها عمليات تتم عبر تباعد زمني، فبدلاً من التواصل القريب ينشأ تواصل البعد، وعلى ذلك فالكاتب والمتلقي ينجزان نشاطاتهما التواصلية في سياقات جزئية مختلفة؛ لكن التواصل من بُعد لا يُلغي التفاعلية، فالشركاء يتفاعلون بواسطة النصوص المكتوبة بعضهم مع بعض، ويؤثرون في بعضهم، وانطلاقاً من هذه الخصوصية تنتج تغيرات أساسية سواء في إعداد النص، أو في فهمه^(٢).

إنّ التواصل اللساني بقسميه (المنطوق والمكتوب) يعتمد في نقل الرسالة من المتكلم إلى المتلقي عن طريق كلمات متواضع عليها بين قطبي التواصل.

(١) ينظر: الخطاب الإشهاري عند داعش دراسة في آليات التواصل، واثق حسن مجهول: ١٩

(٢) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي، فولجانج هاينه: ٣٠٥-٣٠٦.

النوع الثاني: التواصل غير اللساني (الإشاري): وهو القائم على حركات الجسد أو السكوت والصمت، والإشارات، وكل مظاهر التواصل الأخرى غير الألفاظ المنطوقة أو المكتوبة، فيستعمل في هذا النوع من التواصل علامات ورموز وإيقونات تواصلية متعددة، للتفاعل بين المرسل والمرسل إليه، مثل تعبيرات الوجه، وغيرها من حركات الجسد، والرموز التي تستعمل للدلالة على الطريق، وهذا النوع قد يصحب التواصل اللفظي في كثير من الأحيان، "ولولا الإشارات التواصلية والإيماءات المصاحبة لما وجدنا إلى فهم الملفوظات سبيلاً"^(١)، وهذا يعني إن كل الأنظمة اللغوية والإشارة أنظمة تواصل، وأنّ انبثاق النظام التواصل يمكن تحقيقه عن طريق علاقتهما المتداخلة، ومع أنظمة مقارنة من النماذج الحسية^(٢)، ويساعد هذا النوع من التواصل في تحديد الجوانب الآتية^(٣):

١- يحدّد المؤشرات التي تدل على العلاقات والانفعالات الوجدانية بين المتكلم والمتلقي.

١- يُغني الرسالة؛ وذلك بتدعيمها بالحركات لضمان بقاء التواصل قائماً، فضلاً عن تعزيز الخطاب اللغوي.

٢- يساعد في تحديد الهوية الثقافية لقطبي التواصل عن طريق نظام الإشارات. وبهذا يكون التواصل شاملاً وواسعاً، فقد تكون الدوال لفظية أو دوالاً غير لفظية، وقد تعبر عن وعي أو من دون وعي، والتواصل قد يكون مباشراً أو غير مباشر، وقد يكون ذا قصد أو من بدون قصد.

وقد ذكر العالم الياباني (توشيهيكو)^(٤) نوعي التواصل في القرآن الكريم، وهما اللفظي: وهو الذي يتم من الأعلى إلى الأدنى، ويتمثل بالوحي بمعناه التقني

(١) الأسس الاستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيوييه، إدريس مقبول: ١٣٨

(٢) ينظر: التواصل اللساني والسميائي والتربوي، جميل حمداوي: ٣٤

(٣) ينظر: مهارات الاتصال، سيف الدين: ٧

(٤) توشيهيكو إيزوتسو (ت ١٩٩٣م) هو مستعرب، من أهل اليابان، من أعماله ترجمة القرآن الكريم إلى اليابانية، وكتاب الله والإنسان في القرآن - علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم. ينظر: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م، كامل سلمان الجبوري: ج ١/ ٤٣٥

الضيق، أو من الأدنى إلى الأعلى وهو الذي يتخذ شكل الدعاء، والنوع غير اللفظي يكون على شكلين كذلك الأول من الأعلى إلى الأدنى ويتمثل في الفعل الإلهي، أو من الأدنى إلى الأعلى ويتخذ شكل الشعائر الدينية عموماً^(١).

مما تقدم يتضح أن للتواصل نوعين الأول اللساني الذي ويتمثل بالكلمات المنطوقة والمكتوبة، والآخر الإشاري الذي يتمثل بالرموز والإشارات والرموز، وقد ذكر القرآن الكريم نوعي التواصل، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٌ ﴾^(٢)، ذكر هذه الآية النوع الأول وهو القائم على الكلام في حين جاء في آية أخرى ذكر التواصل الرمزي في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾^(٣).

(١) ينظر: الله والإنسان في القرآن، علم الدلالة الرؤية القرآنية للعالم، توشيهيكو إيزوتسو: ١٣١

(٢) سورة الشورى: الآية ٥١

(٣) سورة آل عمران: الآية ٤١



المطلب الثاني: شروط التواصل

لتحقيق التواصل هناك شروط لا بد من مراعاتها منها:

أ- فهم مقاصد الرسالة: يشترط في حصول التواصل (الفهم الإيجابي)؛ إذ يتحقق التواصل عندما يفهم المتلقي تمام الفهم رسالة أو خطاب المتكلم من حيث فحواه ومقصده^(١).

ب- تحقق أركان التواصل: يُشترط في التواصل وجود مجموعة من العناصر وهي (المتكلم، والمخاطب والرسالة، والقناة، والسنن)، حتى يصل التواصل إلى مستواه؛ فالتلفظ بقول أو خطاب أو تقديم بلاغ أو نداء أو التكلم بالإشارة أو القيام بحركة وغيرها من أشكال التواصل، التي تتجه من المتكلم إلى المتلقي، ففي هذه الأحوال كلها، فإنّ هذا التواصل لن يصل إلى مستواه، ولن يبلغ مداه الدلالي ما لم يتوافر عند كلّ من المخاطب والمخاطب السنن نفسها، لتبليغ البلاغ وتلقيه حتى يحصل التفاهم بشكل عملي^(٢)، فالتواصل له مهمة تتجلى "في التنسيق بين الأفعال في مجال اللغة الطبيعية"^(٣)؛ إذ ليس التواصل مجرد نقل عادي للأخبار بوساطة رموز وكلمات معينة، وإنما هو جملة من الأفعال اللغوية المتنوعة معرفياً واجتماعياً والتي تستند إلى التخطيط إلى أفعال بواسطة سنن أو رموز، يتم التفاهم من خلالها شفاهاً وكتابة^(٤)، فالتواصل هو بمنزلة اللبنة الأولى التي تستقر عليها المعاني في النفس؛ لأن نجاح عملية التواصل متوقف على مدى قدرة البلاغ على تحريك المُبلِّغ، وتفعيل مقدرته الحسية، ثم العمل به؛ أي البلاغ، بعد إدراك مكنونه، والأساس اللغوي لهذا التحليل هو العالم اللغوي (جاكوبسون)^(٥)؛ إذ يرى أنّ كلّ حدث لغوي يتضمّن رسالة وأربعة عناصر مرتبطة بها هي: المرسل، والمتلقي، ومحتوى الرسالة،

(١) ينظر: الخطاب، مقارنة وظيفية موحدة لتحليل النصوص والترجمة وتعلم اللغات، أحمد المتوكل: ١٥-١٦.

(٢) ينظر: استراتيجية التواصل في البلاغ القرآني، ليلي جودي: ٧٣.

(٣) فلسفة التواصل، جان مارك فيري: ٦٧.

(٤) ينظر: إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، عمر مهيبيل: ١٧.

(٥) رومان أوسيبوفيتش جاكوبسون (ت ١٩٨٢م) هو لساني وناقد أدبي روسي من رواد المدرسة الشكلية الروسية، وكان واحداً من أكثر اللسانيين شهرة وتأثيراً في القرن العشرين: الشبكة العنكبوتية، ويكيبيديا.

والسنن المستعملة فيها^(١)، ومن المؤلف أن تعمل هذه العناصر متماسكة متآلفة، ويتمّ الاتصال عن طريق نظام العلامات الذي يتفق عليه بين أفراد البيئة اللغوية المحددة^(٢).

ج- كينونة الغرض التواصلي: إنّ أي إنجاز معرفي عن اللغة، لا يمكن الوقوف عليه دون الوقوف على الغرض من التّواصل، ولهذا يلجّ الذين درسوا النصّ على الفعل التواصلي للنصّ؛ فالتواصل يربط بين خصائص النصّ المختلفة والقارئ، بل إنّ آخرين يتجاوزون ذلك إلى القول إنّ "النصّ عملية يخلقها القارئ"^(٣)، ويتحقّق هذا التواصل عن طريق انسجام النصّ مع سياقه، وانسجام عناصره المختلفة، ويشرح (رولان بارت)^(٤) آليّة هذا التواصل بقوله: "إنّ النصّ هو ذلك الشيء الذي يتحقّق لدى القارئ من تفاعله بالعلامات التي يتألّف منها المنطوق الإبداعي"^(٥)؛ وبهذا يصبح القارئ جزءاً لا يتجزأ من تعريف النصّ عند بارت.

يؤسس لنا ما تقدم إنّ هذا الاتجاه يقوم على رصد خصائص اللغة وربطها بوظيفتها التواصلية، ويكون ذلك عن طريق الوقوف على "أنّ قدرة طرفي الخطاب التواصلية تكمن في معرفة القواعد العامّة التي تمكّنها من تحقيق أهداف التواصل وتأويل الخطاب ومنها القواعد اللغوية في مستوياتها التركيبية والدلالية والصوتية"^(٦)، وهذا كله يدخل في كينونة الغرض التواصلي، الذي يُعد شرط لازم من شروط التواصل.

(١) ينظر: نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل: ٣٨٣.

(٢) ينظر: الخطاب القرآني، خلود عموش: ٢١

(٣) انفتاح النصّ الروائي، سعيد يقطين: ١٧.

(٤) رولان بارت فيلسوف فرنسي، ناقد أدبي، دلالي، ومنظر اجتماعي. وُلد (١٩١٥م)، في شربور، وأصيب بالسل في مطلع حياته، ونال شهادة في الدراسات الكلاسيكية من جامعة السوربون، ودرس في بوخارست، ومصر، وتعرض لحادث تُوفي على أثره في (١٩٨٠م): الشبكة العنكبوتية، ويكيبيديا.

(٥) درس السيميولوجيا، رولان بارت: ٣٧.

(٦) استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري: ١٠

د- تحقق المعرفة المتبادلة: إنّ المعرفة المتبادلة بين أطراف التواصل عاملاً محورياً في إنجاح التواصل؛ إذ إنّ هذه المعرفة تضمن إيجاد مساحة معرفية وسياق مشترك بين المتحاورين ليتجنب فشل التواصل؛ إذ إنّ المعرفة المتبادلة هي أمر ضروري ضمن إطار نموذج الشفرة، فإذا كانت الطريقة الوحيدة لتوصيل الرسالة هي بتشفيرها وفكّ شفرتها وكان للاستدلال أثر في التواصل اللفظي فعندئذ يتوجب أن يكون السياق الذي يفهم فيه القول مقتصرأً بشكل تام على المعلومات المتبادلة، وبخلاف ذلك لا يمكن للاستدلال أن يعمل بوصفه وجهاً فعالاً من أوجه فكّ الشفرة، ولكن كما لحظ كل الذين تعرضوا للموضوع أنّ من الصعب أن نرى كيفية إدخال شرط المعرفة المتبادلة كجزء من وصف كافٍ سيكولوجياً في إصدار المقولات وفهمها؛ وفي هذا السياق سعى (هاليداي)^(١) إلى تبني الفرضية القائلة إنّ البشر حين يحاولون التواصل فيما بينهم فإنهم يسعون إلى شيء يدهشون في الحقيقة عند إنجازه^(٢)، هذا يعني أننا نصاب بالدهشة عند نجاح التواصل؛ لأن نجاح التواصل ليس بالأمر السهل، فضلاً عن وصوله إلى مستوى مدهش، بل مستوى متفرد لا يقدر عليه أحد كما في تواصل القرآن الكريم، هذا ما جعل القرآن الكريم يمتاز عن النصوص الدينية الأخرى؛ إذ كان متفرد في خلقه للتواصل بينه وبين متلقيه.

مما تقدم ظهر للباحث إنّ تحقق التواصل يرتبط بمجموعة من الأمور التي يقوم عليها؛ لأن التواصل قائم بها ولا يكون تواصل إلا بتحققها جميعها.

(١) مايكل هاليداي عالم بريطاني، متخصص في اللسانيات العامة، كان من أنبه تلاميذ فيرث، وله أعمال تغطي قطاعات لسانية متنوعة منها لسانيات النص، والتعليمية والشعرية واللسانيات العامة، وهو صاحب نظرية في النحو تعرف بنظرية (النحو النظامي): الشبكة العنكبوتية، ويكيبيديا.

(٢) ينظر: نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل والإدراك، دان سبيربر، وديري ولسن: ٤٤-٤٥

المطلب الثالث: عوامل نجاح التواصل

أولاً: الكفاية التواصلية:

ويقصد بها القدرة على استعمال اللغة في تفاعل اجتماعي يوائم فيه بين المنطوقات والمقاصد وسياق التواصل، ولا تبنى الكفاية التواصلية على أساس مكونات المعرفة النحوية فحسب، ولكنها تبنى أيضاً على أساس معرفة التناسب الاجتماعي، والموقف للأحداث اللغوية، ويكتسب الناس آليات من تحقيق قوانين الخطاب، ويجرون على منحى أعراف تصنع خلفيات سلوكهم اللغوي، من ثم عُذ الخروج على ذلك كله فشلاً لغوياً^(١)؛ فمراعاة التناسب بين القدرة الكلامية والقدرة اللغوية والموقف التفاعلي الاجتماعي، بصورة صحيحة تحقق نجاحاً في التواصل.

فالكفاية التواصلية شرط مهم في نجاح التواصل، فقد اهتم المنظرون للتواصل أيما اهتمام به، وبالخطاب الملفوظ، أو النص المكتوب، ويأتي اهتمامهم بالخطاب دليلاً على اهتمامهم بكيفية التواصل، ونجاح الغرض التواصلية، بدءاً بالرموز المنطوقة، وصولاً إلى أطراف العملية التخاطبية (المرسل، والمرسل إليه والرسالة)، فضلاً عن الظروف المكانية والزمانية، والسياق، ومقتضى الحال، والتعاون الخطابية لفهم الرسالة ونجاح الإنجازية المقصودة، وكل ما يخطر في الذهن ممّا قيل أو لم يقل وهو سبب من أسباب نجاح التواصل^(٢)، تشكل هذه العوامل مكونات التواصل وهي:

١- معرفة مقاصد الرسالة، فهما كما أراد له منتج الخطاب^(٣)؛ إذا أن عملية التواصل لا تتم بمجرد إرسال رسالة من قبل المرسل، وإنما يتحقق ذلك عند تلقي المتلقي لها، وفهم مضمونها الذي يقصده المرسل، ومن ثمّ يعمل المتلقي وفقاً لما جاء بمضمون الرسالة أو بما يراه مرسلها على أن النتائج الايجابية لا تتحقق دائماً لوجود معوقات تعترض عناصر التواصل.

(١) ينظر: النص والخطاب والاتصال، محمد العبد: ٥٩، تحليل الخطاب، جورج ويول: ٢٧٠.

(٢) ينظر: في اللسانيات المعاصرة التواصلية والتداولية ومعايير النص القرآنية، صالح هادي القريشي: ٤٧-٤٨.

(٣) ينظر: واقع الاتصال اللغوي الشفهي لمدرسي اللغة العربية في المرحلة المتوسطة ومقترحات تطويره، سنار

طارش حسن: ٢٩

٢- اختيار التعابير المفهومة، هذا ما ذهب إليه (هابرماس)^(١)؛ إذ يرى إنه يتعين على المتكلم أن يختار تعبيراً مفهوماً واضحاً لكي يتمكن من التفاهم مع المتلقي؛ إذ يجب على المتكلم أن يكون لديه قصد تبليغ مضمون حقيقي؛ لكي يتمكن المستمع من مشاطرته معرفته، ويتعين على المتكلم اختيار عبارات صحيحة تلتزم حدود المعايير والمقاييس الجاري بها العمل؛ لكي يتمكن المخاطب من قبول تلك العبارات^(٢).

ويرى (دي بوجراد)^(٣) إنه يمكن للنص "أن يبقى ويطول استعماله بعد انقضاء الموقف الأصلي، الذي قيل فيه، فإذا تعرضت النظم الافتراضية للتغيير عبر الزمن أصبح القراء بحاجة إلى وسيط، كالتدريب المطلوب اليوم على قراءة الإنجليزية القديمة أو الوسطية، وأما إذا ظلت الأنظمة الافتراضية ثابتة فإن استعمالها لا ينطوي على مشكلة ... وكلما علت قيمة النص ازدادت فرصة مداومة استعماله؛ لأن الأحكام التي كانت عند إنتاجه تتسم بحسن التخطيط، وهي سمة الأعمال الخالدة، ويتضح من هذا العامل من عوامل البقاء وسبب دوام النصوص الأدبية والشعرية أطول مما يدوم غيرها من الأعمال"^(٤)، وهذا يعني إن ثبات النصوص يؤخذ من ثبات الأنظمة الافتراضية للتواصل والمبادئ التنظيمية للنص، وهذا ما نجده ماثلاً في القرآن الكريم، إذ يمتاز بدقته التنظيمية، وثبات نظامه اللغوي.

(١) يورغن هابرماس، فيلسوف وعالم اجتماع ألماني معاصر يعتبر من أهم علماء الاجتماع والسياسة في عالمنا المعاصر، ولد في دوسلدورف، ألمانيا وما زال يعيش بألمانيا، يعد من أهم منظري مدرسة فرانكفورت النقدية، وهو صاحب نظرية الفعل التواصلي: الشبكة العنكبوتية، ويكيبيديا.

(٢) ينظر: فلسفة التواصل عند هابرماس، سالم يفوت، (بحث) على الانترنت من دون معلومات.

(٣) دي بوجراد، عالم لغوي ومحلل خطاب أمريكي، كان أحد مطوري كلية فيينا لتدريس اللغويات، نشر مقدمة لسانيات النص في عام (١٩٨١م)، كان شخصية رئيسية في تحليل الخطاب النقدي: الشبكة العنكبوتية، ويكيبيديا.

(٤) النص والخطاب والإجراء، دي بوجراد: ١٠١



مما تقدم يخلص الباحث إلى أمرين:

أولهما: إن ملامح التواصل قد ظهرت في الفكر الإسلامي، وكان السبب في ظهورها القرآن الكريم، فقد قام العلماء بتحليل القرآن الكريم وعن طريق هذا التحليل ظهر في طيات كتاباتهم ملامح التواصل تمثل ذلك في الكشف عن عناصره، وأنواعه، وقد وجدنا في كتاباتهم أن الإعجاز التواصلية يقوم على تظافر وتلازم ثلاثة عناصر رئيسة من عناصر التواصل هي (المتكلم، والمتلقي، والرسالة)، فجميع هذه العناصر تظهر بأدوارها فالمتكلم الله (ﷻ) أرسل رسالته المتمثلة بالقرآن الكريم الذي يحمل القيم والمفاهيم تفرد بها إلى (البشر) المتلقي الذي تفاعل معا وأثرت به وسار على خطاه، وبهذا كان القرآن الكريم أعظم رسالة تواصلية عرفتها البشرية؛ إذ لم يصل لهذا المستوى المتفرد خطاب غير القرآن الكريم، فلا يوجد خطاب يمتلك هذه القدرة التواصلية المعجزة.

ثانيهما: إن نجاح التواصل قائم على توافر القدرة التواصلية، التي هي قدرة لسانية تُوظف فيها مستويات صوتية ومعجمية وتركيبية ودلالية من الخطاب، تُترجم نواياه التواصلية، ولأنّ القدرة التواصلية هي مجموعة القدرات التي يستطيع بواسطتها شخص إن يدخل سيرورة تواصلية مع الآخرين، فإنّها لا تقوم على القدرة اللسانية وحدها؛ أي القدرة على تكوين جمل صحيحة لغوياً، بل إنّها تأخذ بعين الاعتبار قدرات لسانية تتدخل في سيرورة التواصل، وترتبط باستعمال اللغة أكثر ما ترتبط بنسق نحوي شكلي، وإنّ التواصل الناجح هو الذي يمهد لالتقاء الأطراف المشاركة في العملية التواصلية ثم وصولها إلى مرحلة متقدمة من الاتفاق والتفاهم، يفرض ذاتاً تتمتع بمصداقية لا تضاهى، وهذا ما نجده في الإعجاز التواصلية للقرآن الكريم الذي يتضح في قادم فصول هذه الأطروحة.

الفصل الثاني

التواصل ونظريات تحليل الخطاب

(المفاهيم والاجراء)

• المبحث الأول: نظريات تحليل الخطاب (المفاهيم والإجراء)

• المبحث الثاني: التداولية بوصفها نسقاً تواصلياً

• المبحث الثالث: سيمياء التواصل



التواصل ونظريات تحليل الخطاب (المفاهيم والاجراء)

توطئة:

يتضمن هذا الفصل دراسة نظريات تحليل الخطاب، وما يتعلق منها بالتواصل وكيف يمكن الاستفادة من إسهامات تلك النظريات في بيان مديات الإعجاز التواصلي في القرآن الكريم عن طريق عرض تلك النظريات ودراسة الترابط بينها وبين التواصل؛ أي: كيف يثبت الإعجاز التواصلي عن طريقها، وهذه النظريات درست الخطاب القرآني من ناحية إثباتها لغويًا، والكشف عنها داخل القرآن الكريم، فلا يريد الباحث إثباتها أو بيان وجودها في القرآن الكريم؛ فهناك كثير من الدراسات حولها، وكانت جهود الباحثين في هذا المضمار رائعة؛ لهذا لا أريد أن يكون ما أعرضه هنا اجترار لما كُتب، بل بيان قدرة هذه النظريات على إثبات الإعجاز التواصلي في القرآن الكريم موضع الدراسة، لهذا لا بد من دراستها بما يخدم الأطروحة.



المبحث الأول: نظريات تحليل الخطاب المفاهيم والإجراء

المطلب الأول: الخطاب مفهوماً ومصطلحاً

تتردد كلمة خطاب بشكل مكثف في جوانب شتى من الفكر الإنساني المعاصر سواء أكان ذلك في الجانب الديني أو الحياة اليومية أو السياسية أو الثقافية أو الجوانب الإيديولوجية بصفة عامة، فالخطاب بصورة عامة يُعد من الفنون التي شغلت الفكر الإنساني قديماً، وما تبعه من نظريات تحليلية حديثة، لذا فالوقوف على هذه النظريات من صلب هذه الدراسة؛ لأنها تدخل في إطار التواصل، وقبل الوقوف على أشهر تلك النظريات لا بد أن نقف على رؤى علماء اللغة العربية من القدماء والمحدثين لمفهوم الخطاب في اللغة والاصطلاح.

أولاً: **الخطاب لغة:** من الفعل الثلاثي (خَطَبَ) "والخَطَبُ: سبب الأمر، تقول: ما خطبك؟ وخطبت على المنبر خطبة بالضم، وخطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً"^(١)، و"مُخَاطَبَةٌ" و(خِطَابًا) وهو الكلام بين متكلم وسماع ومنه اشتقاق (الخطبة) بضم الخاء وكسرهما باختلاف معنيين فيقال في الموعظة (خَطَبَ) القوم وعليهم من باب ... (خَطِيبُ) القوم إذا كان هو المتكلم عنهم و(خَطَبَ)"^(٢)، ومعنى الخطاب: "مُرَاجَعَةُ الكَلَامِ"^(٣)؛ أي: الكلام بين اثنين^(٤)، وجاء في لسان العرب في مادة (خَطَبَ) "يُقَالُ: خَطَبَ فلانٌ إلى فلانٍ فَخَطَبَهُ وأَخَطَبَهُ أي أجابه ... وَأَنَّ الخُطْبَةَ عِنْدَ العَرَبِ: الكلامُ المَنْثُورُ المُسَجَّعُ"^(٥).

مما تقدم يتبين معنى الخطاب يدور حول الكلام الملفوظ، وإخراجه إلى المتلقي عن طريق موضوع معين أو موقف ولذلك سمي مراجعة الكلام، فالخطاب

(١) الصحاح، الجوهري: (خطب) ١ / ١٢١

(٢) المصباح المنير، الفيومي: (خطب) ١ / ١٧٣

(٣) كتاب العين، الخليل: ٤ / (خطب) ٢٢٢، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم، بن سيده: (خطب) ٥ / ١٢٢

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ٢ / ١٩٨

(٥) لسان العرب، ابن منظور: (خطب) ١ / ٣٦١.

قطعة من الكلام توجّه إلى جمهور من النَّاس، أو هو كلامٌ يُخاطب به المتكلم جمعاً من النَّاس لإعلامهم وإقناعهم، كما عرف بأنه: المحاوره، وعليه فالخطاب يشمل المراجعة والمحاوره والمواجهه^(١)، ودلالة ذلك أنّ الخطاب يتضمّن معنى المناظرة والمناقشة بين المرسل والمرسل إليه في أمر أو دعوة ما.

ثانياً: الخطاب اصطلاحاً: اختلف الباحثون والنقاد في تحديد مفهوم الخطاب الاصطلاحيّ، شأنه في ذلك شأن كثيرًا من المفاهيم التي تُعرض إشكالات كثيرة على الصعيد الاصطلاحي وتضاربا في نقل مضامينها، الأمر الذي يؤدي إلى صعوبة في تحديد مفهومه؛ لذا سنتطرق في هذا الصدد ما يميّز مفهوم الخطاب عن غيره لدى بعض العلماء الذين تطرقوا لذكر هذا المصطلح.

يرى الفيلسوف الفرنسيّ (فوكو)^(٢)، إنّ سبب الإبهام الذي يحيط بتحديد مصطلح الخطاب هو اختلاف الفهم وتطوراته لدى الباحثين في النظرة إلى لفظ الخطاب، فضلاً عن كيفية استعماله؛ فهو يستعمل بكيفية أكثر التباساً وتشعباً؛ لأنّ اللسانيين اعتادوا على إعطاء لفظ الخطاب معنى يخالف ذلك تمام المخالفة، في حين يستعمل أنصار التحليل التواصليّ والمناطقة لفظ العبارة بمعنى مغاير له^(٣)، وتعريف الخطاب في الدراسات اللسانية الحديثة لا يتعدى مجموعة من الجمل التي تشكل وحدة لغوية، والبحث لا يريد هذا المفهوم من الخطاب، بل يقصد منه الكلام الموجه من (المبدع) بوصفه الذات الفاعلة في تكوين وتشكيل الخطاب، ذلك الكلام الموجه إلى (المتلقي)؛ إذ لم "يقتصر الأمر على الذات الفاعلة، بل تعداها إلى الذات المتلقية لتدخل عملية تشكيل الخطاب بذلك في صلب نظرية الاتصال، إذ بطبيعة الحال لا

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمود فؤاد عبد الباقي: ٤٧.

(٢) فوكو: فيلسوف فرنسي (ت ١٩٨٤م)، يعدّ من أبرز فلاسفة النصف الأخير من القرن العشرين، تأثر بالبنويين ودرس وحلّ تاريخ الجنون في كتابه (تاريخ الجنون)، وعالج موضوعات مثل: الإجرام والعقوبات والممارسات الاجتماعية في السجون، ابتكر مصطلح (أركيولوجية المعرفة)، أرّخ للجنس أيضاً من (حب الغلمان عند اليونان) وصولاً إلى معالجاته الجدلالية المعاصرة كما في (تاريخ الجنسانية): ينظر: أسس السيميائية، دانيال تشاندلر: ٣٨١.

(٣) ينظر: حفريات المعرفة، ميشال فوكو: ١٠٠.



يوجد أي معنى للخطاب مالم يكن هناك قارئ يستشف محموله الدلاليّ الكامن فيه"^(١).

وبهذا يمكن القول إنّ مصطلح الخطاب يعاني من عدم وضوح الدلالة؛ بسبب التداخل بين الفكر اللغوي القديم والفكر اللساني الحديث، فلم يكن مفهوم الخطاب وليد الفكر الساني الحديث، بل له جذور في الفكر العربي في جميع مستوياته التواصلية.

ويُعرف الخطاب: "اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"^(٢)، يؤكد هذا التعريف على الشفاهية في دلالة مصطلح الخطاب، وذلك عن طريق حصر التعريف باللفظ الذي يدل على النقل الشفاهي، والمقصود دلالة على وجود المبدع (المتكلم) الذي أطلق الخطاب لقصد الإفهام، وبهذا يكون الخطاب حامل لصفة القصد، وقد أشار إلى متلقي الخطاب في عبارة (من هو متهيئ لفهمه)، وبهذا تكتمل ثلاثية الخطاب عن طريق العلاقة بين عملية الفهم المقصودة من المتكلم إلى المتلقي، إنّ مصطلح الخطاب على هذا القول يؤسس إلى عملية الفهم والإفهام التي تمثل محور العملية التواصلية التي تقوم على التفاعل بين مبدع الخطاب ومتلقيه، وبهذا المعنى يكون الخطاب متكون من ثلاثة عناصر هي المتكلم (المبدع) والمتلقي والرسالة وبينهما العلاقة وهي التفاعل الذي يركز على الإفهام والتفهم.

وذهب بعضهم إلى أنّ الخطاب هو "كلُّ ملفوظ أو مكتوب يشكل وحدة تواصلية عن الذات"^(٣)، إنّ هذا التعريف يجعل المعيار الأساس لتحديد الخطاب هو الوظيفة وليس البنية، فلم يعد الحجم معياراً في تحديد الخطاب، إذ ممكن أن يكون الخطاب نصاً كاملاً أو جملة أو تركيب أو شبه جملة، وبهذا تأكد التواصل هو المعيار للخطاب أي الذي يشكل وحدة تواصلية كاملة، وهذا ما ذهبت إليه خلود العموش، التي اعطت للخطاب تعريفاً تواصلياً؛ إذ تقول: "نجد أنّ الخطاب كلمة تستخدم للدلالة

(١) جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني، صالح ملا عزيز: ٤٣

(٢) الإحكام في أصول الأحكام، الأمدي: ١ / ١٣٦

(٣) الخطاب وخصائص اللغة العربية (دراسة في الوظيفة والبنية والنمط)، أحمد المتوكل ٢٤.



على كلّ كلام متّصل اتّصلاً يمكّنه من أن ينقل رسالة كلاميّة من المتكلّم أو الكاتب^(١)، ويذكر أحمد المتوكل له تعريفاً آخرًا؛ إذ يرى إنّه "كل تلفظ يفترض متكلماً ومستمعًا ويهدف فيه الأول إلى التأثير في الثاني بطريقة ما"^(٢)، هذا التعريف ينظر إلى أركان الخطاب وهي: المتكلم، والمتلقي، الرسالة، قصد التأثير، والتفاعل وينتج عن ذلك التواصل، وبهذا يكون التصور للخطاب قائماً على استعمال اللغة ووظائفها.

يتضح للباحث لا يوجد اتفاق على تعريف محدد وموحد للخطاب؛ بل عرض للخطاب عدة تعاريف، وعليه يمكن أن أقول إنّ الخطاب لا يتفرد بناءً على بلاغة الألفاظ أو فصاحتها فحسب؛ بل يقوم الخطاب على استعمال اللغة لإيصال المعاني التي تحقق أهداف معينة سواء كانت دينية أو اجتماعية أو علمية أو سياسية أو غيرها، ويمكن وصف الخطاب بأنه متوالية من الألفاظ والجمل التي من الممكن أن يكون لها وقع وتأثير على المتلقي، ولا يمكن أن يكون مؤثراً إذا لم يكن هادياً إلى أهداف وطموحات وغايات مجموعة معينة لها رؤيا موحدة تجاه تلك الأهداف والغايات، ومن مكونات الخطاب هي حضارة وتاريخ المخاطبين إن كان عندهم حضارة وتاريخ وربطه بالواقع المعاصر كذلك الرقعة الجغرافية وما لها من مؤثرات في تركيبة مزاج المخاطب ومتى يمتلك ذلك الاستعداد وتلك القدرة لتلقي الخطاب وما لها من دور مهم في تكوين شخصية المخاطب وتكوين الخطاب المؤثر، وكذلك مدى إطلاع المخاطب على ما هو مثله أو شبيهه كلها عناصر مؤثرة وعوامل مكونة للخطاب المؤثر؛ فإذا أفرغ الخطاب من أثره أصبح لغواً لا قيمة له وإن كان محفوظاً بالألفاظ المتناسقة والجمل المتكاملة.

(١) الخطاب القرآني، خلود عموش: ٢٤

(٢) الخطاب وخصائص اللغة العربية، أحمد المتوكل: ٢٦



المطلب الثاني: القرآن بوصفه خطاباً

إنّ القرآن الكريم يمكن أن ننظر إليه بوصفه خطاباً؛ لأنه متكون من مجموعة من النصوص، تمثلها سور القرآن الكريم، وكذا آياته تمثل خطاباً بما تحمله من دلالات؛ فالقرآن الكريم خطاب ذو شفرة دلالية، متعالية على الزمان والمكان، باعتباره رسالة قصدية موجهة من مُرسِل إلى مستقبل؛ لأن الرسالة القصدية يوجّهها شخص ما يعني بها شيئاً معيّناً ومقصوداً^(١)؛ وقصدية الخطاب تجعل منه خطاباً تواصلياً؛ فالخطاب القرآني مركب كلياً على شكل شبكة تواصلية، تُمارس فيه الوظائف من المتكلم نفسه وهو الله (ﷻ)، وعن طريق البيانات التي تنقلها شفرات الخطاب القرآني ليتم التواصل مع المرسل إليه، إذ إنّ الفاعل المطلق الله (ﷻ)، يُرسل الأعمال التوصيلية كالأوامر والنواهي، والسردية والمرجعية والمعرفية والتشريعية وغيرها إلى البشر^(٢) عن طريق اللغة؛ لأن اللغة لها وظيفة أخرى إلى جانب وظيفتها العامة، وهي وظيفة التواصل تفرض علاقة بين متكلم ومخاطب^(٣)، وبالرغم من إنّ خطاب الله للبشر لا يمكن أن يتلقاه البشر إلاّ عن طريق بيانات بشرية؛ أيّ بقوالب بشرية، لكن هذه اللغة تنماز بخاصية وهي الإعجاز التواصلية، وهو تواصل بمستوى متعالٍ وممكن أن يكون هو المقصود بالتحدي الذي عجز كل البشر على الإتيان بمثله؛ أي بمثل التواصل الذي يمتلكه القرآن الكريم؛ الذي لا ينفك عنه في جميع وحداته النصّية حتى في أصغر وحدة نصّية وهي الحروف المقطعة في أوائل بعض السور القرآنية؛ فهي وحدات نصّية تحمل شفرات دلالية الغاية منها خلق تواصل بين القرآن الكريم ومتلقيه، فكل ما جاء في القرآن الكريم يكشف عن الإعجاز التواصلية الذي تفرد به؛ لذا ينبغي معرفة عناصر لغة القرآن وقواعد نظمها، ويتجلى ذلك في تعبير الذات المقدسة عن نفسها، والمقاصد التي تكشف تمايز لغة القرآن الإعجازية التي صيغت في قوالب بشرية، مع ذلك تفرد الخطاب القرآني بأنه خطاب

(١) ينظر: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، بول ريكور: ٥٣

(٢) ينظر: الفكر الإسلامي، قراءة علمية، محمد أركون: ٢٥

(٣) ينظر: مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، نصر حامد ابو زيد: ٢٨



لكتاب سماويّ مُعجز، ما يجعله "من أهم الوسائل التعبيرية التواصلية القادرة على استيعاب الأنساق الحضارية"^(١)، ولعلّ السمة التعبيرية التواصلية هي من أوضح الصور التي تتجلى في الخطاب القرآني؛ إذ أن القرآن الكريم هو خطاب دينيّ جاء لبناء المجتمع، وكان جديراً بهذا البناء أن يكون له أسس تنظيمية لقيامه، وهو ما تجسد في القرآن الكريم؛ إذ جاء بنظام حياة كامل وشامل، وذلك بوقوفه على جوانب متعددة؛ إذ فيه "قصص ومواعظ واحتجاج، وحكم واحكام، واعذار وانذار، ووعود وعيد، وتبشير وتخويف، وأوصاف، وتعليم أخلاق كريمة، وشيم رفيعة، وسير ماثورة، وغير ذلك من الوجوه التي تشتمل عليها"^(٢)، وهذه مضامين تواصلية ظهرت في صور متعددة من صور الخطاب القرآني الفريد الذي وظف ذلك كله لأداء هذه الرسالة الألهية، فكان أداة تبليغية، في أعجز صورة تواصلية في هذا الميدان التأسيسي لحضارة بشرية قوامها حكم الله تعالى في الأرض.

إنّ التواصل في القرآن الكريم يتسم بسمة القدسية لقداسة أركانها بدءاً بالمرسل وهو الذات الإلهية وأدواره في الخطاب، والمتلقي الأول للخطاب وهو الرسول محمد (ﷺ)، والرسالة؛ لأن الخطاب هو وحدة دلالية تواصلية، تضم مادة ابلاغية بهدف إيصالها للمخاطب، كان المخاطب (المتلقي) هو العنصر المقصود من هذه العملية، ولذلك ترى أن الخطاب القرآني جاء مراعيًا له ومتناسبًا مع عالمه، لتكون له عملية الفهم بشكل واضح، ومن ثمّ امتثاله لما ضمه الخطاب القرآني من أحكام وغيرها؛ إذ نرى تعددًا وتنوعًا في مضامينه وأساليبه ومخاطبيه، تناسبًا مع مقامه وظروفه، وهنا تتجلى مسألة أعجاز القرآن التواصلية في ديمومة الخطاب وفاعليته، ومن ثمّ أستمراية سمته التواصلية، ورسالته الابلاغية التي "جاءت لتستوعب الزمان والمكان والانسان"^(٣)، ولذلك فإنه خطاب متفرد معجز، والإعجاز التواصلية في القرآن الكريم يمثل أحد صورته.

(١) جمالية الخطاب في النص القرآني، لطفي الجودي: ٩٣.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن، الباقلائي: ٣٦.

(٣) جمالية الخطاب في النص القرآني، لطفي الجودي: ٩٧.



إنّ القرآن الكريم خطاب تواصلّي لا تنقضي عجائبه فهو كلام الله تعالى الخالد الذي لا زال يتحدى البشر وعلوم البشر ليتفوق عليها في كل زمان ومكان، ويظهر هذا الإعجاز بناءً على ما تركه القرآن الكريم من تفاعل وآثر في المتلقي، فهو الطريق الذي يكشف كفاءة المتكلم الله تعالى، ويكشف عن اختلاف الماهية بين خطابه وخطاب البشر؛ لأن "الاختلاف في الماهية موجبا للاختلاف في الاعتبار"^(١)، فماهية الخطاب القرآني تختلف على ماهية غير من الخطابات من حيث الشكل والمضمون، وهذا ما نجده في القرآن الكريم؛ إذ يختلف عن جميع الخطابات الأخرى من جهة الشكل والمضمون، لهذا جاء التحدي من الله للبشر بأن يأتيوا بمثله لكن عجزوا عن ذلك، قال تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ

كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ^(٢) .

(١) المنطق الفطري في القرآن الكريم، محمد اليعقوبي: ١٧

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٨



المطلب الثالث: مفهوم تحليل الخطاب

تعددت مصطلحات تحليل الخطاب على وفق تعدد النظريات والاتجاهات، التي درسته، فقد عُرف تحليل الخطاب بأنه: "كل تقنية تسعى إلى التأسيس العام والشكلي للروابط الموجودة بين الوحدات اللغوية للخطاب المنطوق أو المكتوب في مستوى أعلى من مستوى الجملة"^(١)، هذا التعريف يعطي مساحة للبحث عن عناصر غير لغوية لها دور في تحليل الخطاب، فهو "يعطي تحليل الخطاب مجموعة من المعلومات عن بنية النصّ أو نمط من النصوص وعن دور كل عنصر في هذه البنية فاللسانيات الوصفية لا تصف في الحقيقة إلا دور كل عنصر داخل الجملة التي تحتوي عليه، أما تحليل الخطاب - إضافة إلى هذا- فهو يعلمنا طريقة بناء الخطاب لإرضاء التخصصات كلها تمامًا مثلما تؤسس اللسانيات الاستدلالات الدقيقة الخاصة بالطرق التي تبنى بها الأنظمة ذات التخصصات المختلفة"^(٢).

إنّ الإشارة إلى التخصصات كلها في تحديد مفهوم تحليل الخطاب يفتح الباب أمام العلوم الأخرى لتسهم في عملية التحليل وإن كان حصرها في الدائرة اللسانية، وبهذه الإشارة للتخصصات الأخرى قد تخطى علم تحليل الخطاب التركيز على الأداء اللغوي.

فيمّا قد يُنظر إلى تحليل الخطاب على أنّه تكوين الفروض التي تتعلّق بالمخاطب، والمخاطب، وروابط الخطاب، ودرجة تواصله، وتماسك الأبنية المكوّنة له، كما يتطلّب تجريدًا للمعلومات المتّصلة باختيار الألفاظ والتراكيب والمضامين التي يحملها، وتحولات الزمن والدلالات في^(٣)، ويمثّل هذا المنظور كتاب (تحليل الخطاب) لمؤلفيه (براون و يول) الصادر عام (١٩٨٣م)، فهما يقدمان مجموعة من

(١) تحليل الخطاب الأدبي (دراسة تطبيقية)، إبراهيم صحراوي: ١٨.

(٢) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي: ٢٣، وينظر: تحليل الخطاب في اللسانيات الحديثة (المقاربة التداولية نموذجًا)، عباس محمد أحمد: ١٣٤.

(٣) الخطاب القرآني، خلود عموش: ٢٤



الافتراضات التي تحكم اشتغال المتلقي بالخطاب بهدف اكتشاف انسجامه أو عدمه، ومنها:

١- إنَّ الخطاب لا يملك في ذاته مقومات انسجامه، وإنَّما القارئ هو الذي تسند إليه هذه المقومات، وهذا لا ينطبق على القرآن الكريم؛ لأنه خطاب يمتلك مقومات انسجامه في ذاته، وهذا الأمر ثابت في القرآن الكريم تحقياً ولا يمكن لأحد إنكاره، فالدراسات منذ أن بدأت تدرس القرآن وإلى يومنا هذا لا تنكر امتلاك القرآن انسجامه الداخلي، ولا علاقة للقارئ في انسجام مقومات الخطاب القرآني؛ فهو لا يتعدى كونه كاشف عنها، وهذا الكشف، هو ناتج عن تفاعل القارئ مع الخطاب القرآني.

٢- إنَّ كلَّ خطاب قابل للفهم والتأويل هو خطاب يمتلك مقومات انسجامه، التي ترُكَّب من سلسلة من الوحدات اللغوية ذات الوظيفة التواصلية الواضحة^(١)، وهذا ما يثبت ما ذهب إليه في النقطة السابقة من امتلاك القرآن الكريم مقومات انسجامه الداخلي، إذ القرآن الكريم خطاب قابل للفهم والتأويل، وهذا ما يجعل المتلقي متفاعلاً معه ومشوداً إليه، وقد يشترك مع القرآن الكريم بعض الخطابات في هذه النقطة؛ أي الانسجام بين مكوناتها، لكن الفارق هو مستوى هذا الانسجام؛ إذ أن مستوى انسجام القرآن الكريم لا يمكن لأي خطاب بشري أن يصل إليه، وهذا هو ما جعل القرآن الكريم بمستوى الإعجاز.

ويتولى تحليل الخطاب "دراسة عمليات التواصل بالتركيز على القيود والعلاقات المتحكمة في الإستراتيجيات والخيارات التي يهدف إليها المتكلم، مهتماً في ذلك بالمكونات اللسانية وغير اللسانية، فيرتبط تحليل الخطاب بزمن التلفظ ووضعيته وسياقه ومكانه ومن يتكلم، ولهذا فمعنى الخطاب ليس معطى لسانياً فقط، بل هو مرتبط بمتلقيه وما يفرضه عليه من شروط في الفهم والتأويل"^(٢)، وتحليل الخطاب يكشف عن شيء مهم وهو إنَّ "اللغة الوعاء الحامل للفكر تمثل عاملاً رئيسياً في كل

(١) ينظر: الخطاب القرآني، خلود عموش: ٣٨

(٢) قراءة القرطاجني في ضوء نظريات تحليل الخطاب الحديثة، خليفة الميساوي: ٢٨٥



الفصل الثاني: التواصل ونظريات تحليل الخطاب

رهانات الفكر وطروحاته"^(١)، وتكمن العلاقة بينها وتحليل الخطاب والتواصل، إنّ "كل عملية خطابية تحيل إلى عناصر عديدة للتواصل، تتمثل في المخاطبين، وسياق الخطاب، ومقاصده"^(٢).

إنّ تحليل الخطاب لا يعدو أن يكون إلا بحثاً في التواصل، وهذا يتطلب بحثاً في انتظام مكونات الخطاب البراغماتية واللسانية التي تُعد جوهرية في دراسة تحليله؛ إذ كل خطاب محكوم بجوانب انتظامية نحوية وقضايا دلالية ومكونات براغماتية تجعل عملية التواصل ممكنة^(٣).

يخلص الباحث ممّا ذكر إنّ مفهوم تحليل الخطاب يعني دراسة آليات الخطاب التي يحقق بها الخطاب هدفه وتأثيره، ويخلق تفاعله، وبذلك يمكن قياس مدى تواصلية الخطاب عن طريق تحليله.

(١) القراءة الحداثوية للنص القرآني، حكيم سلطان السلطاني: ٢٠
(٢) أثر معرفة صفات المخاطب في تفسير القرآن، دراسة تحليلية في ضوء عناصر الاتصال السلوكي، عبد العزيز بن جاسم المرزوق: ٢٢٨
(٣) ينظر: الوصائل في تحليل المحادثة، خليفة الميساوي: ٤٤



المطلب الرابع: الاتجاهات في دراسة اللّغة

إنّ دراسة الظاهرة اللغوية تناولها العلماء في اتجاهين:

الاتجاه الأول: الدراسة الشكلية للّغة: هو الاتجاه القائم على الأحكام المعيارية في علم النحو، والتحليل الصرفي، ويتمثل هذا الاتجاه في الدراسات التي تُعنى بدراسة النظام اللغويّ معزولاً عن سياق التواصل، منها المنهج البنيويّ، الذي يُعنى بدراسة المنجز اللغويّ في صورته الآنية بغض النظر عن السياق الذي أُنتج فيه، أو علاقته بالمرسل وقصده بإنتاجه، وكذلك المنهج التوليدي الذي يهتمّ بتفسير الظاهرة اللغويّة في عمقها، قبل الإنجاز، ويمثله النحو التوليدي والتحويلي بتطورتهما، فالنحو التوليدي يرجع بالدرس اللغويّ من ملاحظة الظواهر اللغوية ووصفها إلى محاولة تفسيرها ووضع النظرية لها، ثم تطور هذا المنهج فبرز مفهوم النحو التحويليّ الذي يصور اللّغة على إنها مجموعة من الجمل العميقة، مما جعله يرجع عدد من الجمل المنجزة إلى جملة ذات بنية عميقة؛ من أجل تفسير محدودية الأصل ولا نهائية المنجز^(١).

وقد قامت أغلب أطروحات الإعجاز القرآني في ضوء الدراسة الشكلية للّغة من جانب المستوى التركيبيّ أو الصرفي أو الصوتي أو غيرها، إلى أن جاءت الدراسات الحديثة التي بحثت عن الإعجاز من جانبه الوظيفي، وإن كانت هذه الدراسات مبنية على إشارات السابقين ونظرياتهم؛ فنجد أقوى أطروحة للإعجاز وهي (النظم) قائمة على تحليل اللّغة بمستواها الشكليّ في أغلب جوانبها؛ فالجرجاني يرى إنّ الكفاءة اللغوية قائمة على تمثيل معاني النحو في التركيب، وهذا المستوى يندرج تحت المستوى الشكلي للّغة، فهو يثبت الإعجاز عن طريق مستويات لغوية تمثلها الخيارات الشكلية، ويتمثل الإنجاز اللغويّ في تجلي مستوى منها، وقد مثل ذلك في مستوى التركيب الذي تجلت فيه الكفاءة اللغوية للمرسل؛ فالجرجاني يذهب

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري: ٥-٩

إلى أنّ كلام الله تعالى وإن صدر بصيغة بشرية، فهذا الكلام لا يركب فقط بين المفردات؛ بل في الجمل، ولا يولد معاني مفردة بل ينسج المعاني في نسق خاص وترتيب فريد لتوليد صورة معنى أو مشهد معنى، وهو ما عبر عنه بمعنى المعنى^(١).

الاتجاه الثاني: الاتجاه التواصلي: لم يقف العلماء عند الاتجاه الشكلي للغة؛ إذ تطور البحث عندهم عن طريق إدماج الاتجاه التواصلي في الدرس اللغوي، فذكروا إنه لا يوجد كلام أصلاً، إلاً منطوقاً في سياق تواصلي اجتماعي، والدليل على ذلك اشتراط حصول الفائدة من الكلام، ومن جانب آخر الاهتمام بالدراسات البلاغية التي تؤكد على الارتباط بين اللغة واستعمالها في السياق^(٢).

إنّ تلك الدراسات أكدت أهمية الجانب التواصلي؛ فقد عدت القدرة على توظيف اللغة في التواصل دليلاً على الكفاءة الذهنية التي يعتمد عليها المرسل في انجاز الخطاب.

في ضوء ما تقدم يتضح للباحث إنّ اللغة لا تظهر خصائصها إلاً عن طريق المنجز التلقضي، فلا تكفي الدراسة الشكلية للغة سواء أكان ذلك من حيث التركيب، أم من حيث الدلالة؛ فمكونات الخطاب التي تدرسها العلوم الإنسانية هي مكونات لا تقبل الاختزال إلى مظهرها الإشاريّ الصرف، كما هو معمول به في التوجّهات الاختزالية ذات النزوع الموضوعي (السيكولوجيا السلوكية اللسانيات البنوية، البويطيقيا الشكلانية)^(٣)؛ بل تتطلب إنتاج معرفة بطابعها السيميائي الذي يجعل منها

(١) ينظر: اللغة الدينية بين السلطة والمعنى: وجيه قانصو: ٩

(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب/ مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري: ٦-٧

(٣) السيكلوجيا السلوكية: العلم الذي يدرس العقل والسلوك، أي أنه يدرس كيفية عمل العقل وتأثيره في السلوك، وهو يتضمّن كافة الجوانب الوظيفية، بدءاً من وظائف الدماغ وصولاً إلى سلوكيات الإنسان. اللسانيات البنوية: هو نهج في اللسانيات نشأ من عمل اللساني السويسري فرديناند دو سوسور، وهو جزء من النهج العام للبنوية. البويطيقيا الشكلانية: هي نزعة تهدف إلى تغليب قيمة الشكل والقيم الجمالية على مضمون العمل الأدبي، وما فيه من فكر أو خيال أو شعور، واعتمدت الشكلانية منهجية تجريبية تركز على دراسة الظواهر والملاحظات التجريبية، بعيداً عن الانطباعية، وكان تركيزها على الشكل ونسج النص اللفظي، وهذا دفعها إلى دراسة الأصوات وتكراراتها وتناسقها وإيقاعها: الشبكة العنكبوتية، ويكيبيديا



مكوّنات حيّة ومتفاعلة"^(١)، ويُقصد من الدراسة الشكلية للغة فصلها واختزلها على البنية الشكلية لها فقط، وهذا ما دعت له البنيوية، والدراسات الإنسانية اليوم لا تقبل بهذا الاختزال؛ لأنها ترى اللغة كائناً حياً يتفاعل مع المحيط الذي تكون فيه، كان هذا الأمر السبب الرئيسي في إقبال كثير من العلماء والباحثين على دراسة اللغة عن طريق جانبها الوظيفي وأبرز تلك الجوانب هو الجانب التواصلية، فقد "استدعى دراسة السياق الذي يجري فيه التلفظ بالخطاب اللغوي بدءاً من تحديده؛ بمعرفة عناصره، ودور كل عنصر منها في تشكيل الخطاب، وتأويله، وكذلك دراسة افتراضات المرسل عند إنتاج خطابه ووسائله وأهدافه ومقاصده، أو التنبؤ بها، ومعرفة أنواع السياق مثل السياق النفسي والاجتماعي، وإدراك تأثير كل منها على توليد الخطاب والضوابط لكل ذلك"^(٢)، وقد تمثّل الاتجاه التواصلية في مناهج كثيرة منها: الدراسات التداولية، والنحو الوظيفي واللسانيات الاجتماعية، وسيمياء التواصل، وغير ذلك^(٣)، وبالرغم من تعدّد هذه الدراسات، وتركيز كلّ منها على جانب معيّن، فإنّه يُمكن من يحاول وضعها كلها في إطار عام هو إطار التواصل، إذ يحاول الباحثون تحديد فعل التواصل، ومعرفة كيفية حدوثه، ومعرفة الاستراتيجيات التي يوظّفها المرسل لتحقيق التواصل مع الآخرين، والعوامل التي تتدخّل في اختيارها، وتأثير نظام اللغة المستعملة في تشكيل الخطاب التواصلية.

(١) تداوليات التخاطب عند ميخائيل باختين، محمد الحريش: ١٥٩.

(٢) استراتيجيات الخطاب/مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري: ٩

(٣) ينظر: علم اللغة الاجتماعي، هديسون، ترجمة: محمود عياد: ١٥-١٦.

المطلب الخامس: مقاربات تحليل الخطاب

إنَّ الحديث عن الخطاب، وتحليله يحتمُّ مغادرة عالم اللغة بوصفه نظاماً للعلامات والدخول إلى عالم آخر هو عالم اللغة بوصفها وسيلة تواصل تعبر عن نفسها بالخطاب^(١)؛ أي تحليل اللغة عن طريق أثرها؛ لهذا لا يمكن تحليل الخطاب إلا بالنظر إليه بأنه فعل منجز يؤدي وظيفة التواصل، وتحليل الخطاب مجموعة من المقاربات وهي^(٢):

أولاً: المقاربة التواصلية: تركز هذه المقاربة على الوظيفة التواصلية للغة؛ إذ لا تقتصر على الجانب اللساني وإنما تتجه إلى وظائف اللغة، وهي الوظيفة المرجعية، والوظيفة الميتالغوية، والوظيفة الأدبية، والوظيفة التنبيهية، والوظيفة الانفعالية، والوظيفة التأثيرية، وتتجلى هذه الوظائف عبر النموذج التواصلية الذي يتكون من المتكلم (الباث) والمتلقي والقناة والسياق والرمز اللساني والرسالة، وهذه المقاربة تعني إنَّ التواصل يعتمد على القدرة التواصلية، وإنَّ القدرة اللغوية غير كافية وحدها للتواصل، وقد شكلت هذه المقاربة مسارات متعددة في دراسة التواصل تنظيراً وتطبيقاً.

ثانياً: المقاربة التلفظية: تهتم هذه المقاربة بشروط الإنتاج التلفظي، نظام انشغال اللغة عن طريق الضمائر المنفصلة والمتصلة وأسماء الإشارة وزمن التلفظ وعلاقته بالمتكلم، ثم أهتم بالمشيرات المقامية ودورها في تحليل الخطاب بالتركيز على توزيعها في الخطاب وما تشكله من إحالات ومراجع في بنية الخطاب التلفظية.

(١) ينظر: الخطاب، سارة ميلز: ٢٣

(٢) ينظر: قراءة القرطاجني في ضوء نظريات تحليل الخطاب الحديثة، خليفة الميساوي: ٢٨٥



ثالثاً: المقاربة اللسانية الاجتماعية: إنّ ميدان هذه المقاربة هو البحث في اختلاف الاستعمالات اللسانية في مجموعة لسانية معينة، وتتركز عملية التحليل فيها على وظائف اللغة واستعمالها في المجتمع وكذلك تركز على السياق الاجتماعي والثقافي لإنتاج الخطاب، وتعد هذه المقاربة أنّ الخطاب إجراء اجتماعي ينتجه المجتمع على وفق قيود معينة متحركة في عملية التلفظ وتجعلها مرتبطة بالإطار المكاني والزمني ومن يتكلم وموضوع الحديث وطبيعة العلاقة الرابطة بين المشاركين في الخطاب وجنسهم ومستواهم التعليمي والاقتصادي وطبقتهم الاجتماعية.

رابعاً: المقاربة المحادثية: ركزت هذه المقاربة على اللغة بعدّها حدثاً اجتماعياً تفاعلياً يخضع للسياق الاجتماعي وأن الخطاب يخضع في تحليله لشروط الانتاج اللسانية والاجتماعية، واتبعت منهجاً في التحليل يقوم على تقسيم المحادثة إلى أدوار كلامية ثم البحث في كيفية الربط والترابط بينها في سلسلة الكلام مع التركيز على الظواهر غير اللسانية ولها علاقة بالمحادثة مثل حركات الجسم المصاحبة لعملية التلفظ وما تقوم به من دور في الفهم والتأويل وتحديد المقاصد.

خامساً: المقاربة البرغماتية: تقوم هذه المقاربة على مفهوم الفعل ومفهوم السياق ومفهوم الإنجازية، وقد مرت بمراحل بدءاً بمرحلة البرغماتية التحليلية التي قامت على الفلسفة التحليلية في خمسينات القرن العشرين، التي اهتمت بتحليل الأفعال الكلامية في علاقتها بمقاصد المتكلم، وقد قام التحليل فيها على دراسة الفعل القولّي والفعل التأثيري والفعل الإنجازي^(١).

(١) تحليل الخطاب، في نظرية النحو الوظيفي، نعيمة الزهري: ١٧

سادساً: المقاربة السيميائية: تبحث هذه المقاربة في إنتاج العلامة وتصنيفها ودلالاتها وتأويلها، والتي اعتبرت عبارة عن نظرية عامة للعلامات وكيفية تمظهرها في الفكر، وهذا ما يجعل العلامة مرتبطة في تأويلها والبحث عن دلالتها بإطار الفعل التأويلي المرتبط أيضاً بالسياق، ومن ثمّ فهي تهتم بالكشف عن الدلالة وعن السيرورة التأويلية لأي علامة، فيشكل بحسب هذه المقاربة كل فكر بواسطة العلامات، والعلامة تتكون من جوانب ثلاثة: الجانب الأول: العلامة المادية المباشرة: وهي التي تعين الموضوع الفكري، ويتعين ذلك بواسطة المؤول المباشر، الجانب الثاني: هو عبارة عمّا يدور حوله الكلام، ويتحقق هذا عبر المؤول الدينامي الذي يعبر عن العلاقة بين العلاقة العلامة ودلالاتها، الجانب الثالث: المؤول النهائي، وهكذا تنطلق سيرورة عملية التأويل من العلامة المباشرة ثم تتواصل عبر التأويل الممكن^(١).

وقد تطورت الدراسات اللسانية في القرن العشرين فتعددت المناهج الحديثة لتحليل الخطاب والبحث في اسراره والكشف عن مكوناته، إلا أن هذه الدراسات أهملت في تحليلها السياق والمرجع والعوامل الخارجية المؤثرة في العملية التواصلية القائمة بين المتكلم والمتلقي، ممّا أدى إلى نشوء مناهج أخرى تتعدى حدود ما توقفت عنده المناهج السابقة؛ إذ تُعنى بالعوامل المؤثرة في العملية التواصلية، ولهذا ولدت مناهج جديدة في تحليل الخطاب منها المنهج التداولي، وسيمياء التواصل. كما أن المقاربة التواصلية وتحليل الخطاب لا تستلزم بناء نظرية مستقلة لكل منها؛ بل يجب أن تؤول إلى إطار نظري ومنهجي واحد^(٢).

ثمّ أن ومحلل الخطاب "يعد الكلمات والعبارات والجمل التي تظهر في المدونة النصية لخطاب ما، دليلاً على محاولة الباحث توصيل رسالة إلى المتلقي، مما يجعله يُعنى-على وجه الخصوص- ببحث كيفية وصول متلقٍ ما إلى فهم الرسالة التي يقصدها المنتج في مناسبات معينة، وكيف أن متطلبات المتلقي المفترض تؤثر في

(١) ينظر: قراءة القرطاجني في ضوء نظريات تحليل الخطاب الحديثة، خليفة الميساوي: ٢٨٦-٢٨٨ ينظر: والواصلات في تحليل المحادثة، خليفة الميساوي: ٤٤-٤٥

(٢) تحليل الخطاب، في نظرية النحو الوظيفي، نعيمة الزهري: ١٧، وينظر: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي: ٥٢



تنظيم خطاب المنتج"^(١)، ولا يقف تحليل الخطاب عند حدود التفاعل اللفظي وإنما يتعداه إلى تناول شمولي برصد مجمل عناصر العملية التواصلية وظروف استعمالها، فهو يتابع آليات الإنتاج والتلقي والاستعمال والتأثير، بما فيها سياقاتها المعرفية والاجتماعية، وهذا الفهم الشمولي يثمر عن مقترح متمازج المعارف يستعير أدوات علوم وحقول معرفية متعددة بما يهيئه لدراسة مختلف جوانب العملية الاتصالية.

ولهذا يمكن الاستفادة من نظريات تحليل الخطاب، كأدوات للتأسيس للتواصل قائمة على الترابط بين النص والمتلقي عن طريق فعل النص في المتلقي من جانب التأثير فيه، وانفعال المتلقي في النص عن طريق الكشف عن مكنوناته التي تدعوه للتواصل معه، وكلما كان التأثير والتفاعل العالي في مستواه التواصلية

(١) الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، مؤيد عبيد آل صوينت: ٨.



المبحث الثاني: التداولية بوصفها نسفاً تواصلياً
المطلب الأول: التداولية مهاده نظري

التداولية لغة: تُشير معاجم اللغة إلى دلالة الجذر (دول) الذي يدل على انتقال وتحول الشيء بين الناس، فـ"تداولَ القومُ الشيءَ بينهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض، والدولة والدولة لغتان، ويقال بل الدولة في المال والدولة في الحرب، وإنما سُمِّيَا بذلك من قياس الباب؛ لأنه أمرٌ يتداولونه، فيتحول من هذا إلى ذاك، ومن ذاك إلى هذا"^(١)، "يقال: تركناهم دالةً أي شهرةً، وقد دالَ يدُول دالةً ودولاً إذا صار شهرةً"^(٢)، ويطلق التداول في المباحث اللغوية على الكلام المستعمل عند الجماعة البشرية بصورة شائعة ويومية؛ أي الكلام الذي كثر استعماله فقد قيل: "الكلام المتداول: المستعمل في لغة الحياة اليومية- قابل للتداول: يمكن نقله من شخص لآخر"^(٣)، والتداول على هذا المعنى يدل على التفاعل؛ إذ أن انتقال الكلام من شخص إلى آخر يحدث تفاعلاً بينهم ومن ثم يُكون التواصل بينهما.

التداولية في اصطلاحاً: ويقصد بها هي دراسة اللغة وذلك بعدها ظاهرة حاجية وتواصلية واجتماعية^(٤)، لهد تُعدّ حقلاً لسانياً يهتم بالبعد الاستعمالي أو الإنجازي للكلام ويأخذ بعين الاعتبار المتكلم، والمتلقي والسياق^(٥)، فمدار اشتغال التداولية هو غايات ومقاصد المتكلم، فهي تتعلق في كيفية التواصل مع المتلقي وتبليغه؛ لذا فالتداولية تحكمها آليات وظروف وعوامل تحيط بها.

وتُعدّ التداولية ظاهرة خطابية واجتماعية وتواصلية في الوقت نفسه، يرى الدارسون أنّ التداولية: هي دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل؛ لأنها تشير إلى إنّ المعنى ليس شيئاً متأسلاً في الالفاظ وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: (دول)، ٣١٤ / ٢

(٢) تهذيب اللغة، الازهري: (دول)، ١٢٤ / ١٤

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل: (دول)، ٧٨٧ / ١

(٤) ينظر: في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي: ٦٩.

(٥) ينظر: تداوليات الادراك والتواصل، أشواق محمد النجار: ١٦

المخاطب وحده، وإنما يتمثل في تداول الكلام بين المتكلم والمخاطب في سياق محدد وصولاً إلى المعنى الكامن في الكلام^(١)، إذاً تتمركز التداولية في دراستها على "مجمل العلاقات الموجودة بين المتكلم والمخاطب لتركز على البعد الحجاجي والإقناعي وأفعال الكلام داخل النص"^(٢)، بهذا التعريف يمكن النظر إلى التداولية على إنها علم يدرس المعنى عن طريق التركيز على العلاقات بين العلامات ومستعملها والسياق، أكثر من التركيز والاهتمام بالمرجع أو الحقيقة أو بالتركيب، والتداولية بهذا المعنى تركز على التواصل في الخطاب، فهي وإن ركزت على التبادل الكلامي؛ لكنها في الوقت نفسه تقف على البعد التغييري في المتلقي الذي يسعى إليه المتكلم، الذي يشمل وضعه العام ونظام معتقداته وتغيير موقفه السلوكي^(٣)، لهذا يكون أهم مائز للتواصل الناجح هو البعد التغييري في المتلقي، ذلك البعد القائم على التفاعل ومن ثم الفهم وبعد ذلك التطبيق للأسس المعرفية والمفاهيم والقيم التي يحملها الخطاب.

وتُعرف التداولية أيضاً بأنها: "دراسة العلاقة بين العلامات ومؤولياتها"^(٤)، إن الإشارة إلى المؤولين تضع التداولية بعيداً عن التركيب، القائم على دراسة العلاقات بين العلامات نفسها، وكذلك بعيداً عن الدلالة التي تُعنى بدراسة العلاقات بين العلامات والأشياء التي تنطبق عليها؛ لكن هذا لا يعني إن التداولية لا تتضمن عناصر دلالية أو تركيبية، فبعض علماء اللغة يرى ذلك؛ أي تضمن دراسة التداولية عناصر تركيبية ودلالية، والتداولية تتعامل مع الخطاب بعده "ملفوظاً لغوياً ذا كلية عضوية، سواء أكان ذلك الخطاب شفويّاً أم كتابياً حيث تربط ملفوظاته بالوظيفة،

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، احمد محمود نحلة: ١٤.

(٢) التداوليات وتحليل الخطاب، جميل حمداوي: ٩.

(٣) ينظر: في سيمياء الشعر القديم، محمد مفتاح: ٥٥.

(٤) تساؤلات التداولية وتحليل الخطاب، دراسات وبحوث مختارة، مجموعة من المؤلفين: ٣٢.



والسياق المقامي والأداء الإنجازي"^(١)؛ لذا تركز التداولية على مجموعة من الوظائف وأهمها الوظيفة التواصلية، فهي ترى الخطاب إبلاغاً وتواصلًا.

لهذا يرى الدكتور طه عبد الرحمن إنَّ التداولية تدل على معنيين "الاستعمال والتفاعل معاً"^(٢)، وقد حددها اصطلاحًا بقوله: "هي وصف لكل ما كان مظهرًا من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم"^(٣)؛ أي التداولية هي علم يهتم بدراسة العلاقة بين المتكلم واللغة التي يستعملها، وللتداولية في دراسة اللغة في الاستعمال دور بارز، ليتحقق التواصل بين عنصرَي التواصل وهما المرسل والمتلقي في ضوء الرسالة التي يتحقق فيها الفعل التداولي ومقصدية المرسل، وفي القرآن الكريم يكون للتداولية حضور واضح تمثل في الأفعال الكلامية والاستلزام الحوارية، وكل هذه الجوانب تستحضرها التداولية لتحليل الخطاب؛ لأنه يسهم في بناء التواصل الذي هو غاية التداولية وغاية اللغة

ومن خصائص التداولية إنها تميز الأقوال مما يجعل المتلقي للخطاب لا يقف عند القصد الإخباري فقط؛ بل يتعدى إلى المعاني التي تكشف العلاقة بين أطراف الخطاب^(٤)، وهذه من خواص التواصل الذي يمتاز بالتفاعل بين أطرافه، وهذا التفاعل هو القادر على تحقيق التواصل الناجح بين تلك الأطراف، والمتلقي يكون أكثر طرف تأثرًا من باقي الأطراف؛ فالمتكلم هو القادر على توجيه خطابه وكل ما كان المتكلم يمتلك صفات الكمال والقدرة كان خطابه حاملًا لتلك الصفات، فضلًا عن ذلك إذا كان المتكلم قاصدًا من خطابه إثبات رسالة في فكر المتلقي.

وفي ضوء التداولية يكون للخطاب وظيفة تفاعلية: وهي الوظيفة التي عن طريقها تقام العلاقة بين المتكلم والمخاطب، ودورها الرئيسي التعبير عن المقاصد

(١) التداوليات وتحليل الخطاب، جميل حمداوي: ١٤.

(٢) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن: ٢٨.

(٣) تجديد المنهج في تقويم التراث، طه عبد الرحمن: ٢٤٤.

(٤) الحوار وخصائص التفاعل التواصلية، دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، محمد نظيف: ٧.



الفصل الثاني: التواصل ونظريات تحليل الخطاب

التي ينويها المتكلم^(١)، وهذه الوظيفة هي جوهر التداولية والمحور الذي تقوم عليه في تحليل الخطاب، وبهذه الوظيفة يتحقق التواصل الذي من أغراضه التعليم والتوجيه بعد بيان مقاصد المتكلم.

ولقد ربط (هابرماس)^(٢) التواصلية بالتداولية من جميع الجوانب اللغوية والنفسية والاجتماعية والبيولوجية، وسعى إلى إقامة تداولية متعالية، فاهتم باستعمال اللغة في العملية التواصلية، وهو بذلك يؤكد ارتباط التواصل بالتفاهم اللغوي، لا بالتأثير الإكراهي^(٣)؛ لأن الإكراه يؤدي إلى فشل التواصل، لهذا أهتم بالتداولية أيما اهتمام بهذا الأمر؛ وذلك لما له من الارتباط بالمنحى الاجتماعي من جهة، واهتمامه باللغة من جهة أخرى، وهذا محور العلاقة بين المتخاطبين.

وهذا الرأي يؤكد إن التداولية تهتم بالشروط اللازمة لكي تكون الأقوال اللغوية مقبولة وناجحة ومؤثرة، وأيضاً ملائمة في الموقف التواصلية الذي يتحدث فيه المتكلم، وهي بالتالي يجب أن تأخذ بعين الاعتبار دراسة المعنى في صلته بظروف الكلام، والعناصر الداخلة في تركيب الجملة والنص لكي يتم التمكن من فهم ما يريد المتحدث قوله وإنجازه.

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري: ٢ .

(٢) يورغن هابرماس (ت ١٩٢٩م)، فيلسوف وعالم اجتماع ألماني معاصر يعتبر من أهم علماء الاجتماع والسياسة في عالمنا المعاصر، ولد في دوسلدورف، ألمانيا وما زال يعيش بألمانيا، يعد من أهم منظري مدرسة فرانكفورت النقدية له ازيد من خمسين مؤلفا يتحدث عن مواضيع عديدة في الفلسفة وعلم الاجتماع وهو صاحب نظرية الفعل التواصلية. ينظر: الشبكة العنكبوتية، ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

(٣) ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلاشيه: ٣٠.

ثالثاً: مهام التداولية: تقوم التداولية بدراسة اللغة في الاستعمال، فهي لا تدرس البنية اللغوية ذاتها، ولكن تدرس اللغة عند الاستعمال وفي الطبقات المقامية المختلفة؛ أي باعتبارها (خطاب محدد) صادر من (متكلم محدد) وموجّه إلى (متلقي محدد) بـ(لفظ محدد) في (مقام تواصلٍ محدد) لتحقيق (غرض تواصلٍ محدد)، مصدر هذا الكلام هذا يعني دراسة مكونات التواصل وهي: (المخاطب، والمخاطب، والخطاب، والسياق)، فاللغة التي لا نتواصل بها ليس لها وجود؛ إذ أنّ الخطاب نشاط معقد يتكون من عبارة منطوقة تُعد وسيلة منتجة للمعاني التي يجب أن تصمم لتأخذ غرضاً محددًا، فاللغة هنا مقترنة بالوظيفة التّواصلية لا تنفك عنها.

ويرى علماء اللغة إنّ التداولية لا تدرس المعنى "بمفهومه الدلالي البحت؛ بل المعنى في سياق التواصل، ممّا يسوغ معه تسمية المعنى بمعنى المتكلم"^(١)، فالمنهج فالتداولي ذا أهمية تواصلية، إذ تقوم التداولية بإزالة الغموض عن عناصر التواصل اللغوي، وشرح طرق الاستدلال ومعالجة الملفوظات^(٢)، فالتداولية تدرس التفاعل بين المتكلم والمتلقي ودورهما في إيضاح المعنى؛ "لأن وضوح المعنى يعد عاملاً مهمًا في تحقيق التواصل بين المتكلم والمخاطب، فالمخاطب سيفهم قصد المتكلم عند وضوح المعنى، ومن ثم سيتجه الخطاب توجيهًا صحيحًا على وفق مقاصد المتكلم"^(٣)؛ إذ من عوامل فقدان التواصل بين المتحاورين يتمثل في عدم وضوح المعنى.

ومن مهام التداولية إنها تساعد على فهم الخطاب فهماً عميقاً عن طريق ربط الدلالة بالوظيفة السياقية والأداء الإنجازي؛ فلا يمكن تأويل الخطاب إلا بالاستعانة بالإحالة النصّية والمقامية والسياقية والانفتاح على القصدية، وفعال الكلام، وفهم حوارية النص الصريحة والمضمرة، وهذا لا يمنع من ضرورة دراسة النص من الداخل باعتباره تلفظاً سياقيًا وملفوظًا حاجيًا لغويًا، وكذلك ينبغي الانتقال من

(١) في اللسانيات المعاصرة التواصلية والتداولية ومعايير النص القرآنية، صالح هادي القرشي: ٦٦

(٢) ينظر: التداولية عند علماء العرب، مسعود صحراوي: ٢٧.

(٣) شعر المتنبي في ضوء نظرية افعال الكلام: ٥-٦.



المعاني الحرفية إلى المعاني المجازية تأويلاً واستكشافاً وتشريحاً، ويدل هذا على تكامل النظرية التداولية؛ فهي تربط بين التركيب النحوي بالدلالة والوظيفة السياقية والمقامية^(١)، والنتيجة إنّ التداولية تساعد على فهم الخطاب وهذا الفهم هو الذي يخلق التواصل بين المتكلم والمتلقي.

ويمكن الوقوف على علاقة التداولية بالخطاب القرآني بصورة واضحة عند العلماء المسلمين، نجد الطبري (ت ٣١٠هـ) يبين في مقدمة تفسيره أهمية الفهم في التواصل، فيرى، إنّ الله (ﷻ) لا يخاطب "أحدًا من خلقه إلا بما يفهمه المخاطب، ولا يرسل إلى أحد منهم رسولاً برسالة إلا بلسان وبيان يفهمه المرسل إليه؛ لأن المخاطب والمرسل إليه إن لم يفهم ما خوطب به وأرسل به إليه، فحالته قبل الخطاب وقبل مجيء الرسالة إليه وبعده سواء، إذ لم يفده الخطاب والرسالة شيئاً كان به قبل ذلك جاهلاً، والله جل ذكره يتعالى عن أن يخاطب خطاباً أو يرسل رسالة لا توجب فائدة لمن خوطب أو أرسلت إليه؛ لأن ذلك فينا من فعل أهل النقص والعبث، والله تعالى عن ذلك متعال"^(٢).

يستشف الباحث من هذا القول إنّ الله (ﷻ) عندما يرسل رسول إلى قومه يكون بلسان القوم؛ أي بلغة قومه السائدة بينهم التي تجعل الفهم سهل، فاللغة ليست هي المقصودة بذاتها؛ بل المقصود إيجاد التواصل بين منشئ الكلام ومتلقيه، وهذا لا يكون إلاً وفقاً لنظام لغوي يعرفه المتلقي، وقد بين القرآن الكريم هذه الحقيقة، في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٣)، فقد نزل القرآن بلسان العرب ليفهموه بيسر وسرعة ثم ينقلوه

(١) التداوليات وتحليل الخطاب، جميل حمداوي: ٥٧.

(٢) جامع البيان، الطبري: ١ / ١١.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٤



ويترجموه إلى غيرهم^(١)، فمن أعتاد على لغة يكون إلى فهمها أسرع، ويُسر عملية الفهم وسرعتها تجعل المتلقي للخطاب يبحث فيما جاء به، ومن هنا يبدأ التفاعل بين الرسالة والمتلقي لها، ومن ثمَّ يتأثر المتلقي بالخطاب، وكلما إنماز وتفرد التفاعل والتأثر، أصبح هذا التفاعل والتأثر مداراً للتحدي؛ أي لا يمكن إنَّ يكون هناك خطاب يملك المقومات وآليات التي يملكها ذلك الخطاب الذي جاء بتلك الصفة، وبهذا يرتقى الخطاب إلى أن يكون خطاب لا يدانيه خطاب آخر، وهذا ما يجعل منه خطاباً متفرداً، بل معجز، وهذا هو ما إنماز به القرآن الكريم في الإعجاز التواصلية؛ إذ جعل المتلقي يتفاعل معه ويتأثر به، وهذا ما جعل قريشاً ومن معها من الجاحدين يقفون حيارى أمام ما جاء به القرآن الكريم وبدأت تنهار كل محاولاتهم في صدِّ الدعوة، ولم يقف القرآن عند هذا الحدِّ؛ بل دعاهم إلى أن يأتوا بمثل القرآن الكريم أو حتى بسورة من مثله، لكن العجز كان حليفهم، فلم يكن لديهم متكلم أو خطاب قادر على أحداث التفاعل والتأثير مثل القرآن الكريم، وهذا التفاعل والتأثير الذي أنماز به القرآن الكريم وتحدي العرب، وغيرهم على أن يأتوا بمثله، هو ما أردته من الإعجاز التواصلية، والذي أراه أن كل ما جاء بالقرآن الكريم من مفاهيم وقيم وأصول ومبادئ، وطريقة نظمه، وبلاغته، وفصاحته، وأسلوبه، وأخباره عن أمور ماضية وأحداث قادمة، ومن إشارات علمية، على كل ذلك قام تواصل القرآن الكريم، الذي أعجز البشر على أن يأتوا بمثله.

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي: ٦٤/١٩، وتفسير البيضاوي، البيضاوي: ٣/٣٣٧



المطلب الثاني: أفعال الكلام والتواصل

من المفاهيم التداولية أفعال الكلام، وبعد اطلاعي على ما كُتِبَ عنها، وجدتُ لها علاقة قوية في الكشف عن التواصل، لهذا أعرف بها وبعد ذلك أخذ نماذج قرآنية أفف على ما فيها من إعجاز تواصلية.

تُعرف أفعال الكلام بأنّها: "كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري؛ وعلاوة على ذلك، فهو يعد نشاطاً مادياً نحوياً يتوسل بأفعال قولية إلى تحقيق أغراض إنجازية كالطلب والأمر والوعد والوعيد، وغيرها، وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول) ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعياً أو مؤسساتياً ومن ثم إنجاز شيء ما"^(١)، وعُرفت كذلك إنّ المقصود منها "الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقّق اللغة فعلاً بعينه، غايته تغيير حال المتخاطبين"^(٢)، بحسب هذا التعريف يكون فعل الكلام ذو طابع إنجازي، وهذا الإنجاز يكون بدوره ذو طابع اجتماعي، فبمجرد التلفظ به يتحقق التفاعل، وبذلك تتحقق عملية التواصل، وذلك بالتأثير على المتلقي ودفعه على القيام بعمل ما أو تركه، وعرف أيضاً بأنه: "كل ملفوظ ينطق به المتكلم ليحقق حدثاً إنجازياً وتأثيرياً في نفس المتلقي"^(٣)، يمكن القول إنّ فعل الكلام هو الفعل الذي يطلب به الإنجاز الذي يؤدي بالكلام، ويهدف إلى تحقيق أغراض تواصلية.

وتُعدّ أفعال الكلام من أبرز القضايا التي بحثتها التداولية، لأنّ التداولية انتقلت من العناية بالجانب التركيبي والدلالي للقضايا، إلى العناية بالوظائف الفعلية للغة، فأفعال الكلام تحدث أثراً في سلوك المتلقي سواء نفسياً كان الأثر أم سلوكياً، وغايته حمل المتلقي على الإقناع، واتّخاذ موقف ما إزاء ما مطروح، فوظيفتها مرتبطة بقصد المخاطب^(٤)، وأهم وظائف أفعال الكلام الوظيفة التواصلية التي تزيد من

(١) التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ إسماعيلي ومجموعة باحثين: ٥١

(٢) المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومنيك مانغونو: ٧

(٣) النظريات التواصلية في النصوص القرآنية، كلثوم عامر شخير: ٦٢

(٤) ينظر: الحوار القرآني تداوليته وحجاجيته، منتهى على العبودي: ٣٤



فاعليتها الإنجازية، ولا سيّما تلك المرتبطة بوظيفتي التأثير والإقناع^(١)؛ وذلك لوثاقة التواصل أو الصلة بين مرسل الخطاب والمتلقي له من جهة، وبين الكلام والإنجاز من جهة أخرى^(٢).

ونظرية الأفعال الكلامية قوة فاعلة في الواقع اللغوي؛ فالكلام يتضمّن متكلمًا وملفوظًا ومتلقيًا، فالمتكلم لا يرسل أصواتًا فقط أثناء إرسال كلامه؛ بل ينجز بعض الأفعال التي تصدر عنها بعض الحجج التي تؤثر في المتلقي ومن شأنها إقناعه^(٣)، فالأفعال الكلامية تحقق أهدافًا إنجازية تصدر من المتكلم وتنجز غايات تأثيرية تظهر من ردود أفعال المتلقي^(٤).

وقد بُحِثت ظاهرة (الأفعال الكلامية) في تراثنا العربي والإسلامي ضمن (نظرية الخبر والإنشاء)، واشتغل ببحثها عدد كبير من العلماء، ومن ثمّ صار متعيّنًا على من يدرسها أن يتتبع أصولها وتطبيقاتها في مؤلفات عدد من العلماء الأجلّاء الذين أسسوا هذه الظاهرة في تراثنا أو عمقوا البحث فيها، فمن النحاة والبلاغيين الذين تعرضوا لها: عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، وأبوعقوب السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، ومحمد بن علي الجرجاني (ت ٧٢٩هـ) وجلال الدين الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) والشريف علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، ورضي الدين الإستربادي (ت ٦٨٦هـ)، وسعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢هـ) وشراح مختصره، وغيرهم^(٥).

ويبدو أن العلماء المسلمين من عرب وغيرهم، عندما درسوا أفعال الكلام درسوها ضمن أقسام الكلام الذي يقسم على قسمين الخبر والإنشاء.

ونظرية الأفعال الكلامية في الدراسات الغربية تتوافق في كثير من مبادئها النظرية وممارستها التطبيقية مع ثنائية الخبر والإنشاء في التراث العربي، فالمعايير

(١) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن: ٢٦٠

(٢) ينظر: أسلوبية الحجج التداولي والبلاغي، تنظير وتطبيق على السور المكية، مثنى كاظم صادق: ١٣٣

(٣) ينظر: دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم مقارنة تداولية، بوفرومة حكيمة: ١١

(٤) ينظر: قضايا التداولية في الخطاب القصصي القرآني، قصة سيدنا يوسف أنموذجًا، إيمان جربوع: ٥٥٩

(٥) الأفعال الكلامية عند الأصوليين، دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، مسعود صحراوي: ١٨١.

التي اعتمدها (أوستين) وطوّرها تلميذه (سيرل) للتمييز بين الأفعال الإنجازية والأفعال التقريرية تشبّهه إلى حدّ كبير معايير البلاغيين التي ميّزوا بها الخبر عن الإنشاء وهذه الإشارات السابقة تؤكّد الصلّة الوثيقة بين العديد من فنون التراث العربي وبين اللسانيات التداولية واشتراك كلّ منهما في دراسة العملية التواصلية وربطها بمقاصد المتكلمين مع مراعاة حال السامع وقدراته العقلية والإدراكية، ومراعاة مقام المخاطب وجعل اللغة وسيلة للتأثير في المخاطب وفي اعتقاده، وهذه النقاط المشتركة تعدّ أساس التداول ودليلاً واضحاً على وجود تقارب معرفي بين اللسانيات التداولية وبين العديد من الحقول المعرفية التراثية (نحوًا وبلاغًا وفقهاً وأصولاً)^(١)، ونلمس ذلك في رأي عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم التي ارتكزت على العناية بتوخي معاني النحو وأحكامه، وهذا واضح من تركيز نظرية أفعال الكلام على إنجازية الفعل، فهي تعتمد على أمرين: أحدهما: قصد المتكلم، والآخر: بناء الجملة النحوي.

وترى نظرية الأفعال الكلامية أنها مركبة من ثلاثة أفعال:

١- فعل القول: ويقصد به إطلاق الكلمات في جمل مفيدة ذات بناء نحوي صحيح وذات دلالة.

٢- فعل الإنجاز: ويقصد به إنجاز فعل في حال التلفظ بشيء^(٢).

٣- فعل التأثير: وهو الأثر الذي يتركه المتكلم في نفس المتلقي، بحسب تصنيف أوستن، الذي صنّفها بناءً على ما تؤديه أثناء التلفظ^(٣).

وقد صنّفها (سيرل) بحسب الغرض الإنجازي إلى (الإخباريات، والتزاميات، التوجيهيات، التعبيرات، الإعلانات)^(٤)، وقسمها (سيرل)، إلى الأفعال الكلامية المباشرة في الجمل الإنشائية وأساليبها في الاستفهام، والأمر، والنهي، والنداء: وهي

(١) ينظر: الأبعاد التداولية في توجيه الخطاب الدعوي في القرآن الكريم- مقارنة في آليات الحجاج وبلغة الإقناع، بن بوفلجة محمد الفاتح: ٧٢-٧٣

(٢) ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة- كيف تنجز الأشياء بالكلام، جون لانكشو أوستين: ١٣٠

(٣) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة: ٧٢، ينظر: الحوار القرآني تداوليته وحجاجيته، منتهى علي العبودي: ٤١

(٤) الحوار القرآني تداوليته وحجاجيته، منتهى علي العبودي: ٤٨



أساليب إنشائية طلبية، في حين تمثلت الأساليب الإنشائية غير الطلبية في (القسم، والرجاء، وصيغ المدح والذم، والتعجب)^(١)، أما الأفعال الكلامية غير المباشرة فتمثلت في الجمل الخبرية التي تحتل الصدق والكذب^(٢)، وللأفعال الكلام تقسيمات عدة متداخلة واقربها للبحث هو تقسيم (سيرل) الذي قسم الأفعال الكلامية على قسمين:

أولاً: الأفعال الكلامية المباشرة: وهي الأفعال التي تُشير بصورة صريحة إلى الهدف من وراء الكلام، سواء أكان ذلك طلبياً أم إخبارياً، وأطلق عليها كذلك الأفعال الحرفية وغير الحرفية، فإذا كان قصد المتكلم مطابقاً للمعنى الحرفي للألفاظ يكون ليفعل المنجز مباشراً^(١)، أو هي "الأفعال التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم"^(٢).

يتبين للباحث إن أفعال الكلام المباشرة ذات طلبية مباشرة يراد تنفيذها، والقرآن الكريم مكون من أفعال كلامية متتابعة وأن هناك فعلاً إنجازياً يهيمن على بقية الأفعال الأخرى، والفعل المهيمن يعين الهدف الكلي للخطاب وهو الفعل الداعي إلى توحيد الله وعبادته وطاعته فهو يوجه الأفعال الإنجازية الأخرى في الخطاب القرآني، وتظهر الأفعال الكلامية المباشرة في القرآن الكريم بأساليب مختلفة منها:

الاسلوب الأول: الاستفهام: هذا الأسلوب يحفز المتلقي على التفاعل مع الخطاب، ويمكنه من معرفة الموقف علناً أو ضمناً بقرائن السياق التي تثير المتلقي^(٣)؛ لأن الاستفهام يستلزم تأويل القول المراد تحليله^(٤).

ومن الآيات التي نقف على الإعجاز التواصلية فيها عن طريق الأفعال الكلامية المباشرة بأسلوب الاستفهام، قوله تعالى: ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ

(١) ينظر: الأبعاد التداولية عند الأصوليين، فضاء الحسنوي: ٦٦.

(٢) الأبعاد التداولية في توجيه الخطاب الدعوي في القرآن الكريم-مقاربة في آليات الحجاج وبلغة الإقناع، بن بوفلحة محمد الفاتح: ١٠٣

(٣) ينظر: الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، سامية الدريدي: ١٤١

(٤) ينظر: الخطاب والحجاج، أبو بكر العزاوي: ٥٧



يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَكَ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا تُوْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقْعُ لَوْنُهَا تَسْرُ النَّظِيرِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَةَ قَشَبَةٌ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا سِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْكَيْفَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾^(١)

في هذه الآيات القرآنية يظهر الإعجاز التواصلية عن طريق أفعال الكلام؛ فقد ضمت هذه الآيات خطاباً قائماً على الاستفهام والجواب إلى أن يصل ذلك للقيام بالفعل الإنجازي المباشر، هو ذبح البقرة، فالاستفهام يكمن في ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا؟﴾ وهو استفهام استنكاري من المتلقي في عدم التصديق برسالة المرسل، وبعد هذا ينتقل المتلقي للجدل ليعرف حقيقة الرسالة في تكرار الاستفهام (ما هي؟ ما لونها؟) فقد تعاضد أفعال الكلام المباشرة لتصل مقصدية الرسالة إلى المتلقي واقناعه بها وذلك في تذييل الآيات بقوله تعالى ﴿قَالُوا الْكَيْفَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾.

إن أسلوب الاستفهام القائم على الأخذ والرد بين نبي الله موسى (عليه السلام) وبني إسرائيل، بين الشك العقائدي الذي وقع به بنو إسرائيل مع نبيهم، وكذا يبين تمرد بني إسرائيل ومحاولتهم الانسلاخ من تكليفهم، ومن هذا المنظور يتفاعل المتلقي للخطاب القرآني ويكون هناك تفاعل بينه وبين القرآن؛ فينتقل من عالمه ويندمج مع عالم الخطاب القرآني، الذي أراد أن يبين عن طريق هذا الاستفهام انتقاده لبني إسرائيل وبيان ما وصلوا له من شك وسوء أدب مع نبيهم، وهذا التفاعل هو الذي يجعل المتلقي يتواصل مع القرآن الكريم بتفاعله ومن ثم تأثره بما يصوره وينقله له.

(١) سورة البقرة: ٦٧ - ٦٩

الأسلوب الثاني: الأمر: صيغة الأمر من الصيغ التي تتطلب فعل إنجازي مباشر، وهو "صيغة تستدعي الفعل أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الاستعلاء والالزام"^(١) ومن الآيات القرآنية التي تظهر فيها أفعال كلام بصورة مباشرة متمثلة بصيغة الأمر ما جاء في سورة العلق، قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ

﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾، فقد كان الفعل ﴿أَقْرَأْ﴾، فعل

إنجازي وهو طلب القراءة وهذا الطلب يجسد عملية التفاعل بين الخطاب القرآني والمتلقي الأول رسول الله (ﷺ) الذي طلب منه القرآن أن (يقراً) وبين له ماذا (يقراً)؛ أي يقرأ ما جاءه من ربه الأكرم الذي له صفات تميّز بها عن باقي الأرباب التي اتخذها قوم محمد (ﷺ)، وهذا يجعل المتلقي للقرآن الكريم عند سماعه هذه الآية يتفاعل معها ليبحث على ما هو الرابط بين فعل الأمر ﴿أَقْرَأْ﴾ وبين صفات الرب؟ ليزداد تفاعله ويتأثر بما جاء به القرآن الكريم، وبهذا يخلق القرآن الكريم تواصلية التي عَجَزَ البشر على أن يأتوا بمثلها، فهذه العملية تدعو لتواصلية متكاملة استوفت كل عناصر التواصل وشروطه بوساطة فعل الأمر الكلامي المباشر ﴿أَقْرَأْ﴾.

الأسلوب الثالث: النهي: للنهي أثر كبير في تحقيق التواصل التداولي للأفعال الكلامية المباشرة؛ إذ إنجاز أفعال الكلام فيه تنحو منحى الترك والكف عن فعل ما، بوصفه إنجازاً ضمنياً؛ لأن النهي يحمل في طياته دعوة توجيهية للمتلقي، ومن ثم إقناعه بهذه الدعوة^(٢)، من الآيات القرآنية التي تحمل في طياتها أفعال كلامية مباشرة بأسلوب النهي قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤)، فالنهي في صيغة ﴿وَلَا تُلْقُوا﴾ قيل في تفسيرها: "معناه لا تطرحوا

(١) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي: ٢٨١

(٢) سورة العلق: الآية ١ - ٤

(٣) ينظر: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، سامية الدريدي: ١٤٩

(٤) سورة النساء: الآية: ٣٥



أنفسكم في الهلاك، بأن تفعلوا ما يؤدي إليه"^(١)، فهو فعل كلامي مباشر فعن طريقه يتحقق التواصل بين القرآن الكريم (الرسالة) وبين المرسل (الله) والمتلقي (البشر)، فالمتلقي يتفاعل مع هذه الرسالة التوجيهية والتحذيرية التي تنهاه عن إيقاع نفسه في التهلكة، وهذا التفاعل ينتج عنه تأثير المتلقي بالخطاب الذي يقود خطاه، وبهذا يقوم التواصل بين المتلقي والقرآن الكريم، وهو وجه وجيه في إثبات إعجاز القرآن التواصلي.

ثانياً: الأفعال الكلامية غير المباشرة: هي الأفعال التي يكون قصد المتكلم غير مطابق للمعنى الحرفي للكلمات، مثل أن ينشئ المتكلم الالتماس وهو يقصد الاستفهام^(٢)؛ إذ أن الأفعال الكلامية تؤدي أغراضاً خطابية ووظائف تواصلية يحكمها مبدأ الغرض أو القصد الذي يبتغيه المتكلم من الخطاب.

ومن الأفعال الكلامية غير المباشرة المنبثقة عن فعل النهي، ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣)، قيل في تفسيرها "أي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار، فالمراد بـ(اليوم) وقت دخولهم إياها، فتعريفه للعهد، والنهي عن الاعتذار لأنه لا عذر لهم، أو العذر لا ينفعهم"^(٤)، وهذا النهي لتحقيق اليأس^(٥)؛ فقد جاء فيها النهي للتبئيس؛ لأنه أستمحل في سياق قطع الأمل في الحصول على المراد^(٦)، فلم يكن المقصود من النهي منعهم من الاعتذار، بل المقصود بيان إن الاعتذار لا يُقبل في ذلك اليوم، وفي هذا تبئيس لهم وقطع لأملهم في قبول الاعتذار.

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١٥٠/٢

(٢) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة: ٥٠-٥١

(٣) سورة التحريم: الآية ٧

(٤) محاسن التأويل، القاسمي: ٢٧٨/٩

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٩٧/١٨

(٦) ينظر: الأبعاد التداولية في توجيه الخطاب الدعوي في القرآن الكريم-مقاربة في آليات الحجاج وبلغة الإقناع، الإقناع، بن بوفلجة محمد الفاتح: ٥٨



فهذا الاستعمال القرآني ينقل المتلقي من عالم إلى عالم آخر ومن واقع معيش إلى واقع غيره، لكن الواقع الأول مقدمة للواقع الثاني، فالיום الآخر لا يُقبل فيه عذر عمّا كان في اليوم الأول الذي عاشه الإنسان؛ وهذا الأسلوب غير المباشر يجعل المتلقي يتفاعل مع القرآن الكريم ويتسأل عن واقعه الذي يعيشه، وكيف يكون هذا اليوم مقدمة صالحة لواقع يوم آخر؟ ذلك اليوم الذي لا يُقبل فيه العذر، وحاصل هذا أن النفس الإنسانية فيها نزوع دائم للبحث عن الخلاص، وهذا النزوع يجعل من يسمع القرآن الكريم يتفاعل معه ويتأثر به، وهذا ما جعل القرآن الكريم يتفرد بتواصله مع المتلقي.

ومن الآيات التي خرج فيها الفعل المباشر بأسلوب الاستفهام إلى التعجب، قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ مَا لَكُمُورٌ تَحْكُمُونَ﴾^(١)؛ إذ الاستفهام في هذه الآية جاء إلى التعجب، والمقصود بالتعجب هنا هو التعجب من مذهبهم الفاسد، فلا يوصف الله سبحانه بالتعجب؛ لأنه استعظام يصحبه الجهل^(٢).

والإعجاز التواصلي هنا قائم على إثبات حقيقة مستقرة في الفكر الإنساني وهي إن الإتيان الذي يهدي أحق من إتيان من يحتاج إلى هداية فأسلوب الاستفهام الذي خرج للتعجب بين هذه الحقيقة المستقرة في الفكر الإنساني، وهذا يجعل المتلقي متأثراً بالقرآن الكريم ومتفاعلاً معه وبذلك يخلق تواصله.

ومما تقدم يظهر للباحث إن الأفعال الكلامية المباشرة هي التي تدل على قصد المتكلم دلالة واضحة، وأمّا الأفعال الكلامية غير المباشرة فهي التي لا تدل على قصد المتكلم بشكل صريح، وفي الخطاب القرآني تنوعت صور الأفعال الكلامية وقد حققت إعجازاً تواصلياً عن طريق تداولية الخطاب القرآني، وتحققت مقصدية

(١) سورة يونس: الآية ٣٥

(٢) ينظر: دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم- مقارنة تداولية- حكيمة بوقومة: ١١-١٥



الرسالة، وذلك عن طريق تشكيل التواصل بين ركني العملية التواصلية؛ لأن اللغة هدفها الأساسي التواصل لتحقيق الفهم، وبهذا يكون الإعجاز التواصلية للقرآن الكريم متحقق ولا يستطيع أحد إنكاره، فقد حققت أفعال الكلام بقسميها تفاعلاً بين القرآن الكريم ومتلقيه، وقد كان حصيلة هذا التفاعل تآثر المتلقي بالقرآن الكريم ممّا جعله يسير على الخطى التي رسمها له هذا شأن المؤمن به، أما من عارض القرآن الكريم فقد وجد نفسه عاجزاً أمام تواصلية القرآن الكريم ولم يعد قادراً على إيقاف هذا التواصل أو أن يأتي بما جاء به القرآن الكريم وبقي هذا الحال إلى أن ثبت العجز التام والمطلق لكل البشر على أن يأتي بمثل تواصلية القرآن الكريم.

والأفعال الكلامية في القرآن الكريم تنفرد بتحقيق إنجازيتها وتأثيرها في نفس المتلقي في كل زمان ومكان، وقد شغلت الأفعال الكلامية غير المباشرة مساحة واسعة في النص القرآني الكريم، فجاءت المقولات الحرفية للكلام تختلف عن مقاصد المتكلم فكان الإنجاز يتعدى دلالة المقول الحرفية؛ لأن التلميح قد يكون له أثر أقوى من التصريح في بعض المواقف والمقامات، وهذا ما جعل القرآن الكريم خطاباً تواصلياً مُعجزاً.



المطلب الثالث: تواصلية الاستلزام الحوارية

للاستلزام الحوارية أهمية؛ إذ يرى (جرايس)^(١) أنّ "الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر ممّا يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فما يقال هو ما دلّ على معناه بظاهر لفظه، وأمّا ما يقصد فهو الذي يحتاج إلى أعمال الفكر؛ لأنّ معناه مستفاد من المعنى الأول"^(٢)، فهذه العبارة هي التي تعبر عن مضمون الاستلزام الحوارية والتي تعني مقصود المتكلم، أو ما يريد المتكلم إيصاله للسامع أو المخاطب، لكن مقصود المتكلم ليس كافياً؛ بل على السامع أن يفهم ما يقصد المتكلم من كلام؛ فقد يكون المتكلم يقول شيئاً وهو يريد شيئاً آخر.

هذا الذي كان يشغل (جرايس)، لذلك اضطر إلى اللجوء إلى مبدأ التعاون بين المتكلم والمخاطب، وبهذا يكون هذا المبدأ هو الذي يرتكز عليه المرسل للتعبير عن قصده، مع ضمانه قدرة المرسل إليه على تأويله وفهمه^(٣).

ويُعرف الاستلزام الحوارية بأنه: معنى كلام يستلزم منه معنى آخر يختلف عن المعنى الصريح^(٤)، فالمتكلم يريد إبلاغ المتلقي بشكل غير مباشر، معتمداً في ذلك على قدرة المتلقي، وبراعته في فهم الكلام، وهذا يخلق تواصلاً بين المتكلم والمتلقي؛ لأنّ "عملية التّحاور مرهونة بعملية التواصل التي تتمّ بين المتكلم والمتلقي، فكل منهما يحاول أن يوصل رسالة معينة من خلال الكلام الذي يتلفظ به.

(١) هيريت بول جرايس (ت ١٩٨٨م): فيلسوف لغة بريطانيًا متفقًا قضى آخر عشرين سنة من حياته المهنية في الولايات المتحدة، ينشر أعماله عادةً باسم إتش بي جرايس أو إتش بول جرايس أو بول جرايس، أثرت مؤلفات جرايس عن طبيعة المعنى على دراسة علم المعاني من المنظور الفلسفي، وتعد نظريته حول الاستلزام من أهم وأكثر المساهمات تأثيرًا في علم التداوليات. ينظر: الشبكة العنكبوتية، ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

(٢) التداولية اليوم في التواصل، آن روبل وجاك موشلار: ٥٢

(٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر: ٢٠٠

(٤) ينظر: الاستلزام الحوارية عند بول جرايس، سمية عامر: ٣٣



إنّ ظاهرة الاستلزام الحواري تؤسس إلى طائفة من التواصل، يمكن وصفه بالتواصل (غير المعلن) أو (الضمّني) بحجة أنّ المتكلم يقول كلاماً ويقصد غيره، كما أنّ المتلقي يسمع كلاماً، ويفهم منه معنى آخر من مقصود المتكلم^(١).

والاستلزام الحواري من أبرز المفاهيم التداولية، تعود بدايات التنظير إليه إلى أعمال الفيلسوف اللغوي (جرايس)، فهو من المنظرين لهذا المفهوم، فقد لاحظ إنّ المخاطبين عندما يتحاورون يتبعون عدداً من القواعد في أثناء تواصلهم، ولإثبات هذه النظرية وضع (جرايس) مبدأ عام سماه (مبدأ التعاون) يقضي هذا المبدأ بأن يتعاون المتخاطبون فيتحقيق الهدف من حوارهم^(٢)، وهذا المبدأ يؤسس لتفاعل المتكلم والمتلقي تفاعلاً ناجحاً، ويقصد به المبدأ الذي يركز عليه المرسل للتعبير عن قصده، مع ضمان قدرة المرسل إليه على تأويله وفهمه، وهو يتضمن هذا المبدأ أربع قواعد تسمى قواعد التخاطب هي (الكم، والكيف، والنوع، والمناسبة)، التي "يعبر المرسل عن قصده بما يستجيب لتلك القواعد تارة، وبخرقها أو تجاهلها تارة أخرى، فيصبح القصد هنا هو ما يسميه (جرايس) وغيره (معنى المتكلم)، ويمكن أن يتأوله المرسل إليه عن طريق الافتراض بأنّ المرسل تلفظ بالخطاب وفق ما يقتضيه مبدأ التعاون، ليكون الاستدلال على قصده محكوماً بمبدأ التعاون"^(٣)، هذا يدل على إن قصد المتكلم محكوم بقواعد محددة يسير عليها المخاطب لبيان قصده ولتحقيق التواصل مع المتلقي، وقد يخرق المتكلم تلك القواعد فيلزم من المتلقي فهم القصد الحقيقي من هذا الخرق؛ فإن انتهاك بعض خصوصيات الخطاب بمقدار ما يحقق له الغاية المرجوة من ذلك الانتهاك المقصود^(٤)، ومبدأ التعاون يتكون من قواعد هي:

١. قاعدة الكم: ترتبط بالمعلومات التي ينبغي أن يقدمها المتكلم أثناء التخاطب.

٢. قاعدة النوع: تعني اشتراط المصادقية في الأقوال.

(١) عوامل التجديد الاصولي المعاصرة، عرض وتحليل، نافع سعيد: ٣٥٨

(٢) ينظر: الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني-مقاربة تداولية في آيات من سورة البقرة، عيسى تومي: ٤٤

(٣) استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري: ١٩٨.

(٤) ينظر: التفكير التداولي في كتاب الحروف لأبي نصر الفراءي، بن شريط نصيرة: ٣٤



٣. قاعدة العلاقة: تفرض أن تكون إسهامات المتحاورين ملائمة، أي وثيقة الصلة بالموضوع.

٤. قاعدة الكيف: تهتم هذه القاعدة بالكيفية التي قيلت بها الأشياء، فعلى المتكلم أن يتحرى الوضوح وعدم الغموض.

وهذه القواعد تُبين أنّ الخطاب لا تحكمه الاعتباطية، بل قائم على قواعد خاصة ومعطيات عقلية، واستراتيجيات منضبطة، تساهم في قيام التواصل الفعال والناجح وهذه القواعد يقوم عليها الاستلزام الحواري الذي يهدف إلى كشف أعماق مقاصد المتكلم عند التواصل.

والمأمل في تراثنا اللغوي الإسلامي يجد أنّ علماءنا القدامى وبخاصة علماء البلاغة وعلماء الأصول وعلماء التفسير قد عنوا بدراسة ظاهرة الاستلزام الحواري؛ التي ظهرت في ثنايا دراساتهم بمصطلحات من قبيل: الأغراض التي تؤديها الأساليب، ودلالة المفهوم، والمعنى المقامي، والفرعي، وغيرها من المصطلحات التي تدل على مدى وعيهم بهذه الظاهرة اللغوية^(١)؛ إذاً جذور هذه النظرية راسخة في الموروث العربي والإسلامي؛ إذ يوجد في بعض النصوص ما يدل على ذلك، ومنها قول البيضاوي (٧٨٥هـ): "إنّ اللفظ إذا وضع للمسمى انتقل الدّهن من المسمى إلى لازمه، ولازمه إن كان داخلاً في المسمى فهو التّضمن وإن كان خارجاً فهو الالتزام"^(٢)، ويرى بعض الباحثين أنّ أكثر اللّغويين المسلمين كابن جني (٢٤٤هـ)، والجرجاني (٤٧١هـ)، وابن خلدون (٨٢٨هـ)، كانوا جميعاً يربطون اللّغة العربيّة أثناء تعريفها بالعرض من استعمالها^(٣).

وبهذا يُثبت تعرض الفكر اللغوي الإسلامي القديم إلى ظاهرة الاستلزام الحواري، لكن ليس باعتبارها مفهوماً كما هو الحال عند الغربيين؛ بل باعتبارها

(١) ينظر: الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني- مقارنة تداولية في آيات من سورة البقرة، عيسى تومي: ٤٧

(٢) الإبهاج في شرح المنهاج (منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي)، السبكي: ١ / ٢٠٤.

(٣) ينظر: النظرية البرجماتية اللسانية التداولية، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، محمود عكاشة: ٧



إشكالاً دلاليًا، فقد قدم اللغويون العرب عدة اقتراحات لوصف الاستلزام الحواري واستقصائه عن طريق علمي البلاغة والأصول، لكن هذه الاقتراحات ظلت في إطار ملاحظة الظاهرة الخطابية والبحث عن معانيها وأغراضها في علاقتها بالسياق أو المقام، ولم تكن قائمة على أسس واضحة كما هو الحال عند الغربيين، الذين قدموا مجموعة من القواعد التي يتمكن عن طريقها تحليل الخطاب بطريقة منهجية دقيقة، وفضلاً عن ذلك بينوا كيفية دراسة الاستلزام الحواري في الخطاب، وكيفية الوصول إلى المعنى، بالانتقال من الدلالة الصريحة للكلام إلى الدلالة المستلزمة مقامياً^(١).

والاستلزام الحواري مفهوم مركزي في النظرية اللسانية التداولية، يؤكد انتقال البحث اللساني الحديث من التنظير للخطاب، إلى دراسة عملية التخاطب في حدّ ذاتها، خلال التواصل الذي يتم بين المتخاطبين، مع مراعاة السياق ودوره في الكشف عن المعنى المراد تبليغه.

ومن الآيات القرآنية التي تكشف عن الإعجاز التواصلية عن طريق الاستلزام

الحواري:

قوله تعالى: ﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾^(٢)، إنّ الاستلزام الحواري في هذه

الآية الذي استلزم تهكمًا وتوبيخًا؛ لأن ما يحصل من شجرة الزقوم لا يحصل منه الخير، وهذا الأسلوب حقق تواصلية مع الخطاب القرآني؛ لأن البنية السطحية للخطاب لا توضح المعنى المستلزم منه؛ بل يتطلب إعمال العقل وهذا يخلق تفاعل مع الخطاب عن طريق شدّ المتلقي له؛ فالمعاني العميقة غالباً ما تؤثر في النفس وتكون أكثر وقعاً، وبهذا يتحقق التواصل بين القرآن الكريم والمتلقي له، فقد قال الزمخشري: "وحاصل الرزق المعلوم: اللذة والسرور، وحاصل شجرة الزقوم: الألم والغم، ومعلوم أنه لا خير في شجرة الزقوم، ولكن المؤمنين لما اختاروا ما أدى إلى

(١) ينظر: نظرية الاستلزام الحوارية، المفهوم والمبادئ، ريمة كبش: ١١.

(٢) سورة الصافات: الآية ٦٢



الرزق المعلوم، واختار الكافرون ما أدى إلى شجرة الزقوم، قيل لهم ذلك توبيخاً على سوء اختيارهم^(١).

إنّ إعمال الفكر كان سبب لتفاعل السامع للقرآن وكل ذلك نتج عن المعاني المستلزمة من الحوار في الآية المباركة وغيرها من الآيات القرآنية التي تحمل دلالات مستلزمة تشد المتلقي للبحث عنها، وبهذا تخلق تواصله معه، وهذا التواصل ليس بالمستوى العادي بل بمستوى الإعجاز.

وأضع بين يدي القارئ الكريم بعض نماذج للاستلزام الحوارية في القرآن الكريم ودوره في كشف الإعجاز التواصلية عن طريق خرق قواعده:

أولاً: خرق قاعدة الكم: ويقصد منه خرق قاعدة كم الخبر، الذي يجب أن تلتزم به المبادرة الكلامية، وما يمثل هذه القاعدة التخاطبية قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا

إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾^(٢)؛ إذ خرق المتكلم الله تبارك وتعالى المقولات

المتفرعة عن مبدأ الكم بأن جعل إفادته للمستمع تتجاوز مجرد القول بأنه سبحانه قد كرم نبي الله إبراهيم (عليه السلام) واتاه من الرشد والعلم ما لم تؤت أحداً من العالمين في

زمانه، أتاه هديناه صغيراً، وأكرمناه بالمغفرة من قبل النبوة، وكنا عالمين بأنه ذو يقين وإيمان بالله وتوحيد له، ولا يشرك به شيئاً، هذا المعنى الذي يدل عليه المنطوق، وأما

المعنى المستلزم فيه هو أبلغ المدح وأعظمه لإبراهيم (عليه السلام)، زيادة على ما فيه من إشارة إلى تفرده بالهدى بين قومه؛ لأنه "تعالى إنّما يخص بالنبوة من يعلم من حاله

أنه في المستقبل يقوم بحقها ويجتنب ما لا يليق بها ويحترز عما ينفر قومه من القبول، وتأكيد الخبر عنه بلام القسم في ﴿وَلَقَدْ﴾، هو تنزيل العرب في مخالفتهم

لشريعة أبيهم إبراهيم (عليه السلام) منزلة المنكر؛ لأن إبراهيم (عليه السلام) أوتي رشداً وهدياً،

(١) الكشف، الزمخشري: ٤٦ / ٤

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٥١



وكذلك الإخبار عن إيتاء الرشد إبراهيم (ﷺ) بإسناده إلى ضمير الجلالة في ﴿أَيُّنَا﴾، فيه معنى مستلزم يقتضيه السياق هو التنبيه على تفخيم ذلك الرشد، "والرشد خلاف الغي وهو إصابة الواقع، وهو في إبراهيم (ﷺ) اهتداؤه الفطري التام إلى التوحيد وسائر المعارف الحقة وإضافة الرشد إلى الضمير الراجع إلى إبراهيم تفيد الاختصاص وتعطي معنى اللياقة ويؤيد ذلك قوله بعده: "و كنا به عالمين" وهو كناية عن العلم بخصوصية حاله ومبلغ استعداده"^(١)، وأمّا إضافة (الرشد) إلى ضمير إبراهيم (ﷺ) فللتنبيه على عظم شأن هذا الرشد؛ لأنّ رشده كان مضرب الأمثال بين العرب وغيرهم، فالإضافة لما كانت على معنى اللام كانت مفيدة للاختصاص، فكأنّه انفراد به، وزاده تنويهاً وتفخيماً تذييله بالجملة المعترضة ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾^(٢).

تخلق الآيات القرآنية تواصل مع المتلقي وجعله يتفاعل معها عن طريق خرق قاعدة الكم؛ إذ أن هذا الخرق جعل المتلقي يتفاعل مع القرآن الكريم، ومن ثمّ التأثير، فقد خلق هذا الخرق فضاء ذهني؛ إذ جعل ذهن المتلقي يتسأل ويبحث عن الصفات التي تختبئ خلف المذكور من الصفات، فلم تكن صفة الرشد التي أعطاهها الله لإبراهيم (ﷺ) كافية ليكون بتلك المنزلة؛ بل علم الله تبارك وتعالى به هو الذي جعله موضع الأختيار ليحمل رسالة السماء، وبهذا جعل القرآن الكريم سبب الاختيار كم من الصفات ينشغل ذهن المتلقي للبحث عنها، وهذا الخرق مثل إعجاز القرآن الكريم التواصل.

(١) الميزان، الطباطبائي: ١٥٨/١٤

(٢) ينظر: الاستلزام الحواري في آيات التوحيد، مبدأ الكم أنموذجاً، سارة كاظم عبد الرضا مقال منشور.



ثانياً: خرق قاعدة الكيف: وتعني خرق قاعدة كيف الخبر، ومثاله في القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾^(١)، إنَّ جواب المشركين فيه اختراق وانتهاك لقاعدة الكيف؛ لأنَّ جوابهم لا علاقة له بقوله تعالى: ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾؛ فلم يكن جوابهم على أمره تعالى إجابة حقيقية، وإنما كانت إجابة المنافقين التي لا تناسب الحقيقية؛ لأنهم مفسدون في الأرض بكفرهم وشركهم، فكانت إجابتهم من أجل إتمام إنكارهم، وقولهم ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾، فهم منافقون، مصلحون ظاهراً وليس باطناً، فلم يكن لجوابهم علاقة بقوله تعالى: ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(٢).

إنَّ الخطاب القرآني عن طريق خرق قاعدة الكيف كشف زيف المشركون الذين يشكلون الفئة التي جعلها القرآن العدو الأول الذي يجب كشف حاله، ولهذا بيّن هذا الخرق حال الفساد المقصود وهو الكفر وعدم الإيمان بالله ولا علاقة له بما يعتقد المشركون من حقيقة الإصلاح، فربما يعتقد هؤلاء ما يقومون به من أعمال هو الإصلاح، لذلك ردَّ الله ما يقولونه؛ أو إنهم كاذبون بقولهم، وفي كلا الحالتين خرق القرآن قاعدة الكيف، وبهذا الخرق يُحدث القرآن الكريم تفاعل بينه وبين متلقيه، الذي يجعل من القرآن خطاباً تواصلية، وهذه التواصلية لا يمكن لأي خطاب بشري أن يصل إليها، وبهذا يكون هذا التواصل إعجازي.

(١) سورة البقرة: الآية ١١

(٢) ينظر: الاستلزام الحوارية في سورة البقرة في القرآن الكريم، دراسة وصفية تحليلية تداولية، حجر نورما وحيدة: ٥٨

ثالثاً: خرق قاعدة الملاءمة أو المناسبة أو العلاقة: يقصد منها خرق شرط المناسبة، أي ما ينبغي أن يكون عليه الخطاب، مثل وجود مناسبة بين السؤال والجواب، ومثال ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١)؛ فقد سأل اليهود النبي (ﷺ) عن الروح، وجاء الجواب من الله (ﷻ)، وفي جواب الله تعالى لليهود خرق لقاعدة المناسبة؛ لأن الله تعالى "عدل عن جوابهم لعلمه بأن ذلك أَدعى لهم إلى الصلاح في الدين وأن الجواب لو صدر منه اليهم لآزادوا فساداً وعباداً إذ كانوا بسؤالهم متعنتين لا مستفيدين وليس هذا بمنكر لانا قد نعلم في كثير من الاحوال فيمن يسألنا عن الشيء أن العدول عن جوابه أولى وأصلح في تدبيره"^(٢)، فلا مناسبة ولا علاقة بين السؤال والجواب؛ فالجواب يفهم السائل عن الروح أن هذا السؤال أكبر من فهمه وأدراكه، لذلك كان الجواب بمعنى صرف عن مثل هذا السؤال.

إنّ هذا الخرق يجعل المتلقي متأثر بالقرآن الكريم؛ إذ نرى كيف أن السؤال عن الروح عميق جداً، لكن جاء الجواب أعمق وأدق وبمستوى عالي جداً يجعل الفكر البشري حائراً أمامه، وبهذا يكون القرآن الكريم قد خرق قاعدة المناسبة، فلو إجاب القرآن عن معنى الروح، لما كان للخطاب القرآني ذلك الأثر الذي أحدثه عدم الجواب بما يناسب السؤال، وإلى اليوم الفكر البشري حائر في معرفة حقيقة الروح ولا جواب عنده إلا أن الروح هي من أمر الله (ﷻ)، وفي ذلك يقول صاحب تفسير الأمثل: "يُظهر تاريخ العلم والمعرفة الإنسانية أنّ قضية الروح وأسرارها الخاصّة كانت محط توجّه العلماء، حيث حاول كل عالم الوصول إلى محيط الروح السري، ولهذا السبب ذكر العلماء آراءً مُختلفة وكثيرة حول الروح، ومن الممكن أن تكون علومنا ومعارفنا اليوم - وكذلك في المستقبل - قاصرة عن التعرف على جميع أسرار

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٥

(٢) أمالي السيد المرتضى، الشريف المرتضى: ٨/١



الروح والإحاطة بتفصيلاتها، بالرغم من أن روحنا هي أقرب شيء لدينا من جميع ما حولنا، وبسبب الفوارق التي تفصل جوهرة الروح وبين ما نأمن به من عوالم المادة، فإننا لن نحيط بأسرار وكنه الروح، أعجوبة الخلق، والمخلوق الذي يتسامى على المادة"^(١).

نرى كيف إنَّ خرق قاعدة المناسبة جعل الفكر الإنساني يتفاعل مع ما جاء به القرآن الكريم، وإنَّ معرفته للروح ليس من الأمور التي تُدرك؛ لأنها تتعلق بعالم يختلف عن عالم الإنسان المادي، فهي من أسرار الخلق والإبداع الإلهي.

(١) تفسير الأمتل، مكارم الشيرازي: ٩/١١٣-١١٤



رابعاً: خرق قاعدة الكيفية أو الجهة: تؤكد هذه القاعدة على إن يكون ما تقدمه واضحاً دون غموض أو لبس، مع مراعاة الترتيب والإيجاز.

ومثاله قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ لَمَثَلٌ لِّمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١٣٦) قَالَ أَعِدَّ

اللَّهُ أَنْبِيَاءَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِذْ أَخْبَرْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَفْتِنُونَ أَنْبَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٣٧﴾ (١).

يظهر اختراق قاعدة الكيفية في هذه الآيات المباركة عن طريق حوار نبي الله موسى (عليه السلام) مع قومه الذي لم يكن موجزاً، فكان رده مطولاً، ولم يكن متناسب مع ما وجّه له من كلام؛ والظاهر أنّ كلامه يشوبه اللبس^(٢)؛ لأنّه يحمل معاني ومقاصد متعددة وعميقة وفيها عبر وتذكرة ودلالات يجب الوقوف عليها.

وهذا الخرق مقصود من القرآن الكريم؛ إذ عن طريق الوقوف على المقاصد والمعاني التي يحملها ما يجعل المتلقي متفاعل معه، إذ أن هذا الخرق يُبين قواعد الظلمة والطواغيت في التعامل مع أممهم، وفي المقابل يُبين رؤية القائد النافذ البصيرة، وحال قومه في التعامل السلبي معه، كل ذلك يجعل الخطاب القرآني خطاباً تواصلياً مُعجزاً.

يتضح للباحث إنّ كل خرق قاعدة من هذه القواعد يخلق تفاعلاً مع الخطاب القرآني ويجعل تأثير القرآن الكريم بمستوى التحدي المعجز؛ إذ أن القرآن الكريم خلق تواصلاً مع المتلقي بمستوى لا يدانيه خطاب آخر يمثل هذه الخصوصية، ثم إنّ هذا الظاهرة بارزة في القرآن الكريم .

(١) سورة الأعراف: ١٣٩ - ١٤١

(٢) ينظر: الاستلزام الحواري في خطاب سيدنا موسى (ع) مقارنة تداولية، سولاف عكريش: ٧٤-٧٥.



المبحث الثالث: سيمياء التواصل

المطلب الأول: السيمياء المفهوم والمصطلح

أولاً: السيمياء في اللغة: أصلها اللغوي من (سَيِّمًا) التي "ياؤها في الأصل واؤٌ وهي العلامة التي يعرف بها الخير والشر في الإنسان"^(١)، هذا القول يُبين العلامة بمفهومها المعنوي أي الخير والشر، ويخص ذلك بالإنسان، وهناك من يرى إنَّ السمة أو السُومَةُ: "هي العلامة تُجَعَلُ في الشيء"^(٢)، وهذا الشيء عام في كل شيء يوضع له ما يميزه من غيره، و"السيماء: صيغة مبالغة من السمة والوسم، وهي العلامة الخفية"^(٣).

ممّا تقدم يتبين إنَّ السيمياء تعني ما يوضع ليدل على أمر ما، ويطلق عليه العلامة، التي يعرف بها الشيء ويميز عما سواه من الأشباه والنظائر، أو علامة تُعرف بها، وجاء لفظ السيمياء في القرآن الكريم في آيات عدة منها قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَهْلَ الْأَعْرَافِ رِجَالًا لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَانِهِمْ﴾^(٤)، وهي لا تخرج عن دلالة المعنى اللغوي وهو العلامة، ومعنى ذلك يعرفون بعلاماتهم.

(١) كتاب العين، الخليل: (سَيِّمًا) ٣٢١ / ٧

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس: (سَيِّمًا) ١١٨ / ٣

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي: ٢٠٠

(٤) سورة الأعراف: الآية ٤٨



ثانياً: السيمياء في الاصطلاح: وهي العلم الذي يدرس الأنظمة الرمزية في الإشارات كلها الدالة وكيفية الدلالة^(١)، وعُرفت بأنها "دراسة العلامات والرموز والصور والمفاهيم والأفكار وتعنى بقوانين إنتاج العلامة والعلاقة الرابطة بين العلامة والمفهوم وتخصيص اللفظ في دراسة علامات النص وحياة العلاقات داخل الحياة الاجتماعية فهي في حقيقتها كشف أو استكشاف لعلاقات دلالية مرئية وغير مرئية"^(٢)، يتضح أن السيمياء هو العلم الذي يُعنى بدراسة العلامات والرموز والمفاهيم، والصور، ويُعنى بقوانين إنتاج العلامات، والعلاقة الرابطة بين العلامة والمفهوم، ويبدو لي أن تعريف السيمياء في المصطلح لا يخرج عن المعنى اللغوي الذي قام عليه وهو العلامة.

(١) ينظر: الاتجاه السيمولوجي ونقد الشعر، عصام خلف عامل: ١٩

(٢) السيمياء والتواصل الاجتماعي، خلود جبار: ١٩٩



المطلب الثاني: التواصل السيميائي في القرآن الكريم

السيمياء من النظريات التي ظهرت واضحة في الخطاب القرآني؛ إذ لا يمكن إنكارها أو القول إنها من الأمور التي سوف تظهر مستقبلاً^(١)؛ لأن الفكر الإسلامي كان مؤهلاً للكشف عنها عن طريق تقنياته الثقافية، فجزور هذه النظرية تضرب في أعماق الدراسات القرآنية.

وأكد الروايات الشريفة على وجود إشارات وعلامات سيميائية في القرآن الكريم من ذلك الرواية عن الحسين (عليه السلام) في وصف القرآن الكريم إذ قال: «كتاب الله عزّ وجلّ على أربعة أشياء: على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء»^(٢).

إنّ هذه الرواية تُثبت وجود السيمياء في القرآن الكريم، ويتضح منها أيضاً أن كل نوع من أنواع الخطاب يختص بفئة من الناس بحسب استعدادهم وقابلياتهم الفكرية والروحية.

والدراسات السيميائية تؤكد أنها ليس اتجاه واحد؛ بل مجموعة من الاتجاهات، أبرزها السيميائية الدلالية، والتواصلية، والأخيرة تركز على عملية خلق التفاعل والتأثير في المتلقي، وهي التي نريد الوقوف عليها من أجل بيان الإعجاز التواصلية في القرآن الكريم عن طريقها.

(١) جزور النظرية السيميائية في الخطاب القرآني، حسن عبد الهادي الدجيلي: ١٣

(٢) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، المجلسي: ٢٠ / ٨٩



ونظراً لسيمياء التواصل مجموعة من علماء اللغة منهم (بويسنس)^(١)، وهو مؤلف كتاب (سيميولوجيا التواصل)، ومن المهم فهم المنطق الفكري له، إذ يعدّ كل فعل تواصلية فعلاً سيميائياً، ويتخلّى (بويسنس) عن مصطلح (لغة) في وصف أشكال التواصل اللغوية وغير اللغوية، فيتبنى لفظ (سيميائية) للإشارة إلى اللغات والإشارات غير اللغوية^(٢).

وهناك من لم يقبل بهذا التوجه، فعرض بديلاً يناسب توجهه الفكري اللغوي، إذ يرى "إن السيميولوجيا تدرس الإجراءات الكفيلة بتحقيق التواصل بيننا والآخرين، وهذا الإجراءات قد تدرس إشارات لغوية، أو إشارات غير لغوية، كإشارات المرور والإشارات العسكرية وغيرها، إنّ سيميولوجيا التواصل تدرس كل الظواهر التي تدرسها اللسانيات، سواء كانت علامات لغوية أو غير لغوية"^(٣)، ويرى أصحاب هذا الاتجاه أنّ الدلالة أداة التواصل، أي مقصدية إبلاغية، فالعلامة عندهم تتكون من الدال والمدلول والوظيفة، فهؤلاء الفلاسفة لا يهتمون من الدلالات السيميائية سوى الوظيفة التواصلية، علماً أنّ الوظيفة التواصلية لا تقوم بها الأنساق اللغوية فقط، بل توجد هناك أنظمة غير لغوية ذات وظيفة سيميائية تواصلية^(٤).

وبناء على ما تقدم يمكن القول إنّ العلامات اللغوية لا تسمى أشياء في الواقع الخارجي بشكل مباشر، وإنما هي تُحيل إلى المفاهيم والتصورات الثقافية التي تحملها الجماعة في وعيها، لأن "كل المجالات المعرفية ذات العمق السوسولوجي الحقيقي تفرض علينا مواجهة اللغة"^(٥)؛ إذ أنّ اللغة رموز وظفت لنقل الفكر، فهي تقوم على

(١) ايريك بويسنس: ولد بمدينة غان ببلجيكا سنة (١٩٠٠م) حصل على الدكتوراه في الادب المقارن سنة (١٩٢٣م)، واصبح استاذاً للتعليم العالي بالجامعة الحرة لبروكسل، حيث درّس النحو المقارن للغات الهندو أوروبية، انشأ درساً خاصاً بسيميولوجيا اللغة، وفي سنة ١٩٧٠م انتخب عضواً في الاكاديمية الملكية للعلوم والآداب والفنون الجميلة ببلجيكا، نشر دراسات عديدة في اللسانيات والسيميولوجيا: ينظر: المصدر قراءة في كتاب السيميولوجيا والتواصل، عبدالله بير: المقدمة: ١٠

(٢) ينظر: السيميولوجيا والتواصل، ايريك بويسنس: ١٤.

(٣) المصدر نفسه: ١١-١٢

(٤) ينظر: السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق، جميل حمداوي: ٢٩

(٥) اللغة واشكالها التواصلية، عزيز السراج: ٨٣

إخضاع كل ما يمكن إخضاعه للرمزية من أجل التواصل فلم تعد اللغة تشمل الأنساق اللفظية المنطوقة، أو المكتوبة أو المصورة فقط، بل أصبحت تشمل كل الوقائع الثقافية المرتبطة بنشاط الإنسان وسلوكه، وعليه فالتواصل بُعد أساس للغة والثقافة على حدّ سواء، على اعتبار أن التواصل لا يقتصر على توصيل الرسائل اللفظية أو القصدية فقط؛ إذ صار انتقاء الرمز السيميولوجي غاية العملية التواصلية التي قد تتعرض للفشل لولا توخي هذا الجانب^(١)، ف"إذا كان تيار سيميولوجيا التواصل يمثلته مجموعة من باحثين (مونان، بويسنس، برييطو) ينتمون إلى العرض الوظيفي في اللسانيات الذي يرى أن اللغة تؤدي وظيفة تواصلية مباشرة، فإن (رولان بارت)^(٢)، رائد سيميولوجيا الدلالة حاول تجاوز تصور الوظيفيين الذين ربطوا بين الدلالة والمقصدية؛ إذ جنح إلى توسيع حقل البحث في اللغة، على اعتبار أن إنتاج المعنى وتوفير التواصل يمكنه أن يتم بواسطة أنساق لفظية وأنساق غير لفظية، ولعل هذا ما دفع (بارت) إلى أن يسند وظيفة التواصل إلى الأنساق اللسانية وإلى الأشياء، وبما أن المعنى من إنتاج اللغة، فلا يمكن للسيميولوجيا إلا أن تلجأ إلى اللغة للوقوف على دلالة الأشياء، وبذلك فاللغة تُعد نموذجا للسيميولوجيا؛ إذ هي تمدنا بالمعاني والمدلولات^(٣).

مما تقدم يرى الباحث إنّ التواصل يمكن أن يقوم بواسطة أنساق لفظية، أو غير لفظية؛ فالإشارات هي علامات تخلق توصالاً بين أركان العملية التواصلية، وتُعد اللغة أبرز منظومة للتواصل في حقول المعرفة، ولهذا يكون الخطاب هو الناتج الفعلي للعمليات التواصلية، وتلك العلاقة تتجاوز العلاقة اللغوية إلى غير اللغوية،

(١) ينظر: في اللسانيات المعاصرة التواصلية والتداولية ومعايير النص القرآنية، صالح هادي القريشي: ٦٨
(٢) رولان بارت (ت ١٩٨٠م) فيلسوف فرنسي، ناقد أدبي، دلالي، ومنظر اجتماعي، نال شهادة في الدراسات الكلاسيكية من جامعة السوربون عام ١٩٣٩م، ودرس في بوخارست، ومصر، يشتهر بارت بمجموعة مقالاته لعام ١٩٥٧م، والتي تضمنت تأملات في الثقافة الشعبية، ومقاله عام ١٩٦٧/١٩٦٨ (موت المؤلف)، والذي انتقد فيه الأساليب التقليدية في النقد الأدبي. ينظر: الشبكة العنكبوتية، ويكيبيديا الموسوعة الحرة.
(٣) ينظر: اللغة واشكالها التواصلية، عزيز السراج: ٣٨٨



تلك العلاقة التي تؤدي دوراً فاعلاً بين المتحاورين أو المشاركين في الموقف التواصلي.

إنّ وظيفة اللغة التواصلية تعطي لمستعمل اللغة الطبيعية إمكان التواصل وإمكان توظيف العبارات في المقامات المناسبة، وتعنى دراسة السيمياء بدراسة أنساق العلامات ذات الوظيفة التواصلية، فالتواصل هو الهدف المقصود من السيمياء، وموضعه في بيان الدلائل القائمة على القصديّة، فاللغة هي الفاصل بين الطبيعة والثقافة، وهي التي تنفرد بميزة إنسانية وثقافية واجتماعية فهي واقعة ثقافية بالمفهوم السيميائي للكلمة وهي نشاط إنساني الغرض منه التواصل وتوظيف الثقافة وتنشيط حركتها.

وإنتاج المعنى وتوفير التواصل يمكن له أن يتم بوساطة أنساق لفظية، وأخرى غير لفظية، والإشارات هي علامات تخلق تواصلاً بين أطراف العملية التواصلية، وتعد اللغة أبرز منظومة تواصلية ذات فعالية في حقل المعرفة، وعليه فالنص هو الناتج الفعلي للعمليات الاتصالية وهذه العمليات تتجاوز العلاقات اللغوية الى العلاقات غير اللغوية، التي تؤدي دوراً فاعلاً بين المشاركين في ذلك التفاعل الاتصالي، والسيمياء هنا ترمي إلى استكشاف البيانات الدلالية التي تتضمنها الخطابات والأنشطة البشرية بنية ودلالة ومقصديّة، والبحث عن الأنظمة التواصلية تعقيداً وتجريداً ووظيفة، وترمي السيمياء أيضاً إلى الإبلاغ والتأثير في التعبير^(١)؛ إذ يتحقق التواصل عبر السيمياء، وعبر إشاراتها وعلاماتها سواء أكانت لغوية أم غير لغوية، فهي تؤسس للتواصل الذي غايته التأثير والإبلاغ والتفاعل وهو ما يسعى التواصل إلى تحقيقه؛ إذ يرى أصحاب هذا الاتجاه أنّ العلامة تتشكل من الدال والمدلول والقصد مركزين على الوظيفة التواصلية^(٢)، والوظيفة الأساسية للسيمياء هي التواصل؛ لذلك فالعلامة قائمة على ثلاثة أسس هي: الدال والمدلول والقصد؛ لأن

(١) ينظر: حدود التواصل (الاجماع والتنازع من هابرماس وليوتار)، فرانك مانفرد: ٣٨.

(٢) ينظر: معرفة الآخر مدخل الى المناهج النظرية الحديثة، سعيد الغانمي، وعبد الله ابراهيم، وعواد علي: ٨٤



الهدف من استعمال العلامة هو التعبير عن قصد المتكلم ومراده، الذي يراد منه التأثير في المتلقي لتلك العلامة ويتفاعل مع ما تحمله من دلالة، بوجه من وجود التفاعل والتأثير.

وتقوم سيمياء التواصل على محورين هما^(١):

أولاً: محور التواصل، وما يجري فيه، ومحور التواصل إما لغوي يتمثل بأشكال التعبير اللغوي التي يصدرها البشر في مواقف محددة؛ بهدف التواصل، وأما غير لغوي ويكون على هيئة رموز وهو بهذا يكون على نوعين^(٢):

١. تواصل لساني، ويستند على الألفاظ؛ أي على ما هو ملفوظ.
٢. تواصل غير لساني ويقوم على الرموز: ولها معايير لقياسه وهي:
أ- معيار الإشارات النسقية، وهي ثابتة يعرفها الجميع كإشارة المربع.
ب- معيار الإشارات غير النسقية، وهي متغيرة، كالدعاية والإعلان.

صنّف (بوينتس) التواصل غير اللساني على ثلاثة أقسام تبعاً لثبات العلامة، وهي^(٣):

- ١- العلامة النسقية أو الثابتة أو القصدية: وهي التي لا قيمة لها إلا باعتبار أنّها أنتجت لأجل تلك القيمة المعترف بها، وتتمايز بكونها ثابتة ومستمرة، مثل إشارات المرور، والعلم، والعملية.
- ٢- العلامة اللانسقية أو المتغيرة، أو غير الثابتة: وهي التي تتغير فيها العلاقة بين طرفيها، بحسب الظرف والحاجة، كما في الملصقات الإعلانية التي توظف اللون والشكل بهدف التأثير في المستهلك، ويزول الانتباه والتأثير بزوال السلعة أو الرغبة في تسويقها.

(١) السيمياء والتواصل الاجتماعي، خلود جبار: ٢٠٧

(٢) ينظر: الأدب الحديث ونقده، علي سليم الخطيب: ٢٩٧.

(٣) ينظر: محاضرات في علم الدلالة، نوري سعودي أبو زبد: ١٦-١٧



٣- العلامة العفوية: وهي التي أنتجت لقصد غير قصد الإشارة بالأصل، ثم حوّلت إلى قصدية واضحة المعالم، مثل لون السماء في دلالاته على حالة الملاحظة، والهلال في العدد والحساب.

ثانياً: محور العلامة: ويتضمن من أنواعها، مكوناتها، وعلاقة ذلك بالقصد، ويشكل فيه الدال والمدلول علامة محددة أو معينة^(١)، والذي تؤكد على معالجته سيميائية التواصل هو محور العلامة، الذي ينقسم في المنظور التواصلية على^(٢):

١- الإشارة: هي الوقائع ذات سلوك سيميائي، ترتبط طبيعياً بما تحيل إليه بعلاقة الملازمة، مثل بصمات الشخص في تحريك الشرطة، تدل البصمة على هوية صاحبها، أو هي الحدث الذي يُعلمنا بما جرى تحقق الإشارة بعداً إقناعياً وإغرائياً، وتضمن تأثيرها التواصلية في المتلقي للخطاب؛ لأن التواصل يتم بالإشارة كذلك وليس باللسان فقط؛ فإنّ الإشارة يمكنها أن تؤدي بالعملية التواصلية^(٣)، وتتميز بأنها واضحة ولا تحتاج إلى تعريف أو شرح.

الإشارة في القرآن الكريم: نجد ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾^(٤) أنا

صَبَبًا الْمَاءَ صَبًّا^(٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا^(٦)، جاء في تفسير الآية، أي "كيف خلق الله طعامه، وهذا النظر نظر القلب بالفكر، أي ليتدبر كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته، وكيف هيأ له أسباب المعاش، ليستعد بها للمعاد"^(٧)، وهنا يقدم الخطاب القرآني إشارة سيميائية تجعل المتلقي يتفاعل معه ويتأثر به، وهذه الإشارة هي في الحقيقة منجزة تتمثل في نعم الله على الإنسان، ومن ذلك نعمة الماء؛ فالماء إشارة إلى مادة الحياة الأساسية التي لا يمكن أن يعيش الإنسان بدونها.

(١) ينظر: محاضرات في علم الدلالة، نواري سعودي ابو زيد: ١٤

(٢) ينظر: الاتجاهات السيميوطيقية (التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية)، جميل حمداوي: ١٧-

١٨، والتواصل في القصص القرآني، نزيهة روبينة: ١٢

(٣) ينظر: نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى، بول ريكو: ٣٠

(٤) سورة عبس: ٢٤ - ٢٦

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٢٢٠/١٩، وينظر: الميزان، الطباطبائي: ١١٦ / ٢٠



إنّ الإشارة السيميائية في القرآن الكريم جاءت لتخلق تواصلاً مع المتلقي ليتوجه إلى عبادة الله تعالى وحده ولا يشرك به شيئاً ويسير على الخطى التي رسمها القرآن له، وبهذا الشكل يتمظهر الإعجاز التواصلي في القرآن الكريم، والإشارة في القرآن الكريم تختلف عن النصوص الأخرى، فهو يشير إلى صورة سيميائية توضح وتبين تارة وتنبه وتذكّر تارة أخرى، وهذا ما يجعل الإشارة في القرآن الكريم تخلق تفاعلاً بينه ومتلقيه، وهذا التفاعل ليس تفاعل عادي، بل تفاعل يصل إلى مستوى يُدهش المتلقي، ويجعله يشعر بأن القرآن الكريم يختلف عما تلقاه من النصوص الأخرى.

٢- الأيقونة: وتدل على ما تُحيل إليه بطريقة المماثلة والمشابهة، مثل التمثال المجسم، والخرائط الجغرافية، وهي بهذا الوصف تكون علامة أيقونية، لذلك عرفت الأيقونة بأنها "ضرب من العلامات التي تتفرد بخصيصة التعليل التي تستند إلى عامل المشابهة الناتجة عن نظام التقطيع غير المماثل"^(١)، وتعرف كذلك على أنها "العلامة التي تشير إلى الموضوع التي تعبر عنها الطبيعة الذاتية للعلامة فقط، وتمتلك العلامة هذه الطبيعة سواء وجدت الموضوع أم لم توجد"^(٢)، وهذا يدل على أن الأيقونة "علامة تدل على شيء ما تتشابه معه من حيث المعنى أو المغزى؛ لذا فهي تقترب من الصور الخرائط"^(٣)، الأيقون هو صورة شيء غائب وقد تكون تلك الصورة غير بصرية، مثل تسجيل صوت شخص ما فهذا الصوت أيقون يمثل صاحبه، ويتميز الأيقون بعلاقة التشبه بين صورة الشيء والشيء نفسه، وبناء على هذه العلاقة يتم الحدث التواصلي بين المرسل والمتلقي. وبهذا يكون الأيقون ضمن وحدات سيميائية التواصل^(٤)، وبهذا فالأيقونة علامة تدل على شيء ما تتشابه معه من حيث المعنى أو المغزى.

(١) الدلالات المفتوحة، مقارنة سيميائية في فلسفة العلامة أحمد بن يوسف: ٩٣

(٢) السيميائية الاصول، القواعد والتاريخ، أن اينو وآخرون: ٣٢.

(٣) النظريات التواصلية في النصوص القرآنية، كلثوم عامر شخير: ٤٧

(٤) ينظر: السيميائيات والتواصل، نور الدين رايبص: ٥١



الأيقونة في القرآن: يحتوي القرآن الكريم على أيقونات كثيرة؛ إذ يعد القرآن أيقونة نفسه، وقد جاءت الأيقونة في القرآن لتجسد العملية التواصلية بالنهج السيميائي، ومن المعنى الذي يحمله الخطاب القرآني من أيقونة يشابه المعنى المرجو في قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا نَفَسَ﴾^(١)، قيل في معنى ذلك: "وتنفس ها هنا مستعار، وحقيقته إذا بدأ انتشاره، وتنفس أبلغ منه، ومعنى الابتداء فيهما، إلا أنه في التنفس أبلغ لما فيه من الترويح عن النفس"^(٢)؛ فالصبح "كموجود حي قد بدأ أول أنفاسه مع طلوع الفجر، ليدب الروح من جديد في كلّ الموجودات، بعد أن تقطعت أنفاسه عند حلول ظلام الليل"^(٣)؛ فالصبح كان أيقونة لبدء الحياة، وانجلاء الظلام، وأيقونة ترمز للخير والعطاء، أنّ تنفس الصبح في الخطاب القرآني هو أيقونة لها مداليل لذلك التنفس الذي يعني الحياة، ويعني بدء أنتشار الخير والأمان، فهو أيقونة تشير إلى ذهاب الليل المعتم، وانتشار النور والضياء.

(١) سورة التكويد: الآية ١٨

(٢) النكت في إعجاز القرآن، الرماني: ٩٠

(٣) الأمتل، مكارم الشيرازي: ٢٦٢ / ١٩



٣-الرمز: وهو "علامة تشير إلى الموضوعة التي تعبّر عنها عبر عُرفٍ غالبًا ما يقترن بالأفكار العامة التي تدفع إلى ربط الرمز بموضوعته، فالرمز، إذن، نمط عام أو عرفٌ، أي أنّه العلامة العرفية، لهذا فهو يتصرف عبر نسخة مطابقة، وهو ليس علمًا في ذاته فحسب، وإنّما الموضوعة التي يشير إليها بطبيعة عامة أيضًا"^(١)، ويراد من إنتاج رمز ليقوم مقام علامة أخرى مقصودة، ومن صورهِ دلالة الثعلب على المكر، وهذه العلامات عرفية، أي يتواضع عليها المجتمع عن طريق إحالة الرمز على موضوعه، ولا ربط بين طرفيها، فالرمز علامة تصويرية لشيء ما، فهو يُحيل إلى فكرة مجردة مثل (الميزان) الذي يُشير إلى العدالة.

والرمز هو شيء يمثل شيئًا آخر ويوضحه ليس بواسطة علاقة الشبه، ولكن بواسطة إحياء واسع أو ببعض العلاقات غير المقصودة أو الاتفاقية^(٢)، ويكون الرمز بين شيئين أحدهما ينتمي إلى عالم محسوس والآخر إلى عالم مجرد، مثل الصفات الشجاع صفة مجردة عادة يرمز لها بصورة أو مجسم الأسد.

الرمز في القرآن الكريم: ثمت رموز تُشير إلى دلالات خاصة بها، ويضاف لها دلالات أخرى يقوم ذهن المتلقي بإحضارها، وهذه الدلالات تشكل وجود معنوي يجعل المتلقي يتفاعل معها، من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾^(٣)، وينقل الشيخ الطوسي (رحمه الله) أنّ "المراد بالميزان العدل؛ لأن المعادلة موازنة الاسباب، والطغيان الإفراط في مجاوزة الحد في العدل"^(٤)؛ فالقرآن الكريم يرمز هنا للعدل بالميزان.

(١) أنظمة العلامة في اللغة والادب والثقافة مدخل إلى السيموطيقا، سيزا قاسم، ونصر حامد أبو زيد: ١٧٦.

(٢) ينظر: السيميائيات والتواصل، نور الدين رايص: ٥٠.

(٣) سورة الرحمن: الآية ٧.

(٤) التبيان: ٩ / ٤٦٥، وينظر: محاسن التأويل، القاسمي: ٩ / ١٠١.

٤- المؤشر: هو إشارة اصطناعية، مثل علامات المرور، ولا قيمة للمؤشر إلا بحضور المتلقي له، لذا يُعرف المؤشر بأنه "إشارة اصطناعية، لا قيمة له إلا بحضور المتلقي، مثل العلامات البحرية، وإشارات المرور"^(١).

المؤشر في القرآن الكريم: إنَّ القرآن الكريم زاخر بما يدل على المؤشر من أمثلة ذلك ما نجده في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿١٠﴾ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿١١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿١٢﴾﴾، قيل في تفسيرها "أفلا ينظر هؤلاء المنكرون قدرة الله على هذه الأمور، إلى الإبل كيف خلقها، وسخرها لهم وذلها، وجعلها تحمل حملها باركة، ثم تنهض به فيعتبرون بها، ويعلمون أن القدرة التي قدر بها على خلقها، لن يعجزه خلق ما شابهها"^(٣).

إنَّ هذه الآيات المباركة تبين قدرة الله تعالى؛ لهذا جاء المؤشر متوافقاً مع الموضوع؛ إذ يوحى للمتلقي الصورة الذهنية التي يشير إليها، فهذه الصورة مؤشر على قدرة الخالق التي تكشف عن طريق ما يُحيط بالإنسان من مخلوقات وآفاق، فالمؤشر هنا يدل على قدرة الله التي تفرد بها، فكل ما ذكر في الآيات المباركة من خلق الإبل، ورفع السماء، ونصب الجبال، وتسطيح الأرض، مؤشر على قدرة الله غير المتناهية.

والمؤشر قد جسّد عملية التواصل في القرآن الكريم بشكل جميل يتلاءم مع المنهج السيميائي العام عبر الإيحاء والنظر والتفكير الذهني، والقرآن أساساً مؤشراً لقدرة الله تعالى، فكل ما فيه يثبت تفرد الله تبارك وتعالى وكل ما جاء فيه يدل على إنه مؤشر على قدرة الله على كل شيء، التي أعجزت كل الخلق.

(١) محاضرات في علم الدلالة، نواري سعودي أبو زيد: ٥١

(٢) سورة الغاشية: ١٧ - ٢٢

(٣) جامع البيان، الطبري: ٢٤ / ٢٣٨، وينظر: المنار، محمد رشيد رضا: ٩ / ٣٨٥



ممّا تقدم يرى الباحث إنّ (الإشارة، المؤشر، والرمز، والأيقونة) يتجسد فيها التواصل السيميائي عن طريق الشفرة التي يرسلها (الخطاب القرآني) للمتلقّي؛ إذ تخلق تفاعل ومن ثمّ التواصل؛ فهي تُثير انتباهه وتحفزه، عبر التفكير، والإيحاء، وخلق فضاء ذهني يُشكل المتلقّي صور يملئ بها ذلك الفضاء.

الفصل الثالث

خصائص المتلقي والخطاب

- المبحث الأول: التواصل بين المتلقي والخطاب
- المبحث الثاني: آيات القرآن الكريم وخلق التواصل



التواصل بين المتلقي والخطاب

توطئة:

نحاول في هذا الفصل التّأصيل للإعجاز التّواصلّي في مضمار القراءة الكفيلة بالوقوف على آليات اشتغال الخطاب القرآني، تلك القراءة التي تخلق تواصلاً مع متلقيه والتي تجعل المتلقي كاشفاً عن إعجاز القرآن الكريم عن طريق تواصله مع القرآن الكريم، ويكون الكشف بالوقوف على مرتكزات نظرية التلقي، وبعض التطبيقات القرآنية الكفيلة التي تُثبت المطلوب.

إنّ المتلقي في أغلب النظريات اللّغة في السابق لم يكن سوى مستهلك، بينما نظرية التلقي تضع للمتلقي مساحة واسعة في دراسة الأدب، وبذلك يصبح المتلقي في ضوء هذه النظرية كائنًا يستقبل العمل ويكون ذلك الأثر وديعة لديه، وعن طريق المتلقي تُكشف فرادة الخطاب؛ لأنّ الحكم على الخطاب يكون عن طريق الأثر الذي يتركه في متلقيه، وحجم التفاعل مع ذلك النصّ.

إنّ المتلقي في الإعجاز التّواصلّي يكون داخل بنية النصّ؛ فعند ذلك يكون عرضة للترباط معه، فليس شرطاً أن تكون النصوص كلها في علاقتها بالمتلقي قابلة لتلقي به داخل ثناياها، بل هذه خاصية تمتاز بها النصوص الإبداعية وفي مقدمتها القرآن الكريم؛ بل تفرد به هذه الخاصية، لهذا أصبح هذا التفرد وجهاً بارزاً من وجوه إعجازه، وأقصد به الإعجاز التّواصلّي.

إنّ ما تقدم يجعلنا مندفعين لطرح التساؤل الآتي: أين تظهر الاستفادة من التنظير للتلقي لكشف تواصل في القرآن الكريم؟

تكون الإجابة عن ذلك بالوقوف على ما يذهب إليه الزركشي (ت ٧٩٤هـ)؛ إذ يرى أنّ للقرآن الكريم تأثيراً عظيماً على النفوس، ووقفاً كبيراً عليها^(١)؛ إنّ وصف القرآن الكريم بأن له وقفاً حسناً على النفس، والتأثير العظيم عليها، صفتان تدرجان

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ٦٠ / ١ - ٦١



في صلب نظرية التلقي؛ لأن الغاية من ذلك التواصل بين النص والمتلقي عن طريق حضور المتلقي، وهذا ما يُريده النص القرآني من متلقيه، وإذا نظرنا إلى هذه المقولة وهي تخص بنية النص والتي لها الأثر في التواصل، فكل شيء في القرآن جاء للتأثير في المتلقي، وجعله في موقع التفاعل معه، وهذا التفاعل المستمر مع القرآن الكريم ميزة لا يصل إليها أي خطاب آخر.

والتواصل بين القرآن الكريم ومتلقيه في أغلب الأحيان يكون على وتيرة واحدة، على الرغم من أنّ القرآن الكريم لم يأت على وتيرة واحدة في عرضه للقيم والمفاهيم؛ فمنها المفاهيم العليا التي ليس من اليسير فهمها على المتلقي العادي، ومنها المفاهيم والقيم التي يمكن للمتلقي العادي فهمها والتفاعل معها؛ وعلى الرغم من ذلك كان التفاعل والتأثر في القرآن الكريم حاضرًا عند جميع المستويات، ولا ينفك عنه، وهذا ما جعل القرآن الكريم يعرض التحدي لجميع الخلق، فليس هناك خطاب يمتلك القدرة على ذلك، فالخطابات تختلف في تفاعل المتلقين معها، تبعاً لتباين مستوياتهم.

وهذا ما أكدّه قول رسول الله (ﷺ): « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَتَعَلَّمُوا عَرَائِبَهُ وَعَرَائِبُهُ فَرَائِضُهُ وَحُدُودُهُ فَإِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى حَمْسَةِ وُجُوهِ حَلَالٍ وَحَرَامٍ وَمُحْكَمٍ وَمُتَشَابِهٍ وَأَمْثَالٍ فَاعْمَلُوا بِالْحَلَالِ وَدَعُوا الْحَرَامَ وَاعْمَلُوا بِالْمُحْكَمِ وَدَعُوا الْمُتَشَابِهَ وَاعْتَبِرُوا بِالْأَمْثَالِ »^(١).

(١) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليه السلام)، المجلسي: ١٨٦ / ٨٩



المبحث الأول: التواصل بين المتلقي والخطاب

المطلب الأول: التلقي والمتلقي الإطار المفهومي

نستعرض بدءاً مفهوم التلقي في المعجم اللغوي، الذي يدل على الاستقبال والأخذ، وقد قيل: "تَلَقَّيْتُ الكَلَامَ مِنْهُ: أَخَذْتُهُ عَنْهُ"^(١)، و"التلقي هو الاستقبال"^(٢).

فلا يخرج المفهوم اللغوي للتلقي عن دلالة الاستقبال والأخذ عن الآخر، ودلالة التلقي على الاستقبال غير محددة، بل يشمل لما يحصل بالجسد مثل استقبال شخص لآخر، أو استقبال الكلام، وهذه الدلالة المحورية لمعنى التلقي، ويلحظ لها دلالات أخرى بحسب السياق والاستعمال، وهذا ما ذكره ابن منظور؛ إذ قال في بيان معنى اللفظ بحسب سياقه في الآيات القرآنية منها: قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾^(٣)؛

أَي يَأْخُذُ بَعْضٌ عَنْ بَعْضٍ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٤)؛ فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ أَخَذَهَا عَنْهُ، وَمِثْلُهُ لَقْنَهَا وَتَلَقَّيْنَهَا، وَقِيلَ: فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ،

أَي تَعَلَّمَهَا وَدَعَا بِهَا..... وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الْأَنْصَابُ﴾^(٥)؛ أَي مَا يُعَلِّمُهَا وَيُنَبِّئُهَا عَلَيْهَا^(٦)؛ إذ ميّز ابن منظور بين دلالة لفظ التلقي بحسب السياق الذي جاء فيه، فالتلقي باللسان يكون عن طريق أخذ الكلام من الآخر ويكون على مستويين:

المستوى الأول: مجرد الاستقبال والأخذ من غير تفاعل، فهو أخذ كلام ليس

إلا.

المستوى الثاني: أن يكون الاستقبال والأخذ بتفاعل، كتعلم الكلام الذي

استقبله المخاطب، ومن ثمّ العمل به وهذا ينتج تفاعلاً بين المتكلم والمتلقي، والذي

(١) كتاب العين، الخليل: (لقي) ٢١٦/٥

(٢) تهذيب اللغة، الأزهري: (لقي) ٢٢٨/٩

(٣) سورة النور: الآية ١٥

(٤) سورة البقرة: الآية ٣٧

(٥) سورة القصص: الآية ٨٠

(٦) لسان العرب، ابن منظور: (لقي) ٢٥٦/١٥



ينتج عنه التأثير الذي يكون مؤداه العمل، ويفضي ذلك إلى التواصل بين المتكلم والمتلقي، وبهذا يحمل مفهوم التلقي دلالة التواصل، وهو الأس الذي يُبنى عليه مصطلح التلقي.

نظرية التلقي: وهي النظرية التي تُركز على المتلقي للخطاب وتُعطي له مساحة في استقبال مضامين الخطاب^(١)، ويقارب التلقي هنا المعنى اللغوي وهو استقبال الكلام من المتكلم، والمقصود من المشاركة هو استقبال المفاهيم مع تحليل وفهم تلك المضامين؛ لذا قيل إنَّ التلقي: "هي عملية مشاركة وجودية تقوم على الجدل بين المتلقي والنص"^(٢)، فلا يطلق التلقي إلا في حالة وجود تفاعل بين المتلقي والخطاب الموجّه له، أو بين المتلقي والنص الذي يقرأه، ولا يعني التفاعل الإذعان والاستجابة للخطاب، بل يشمل حتى معارضة الخطاب وعدم الاستجابة؛ لأن التفاعل يشمل القبول والرفض، فالقبول يتمثل في الطاعة وتنفيذ ما يرغب فيه المتكلم، والرفض يتمثل بردت الفعل العكسية ضد الخطاب، وهو بذلك يتواصل مع الخطاب؛ لأنه تفاعل معه.

وعُرف التلقي بأنه: فعلٌ ورّد فعلٍ حوار وتفاعل، والتلقي تنمية للذوق وارتقاء بالإدراك، والتلقي المنشود استشراف وارهاص بحركة الواقع، وهو ركن من أركان الإبداع الحقيقي، لذا فالمتلقي حاضر وفعال ومشارك في عملية الإبداع^(٣).

والتلقي بناء على هذا هو الفعل الذي يمارسه الفرد بناء على مكنوناته الذهنية وانفعالاته النفسية لتفسير ما يقدمه المتكلم، وهو بذلك يتضمن الإحساس والإدراك والذكاء وبناء المعنى.

إنَّ حالة الاستقبال التي تتم بين المتكلم والمتلقي من الممكن أن تكشف عن قوة تأثير الخطاب والتفاعل معه، ممّا يكشف عن السيورة الذاتية لتواصلية ذلك

(١) ينظر: نظرية التلقي وأطروحاته، الشريف مرزوق: ٢٢.

(٢) مفهومات نظرية القراءة والتلقي، خالد علي مصطفى، ربي عبد الرضا عبد الرزاق: ١٥٨.

(٣) ينظر: أفق النقد الأدبي العربي في بناء استراتيجية للتلقي، شكري عزيز الماضي: ٩٦.



الخطاب، فضلاً عن فهم معاني الخطاب، وكشف مقاصد المتكلم، وبهذا يكون المتلقي ركناً من أركان الإبداع وهي (المؤلف - الرسالة - المتلقي).

إنّ الحديث عن التلقي، يتم النظر إليه انطلاقاً من مقاربتين رئيسيتين^(١):

المقاربة الأولى: يدور محورها حول مجرد الاستقبال، وهذه المقاربة يكون فيها المتلقي مجرد مستهدف سلبي لا يحق له إضفاء تعديلات على سيرورة التواصل.

المقاربة الثانية: وتتعلق بالرؤية الارتباطية أو النسبية التي تتداخل فيها عدة متغيرات لتفسير وتأويل الخطاب، انطلاقاً من شخصية المتلقي وتجربته المتراكمة، أي أنها تدرس فعل التلقي في حدّ ذاته.

إنّ المقاربة الأولى لا دخل لي بها؛ لأنها لا تتعلق بما أستهدفه في هذه الدراسة، فهي تُبعد المتلقي من الفاعلية والكشف عن القدرة التواصلية للخطاب، بينما المقاربة الثانية هي التي أستهدفها بهذه الدراسة؛ وذلك من أجل بيان أهمية المتلقي في الكشف عن التفرد والتمايز في الإعجاز التواصلية للقرآن الكريم؛ إذ إنّ القرآن عن طريق تفاعل المتلقي معه وتأثيره به يثبت إعجازه التواصلية.

إنّ التلقي للخطاب القرآني يدخل تحت هذه المقاربة؛ لأن له تأثيراً على المتلقي ويجعله متفاعلاً معه؛ لذا يكون المتلقي داخلياً في سيرورة التواصل؛ فالخطاب القرآني هو من يوجّه التواصل عن طريق التأثير بالمتلقي، لما يملكه من وسائل في توجّيهه، ولهذا فالمتلقي الفاعل له موقف إيجابي في تحليل وتأويل الخطاب؛ لأن الخطاب القرآني شامل لجميع أنماط المتلقين، فمنهم من يحدث له التفاعل عن طريق التأثير النفسي، وهو لا يعني بالضرورة الاستجابة والانجذاب تجاه الخطاب القرآني؛ بل حتى المتلقي الذي أحدث القرآن تصدعاً وانكساراً نفسياً له؛ لأن ما جاء به القرآن الكريم قد كسر أفق توقعه، وبالتالي لا قدرة له بالتفاعل الإيجابي مع الخطاب، فالمشكلة في المتلقي لا في القرآن الكريم، لكن يُعد تفاعلاً

(١) ينظر: نظرية التلقي وأطروحاته، الشريف مرزوق: ٢٣.



وتأثراً، بناءً على ردّ فعله، وما قام به من إجراء وصراع مع الخطاب، فالخطاب قد هزّ كيان المتلقي السلبي وخلق تصدع في صميم أفقه، ونقصد بالمتلقي السلبي هو الذي رفض قبول القرآن الكريم واستقبال مضامينه والسير على خطاه.

وأما المتلقي الإيجابي وهو الذي يحدث له التفاعل عن طريق التحليل والتأويل المعرفي، والتأثر وتغيير السلوك، فهذا التفاعل مع الخطاب القرآني يقوم على أسس ومقومات تؤدي إلى اندماج أفق النصّ مع أفق المتلقي ومن ثمّ صيرورة التفاعل والتأثر والتغيير في المفاهيم والقيم المعرفية للمتلقي، وكذا تغيير لسلوكه وهذا يكشف الإعجاز التواصلية للقرآن الكريم؛ لأن هذه الصورة الإعجازية لا تنفك عن كل آية من آياته، فكل آية تخلق في حدّ ذاتها تواصلاً لا ينفك عن إثارة المتلقي وتفاعله معه؛ لذلك نجد التلقي في الاستعمال القرآني يحمل إichاءات وإشارات إلى عملية التفاعل النفسي والانفتاح الذهني، فقد جاء لفظ (التلقي) في القرآن الكريم بدلاً من لفظ استقبال، وهذا يدل على عملية التفاعل مع الخطاب الموجّه إلى المتلقي.

قال تعالى: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(١)، إن التلقي هنا،

"هو القبول عن فطنة وفهم دليل"^(٢)، ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ﴾؛ أي استقبلها بالأخذ والقبول، والعمل بها حين علمها^(٣)؛ أي إن آدم (عليه السلام) لم يكتفِ بالاستقبال، بل تفاعل مع الخطاب وتأثر به، وفهم المقصود منه، وهذا ما ذهب إليه الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)؛ إذ قال: "المراد بتلقي الكلمات استقبالها بالأخذ والقبول والعمل بها فهو مستعار من استقبال الناس بعض الأحبة إذا قدم بعد طول الغيبة؛ لأنهم لا يدعون شيئاً من الإكرام إلا فعلوه وإكرام الكلمات الواردة من الحضرة الأخذ والقبول والعمل بها، وفي التعبير بالتلقي إيماء إلى أن آدم (عليه السلام) كان في ذلك الوقت في مقام البعد"^(٤)، فالمتلقي للرسالة

(١) سورة البقرة: الآية ٣٧

(٢) تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني: ٦٩ / ١.

(٣) ينظر: محاسن التأويل، القاسمي ٢٩٥ / ١.

(٤) روح المعاني، الألوسي: ٢٣٧ / ١.



لا يقف عند الاستقبال؛ بل يتعدى ذلك للأخذ والقبول، ومن ثمَّ العمل بها بعد أن يعلم ويفهم مضامينها، وهذا التفاعل والتأثر المقصود منه التواصل بين المتكلم والمتلقي، وليس كل خطاب هذا شأنه؛ بل من له قدرة على إثارة المتلقي وجعله يتفاعل معه، وبهذا يخلق الخطاب تواصلية، وهذه أيضاً ليست على مستوى واحد فقد تكون عادية وقد ترقى لمستوى التحدي والإعجاز كما في القرآن الكريم.

إنَّ القرآن الكريم يقدم آليات تخلق تواصلية، فيمكن المتلقي من الدخول إلى عالمه عن طريقها، فيحدث التفاعل بينه وبين متلقيه؛ إذ لا ينحصر التواصل من جانب النص فقط؛ بل يرتبط كذلك بالتجاوب معه، فالتلقي على وفق هذه المعطيات هو "تفاعل دينامي بين معطيات النص والخطاطة الذهنية للمتلقي بما فيها رغباته وردود أفعاله"^(١).

بناءً على ذلك فإن التواصل نشاط مشترك بين النص والقارئ، وتكمن فاعلية في عمقه البنائي، وقدرته على إثارة مشاعر المتلقي وأفكاره، وإنَّ الطريقة التي يختارها النص للانتفاع بملكات المتلقي تقضي إلى حصوله على تجربة جمالية تمكّنه بنيته من الاستبصار بمواقع النص ومحاوره الدلالية، والخروج بتجربة تثري خبرته وتوسع أفقه، وتجعله قادراً على الربط بين خبرته، وخبرة القراء السابقين^(٢)؛ لذلك فإنَّ القراءة الأولى تصبح أفقاً للقراءة الثانية، وتضاف إلى خبرات القراء السابقين.

وبناء على ما تقدم يمكن القول إنَّ القرآن الكريم يؤسس للمدى الذي تغدو عملية التلقي نشطة والتفاعل بينه وبين المتلقي؛ وذلك عن طريق التواصل الذي يحكمه مقصدية المتكلم (الله تبارك وتعالى) لإثارة المتلقي، وتشكيل وعي قرائه متواصل لديه؛ فالقرآن الكريم بناء دلالي شامل متكامل وتام يتّسم بطبيعة جمالية، يجذب المتلقي نحوه، ويحدث تأثيرات متجددة في فكر المتلقي ووعيه.

(١) من فلسفات التأويل، عبد الكريم شرفي: ١٤٩.

(٢) ينظر: جماليات التلقي في السرد القرآني، يادكار لطيف الشهرزوري: ٥٣.



وبهذا تصبح عملية التلقي تواصلية تقضي إلى تفاعل المتلقي مع الخطاب؛ لأن إثارة المتلقي تنشط وعيه، وتدعوه إلى التفاعل مع الخطاب، وذلك بالدخول إلى الخطاب دخولاً واعياً، فيتجاوب معه، ثم يربط بين اللحظة التاريخية لظهور الخطاب، وواقعه المعيش، وهذا الاستقطاب للمتلقي يكون عن طريق إشارات الخطاب، التي تخلق لدى المتلقي القدرة على تحليل الخطاب وتأويله؛ لأن التفسير أو التحليل أو التأويل يسهم في إمكانيات صياغة الذات المتلقية.

إنّ القرآن الكريم في ضوء نظرية التلقي يمنح دوراً أساسياً وفعالاً للمتلقي، بحيث لا يتركه يقتنع بدور جزئي، فيؤدّي به إلى القيام بدور المتلقي السلبي، بل يستدرجه إلى المشاركة والتفاعل مع آفاقه؛ لأن الإرسال القرآني على أفضل ما يكون، وهو الكتاب المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه^(١)، لذلك وبالمقابل فهو يتطلب تلقياً واعياً ليتمّ الاتصال على الصورة المثلى.

(١) ينظر: جماليات التلقي في السرد القرآني، يادكار لطيف الشهرزوري: ٥٥



المطلب الثاني: خصائص المتلقي والنص

يحتل المتلقي في الإعجاز التواصلي مكانة مهمة فهو المتلقي للقرآن الكريم، ومتفاعل معه، ومتأثر به في آن واحد، ومن هذا المنطلق ينبغي الوقوف على نظرية التلقي، والمتلقي بصورة عامة، وبعد ذلك نقف على آليات الخطاب القرآني، ليتجلى للقارئ الكريم الإعجاز التواصلي فيه.

إنّ القرآن الكريم يعلن بصراحة عن التلقي وتنبتق شرعية القراءة من كلمة ﴿اقْرَأْ﴾ في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(١)، والقراءة هنا بالمعنى المفتوح فهي تشمل التفاعل والتأثر والفهم الذي هو جوهر القراءة، ولو رجعنا إلى القرآن الكريم وتحديداً إلى أول سورة أنزلت وهي (سورة العلق)، فلفظ ﴿اقْرَأْ﴾ يكشف عن خصوصية المتكلم الذي يجب أن تُقرأ رسالته؛ إذ يكشف عن تفردّه، فالله تعالى يُبين إنه الربّ الذي خَلَقَ، وهو مَنْ علم الإنسان الذي لم يكن يعلم شيئاً، فهذه الرسالة من المتكلم تُثير المتلقي وتشدّه إلى معرفة صاحبها.

ولهذا فإنّ نظرية التلقي تؤسس لتجربة خاصة بالمتلقي، فهناك فرق شاسع بين أن يقرأ الفرد تجربة المتلقين للقرآن الكريم قبله في العصور الأولى، وبين تجربته الخاصة في تلقي الخطاب القرآني فيشعر أنه المقصود به؛ إذ تركز نظرية التلقي على تفاعل القارئ مع الخطاب في رحلة تفنى ذات المتلقي به، تلك الرحلة يقوم المتلقي بالوقوف على مقاصد الخطاب ودلالاته الخفية، وبهذا يمكن أن نقف على سرّ تواصلية القرآن الكريم التي تفرد بها، وتحدى بها جميع الخلق، فهي وجّه بارز من وجوه إعجازه.

وشكلت علاقة النصّ بقارئه من أهم الأطروحات النقدية الحديثة؛ إذ ترى تلك النظريات إنّ المتكلم عندما يكتب النصّ، يكتبه لمتلقٍ هو يُريده، فيحدث بينهما تفاعل،

(١) سورة العلق: الآية ١



وهذا التفاعل يُحِين قراءة النصّ، وقد يبقى كامناً في النص على شكل طاقة تواصلية تُبعث باستمرار وتنفجر عن طريق القراءة المتوالية للنصّ.

كما أحدثت المناهج التقليدية التي عنيت كثيراً بالمؤلف وحياته وظروفه، ثورة عمادها التوجه إلى رفع سلطة القراءة والقارئ، وهذا الإسهام نادى بظهور نظرية التلقي التي تُعنى خاصة بالعنصر الثالث في العملية التواصلية وهو (المتلقي)، إلى جانب المرسل والرسالة، وذلك عن طريق إقامة نظرية خاصة به عن طريق العلاقة التفاعلية التي مؤداها إنتاج معانٍ ودلالات وتأويلات خاصة بالمتلقي.

وهذه العملية نجدها في القرآن الكريم تمثلت في التفاعل بينه وبين كل متلقيه، وذلك ليضمن القرآن الكريم إبلاغ رسالته إلى كل البشر على اختلاف أماكنهم وأزمنتهم، أي متجاوز النظر الزمكانية، فالقرآن الكريم تخطى ذلك عن طريق تفعيل آليات قراءته التي تخلق تفاعل ومن ثمّ التواصل معه.



المطلب الثالث: نظرية التلقي ورواها النقدية

إنّ نظرية التلقي شأنها شأن أغلب النظريات الأخرى التي تكون في بداياتها أقوال للعلماء، فقد سبق أن تحدث أرسطو عن المتلقي، وما له من أثر كبير في نجاح عملية التواصل، وحثّ المتكلم على إدراك الأحوال العاطفية، والنفسية لمستمعيه، من غضب، وحزن، وخوف، وما يصاحبها من لذة أو ألم، وكذلك مراعاته أعمار المتلقين وطبقاتهم^(١).

ونظرية التلقي بأصولها المعرفية لا يمكن إن تنسب إلى الحضارة الغربية وحدها، بل نجد ذلك في التراث العربي؛ إذ أشار العلماء العرب إلى أهمية المتلقي في الخطاب، ولا سيما القرآن الكريم، كما فعل الجاحظ، وابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، وعبد القاهر الجرجاني، والقاضي عبد الجبار (ت ٤١٥هـ)، والزرکشي (ت ٧٩٤هـ) وغيرهم، فقد كانت لهم إشارات إلى أهمية المتلقي في عملية فهم الخطاب، وقد ساعد اختلاف تفاسير القرآن الكريم على اكتشاف معضلة الفهم والوعي بها^(٢)، ممّا يعني أن الاهتمام بالمتلقي كان حاضراً في تراثنا العربي.

ونظرية التلقي تُعنى بالفهم لا بالقراءة فحسب، فهي ترى أن الفهم عملية وظيفية؛ لأنه دال يسهم إسهاماً فعالاً في بناء المعنى، ومن ثمّ يصبح الفهم هو عملية بناء المعنى وإنتاجه، وليس الكشف عنه أو الانتهاء إليه، وبذلك يُعد المحمول اللساني مؤثراً واحداً من مؤثرات الفهم لا بد من تغذيته بمرجعيات ذاتية قائمة على فعل الفهم من قبل المتلقي^(٣)، فهي تؤمن بأنه يجب نبذ الشكل الواحد للمعنى، وتقويض مبدأ الإيمان بالملفوظ اللساني دليلاً وحيداً لبناء جمالية النص ومحاورة بنيته، وقد نبذت

(١) ينظر: بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية (الخطابة في القرن الأول أنموذجاً)، محمد العمري: ٣١.

(٢) ينظر: التلقي عند عبد القاهر الجرجاني: عبد العزيز جابا الله، محجوبة البفور: ١٣٥.

(٣) ينظر: المتلقي في الخطاب القرآني، بوفورمة حكيمة: ٣



الفصل الثالث: خصائص المتلقي والخطاب

كل ما هو محدد سلفاً، واهتمت بالحوارية التي تهدف إلى استقراء ما يحدث للقارئ وهو يتلقى النص، وكيف يصل بنفسه إلى حلقات المعرفة وطبقاتها^(١).

وهذا يعني أنّ التواصل يكون نتيجة تفاعل بين العناصر الثلاثة الفاعلة وهي المؤلف والنص والمتلقي، ويقوم ذلك بالجدل بين الثلاثة.

ولهذا نرى نظرية التلقي تقف خلفها رؤية جديدة في كشف سمات الإبداع والتفرد في النص، لا باستنطاق عمقه الفكري في حد ذاته أو وصف سيرورة تشكله الخارجي، وإنما يكون ذلك بطبيعة وقعه وشدة أثره في المتلقي^(٢)، فهذا التعلق والتواشج بين النص ومتلقيه علاقة توفيقية تجمع بين جمالية النص وجمالية تلقيه استناداً إلى استجابات المتلقي وردود فعله بوصفه عنصراً فعالاً وحيّاً يقوم بينه وبين النص الجماليّ تواصل وتفاعل فنيّ ينتج عنهما تأثير نفسيّ ودهشة انفعالية ثم تفسير وتأويل، فحكم جماليّ استناداً إلى موضوع جماليّ ذي علاقة بالوعي الجمعي^(٣)، فمحور هذه النظرية هو المتلقي للنصّ، فإن "كل نص سواء كان نصاً مقدساً أم نصاً دنيوياً، يكون محمولاً برغبة خلق القارئ الذي يتجه نحوه، هنا يكمن حلم أبعديته"^(٤)؛ وذلك لأن القارئ يتفاعل مع النصّ ويتواصل مع مبدعه.

عندما ننظر إلى نظرية التلقي نجد أن المتلقي عنصر مهم في عملية التواصل؛ إذ يكون هو الطرف الآخر الذي يوجّه إليه المتكلم خطاباً عمداً فهو مكّون أساسي في العملية التواصلية، فقيام التواصل مرتبط أساساً بوجود متلقي يتفاعل مع المتكلم، وبمعرفة للمتلقي تكون طريقة الخطاب، ويختار الاستراتيجية المناسبة له، التي تخلق تفاعلاً بين الخطاب والمتلقي، وهذا هو الذي يخلق التواصل بينهما.

(١) ينظر: المتلقي في الخطاب القرآني، بوفورمة حكيمة: ٤

(٢) ينظر: جمالية التلقي، افتراضات يابوس وأيزر، سميرة حدادي: ١٢٧، وجالية التلقي، من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، هانس روبيرت يابوس: ١٧

(٣) ينظر: النص وتفاعل المتلقي في الخطاب الأدبي عند المعري، حميد سمير: ١٤.

(٤) في معنى القراءة، قراءة في تلقي النصوص، الطائع الحدودي: ١١، ينظر: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي ظافر الشهري: ٤٥



ولا بد أن نشير إلى مسألة مهمة وهي إنَّ اللجوء إلى النظريات النقدية المعاصرة لقراءة القرآن الكريم وكشف عن إعجازه التواصلي، لا يعني أنها توصلنا إلى الإحاطة به معرفياً، والإمساك بكل ما يتضمنه من مقاصد وإجراءات، تقع في مفترق الطرق بين مطلقة القرآن الكريم ونسبية التلقي، ذلك أن اللغة القرآنية أكبر من قواعد اللغة الإنسانية جميعها وليس العربية فحسب، والمنهج القرآني أكبر من كل ضوابط المناهج الإنسانية، وكل ما تأتي به الدراسات الإنسانية في هذا المجال إنما هو تحديدات نسبية تساعد على الفهم، ولكنها لا تقنن المطلق، والقرآن في كماله المطلق لا يمكنه أن يحيط به علم إنساني محدود، والقرآن الكريم كلام الله تعالى وتطبيق النظريات عليه لا يعني إخضاعه لمقاييس وضعها البشر، فهذا ضرب من العنت، لأنه تعالى لا ينظر إلى الأشياء كنظرة البشر، ولا تدفعه العواطف وتقوده إلى القول، ولكنه سبحانه ابتدع في كتابه الكريم منطقاً كما ابتدع فنّه، وهو مع هذا لم يخرج عن المدارك البشرية نوقاً وفهماً، وإنَّ أعجزها محاكاته أو الإتيان بمثله^(١).

والحقيقة التي يؤمن بها الباحث وينطلق منها إنَّ نظرية التلقي "في خدمة النص القرآني وفتحت آفاقاً رحبة لصالحه، ومركزت قارئه مكانة لم تمنح له نظريات القراءة السابقة"^(٢)؛ فالقرآن الكريم أنزل ليستفيد منه الإنسان ليجند قدراته العقلية ليغترف من بحره الزاخر على قدر ما أوتي ذلك الإنسان من مرتبة علمية وهو ينسجم مع البسيط أو المعقد من المدركات العقلية للإنسان؛ لأنه أنزل للإنسان، وهذا ما نجده في قول فاطمة الزهراء (عليها السلام) في خطبة فدك: «لله فيكم عهد قدمه إليكم وبقية استخلفها عليكم كتاب الله بينة بصائرهما وأي منكشفة سرائرها وبرهان متجلية ظواهره مديم للبرية استماعه وقائداً إلى الرضوان اتباعه ومؤدياً إلى النجاة أشياعه فيه تبيان حجج الله المنيرة ومحارمه المحرمة وفضائله المدونة وجمله الكافية ورخصه الموهوبة وشرائطه المكتوبة وبياناته الجالية»^(٣)، نجد في قولها سلام الله

(١) ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن، التهامي نفرة: ٥٠٠.

(٢) جمالية التلقي في القرآن الكريم (أدبية الإيقاع الإعجازي نموذجاً)، شارف مزارى: ١٦٦.

(٣) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، المجلسي: ١٣/٨٩.



الفصل الثالث: خصائص المتلقي والخطاب

عليها أشار إلى أهمية المتلقي في فهم القرآن ولاستفادة مما جاء فيه، فلا يقتصر دوره على التلقي فقد؛ بل يتعداه للفهم والتفاعل والسير على الخطى التي رسمها القرآن له.

بعد بيان مفهوم ومرتكزات نظرية التلقي نقف عند الآليات القرآن الكريم التي نعتقد إنها موجّه للمتلقي لتخلق التواصل معه، وهي آليات تعتمد على السلم التصاعدي لقبول ما جاء به القرآن الكريم عن طريق الطرح الذي تبنيه من كسر أفق التوقع للمتلقي، واندماج أفق التوقع، التي تجعل للمتلقي حضور متفاعلاً في الإعجاز القرآني؛ إذ أن هذا التصور يؤول إلى حضور المتلقي، فهذه آليات إجرائية جعلت من القرآن الكريم خطاباً تواصلياً فضلاً عن تفرده في هذه الصورة لترتفع به إلى المستوى الإعجازي، والتواصل في القرآن الكريم ينكشف عن طريق سلطته التي يسعى عن طريقها إلى تحويل القارئ من موقف المنفعل إلى الفاعل، وهنا تكمن عظمة القرآن الكريم، إذ يفضي ذلك إلى تعدد أنواع كثيرة من القراءات التي سوف تدفع القارئ إلى الاعتماد عليها في مقاربة هذا النص المعجز؛ لذا يمكن القول: إنّ التواصل هو تلك الطاقة الإبداعية التي تجسدت في تأثير القرآن الكريم وتفاعل القارئ معه، ذلك التأثير والتفاعل الذي لا ينفك بل يبقى فعال متوهج مع حركة تاريخ البشرية، وتواصلية القرآن الكريم تنطوي على بعدين منفعل وفاعل في آن واحد، إنها عملية ذات وجهين أحدهما الأثر الذي يتركه في القارئ والآخر كيفية استقبال القارئ له؛ لأن القارئ يستجيب للنص بطرق مختلفة حيث يمكن الاكتفاء باستهلاكه أو نقده أو الإعجاب به أو رفضه أو تأويل مضمونه أو الالتذاذ بشكله أو تكرار تفسير مُسلم به أو محاولة تفسير جديد له، هكذا إذن تتكون السيرة التواصلية للنص، فبواسط كافة هذه الطرق المختلفة، يتشكل معنى العمل على نحو جديد باستمرار.



إنّ هناك آليات تعمل على إنتاج الإثارة ليتم جذب القارئ إلى القرآن الكريم، وهنا تبرز فعالية التواصل؛ لأن إحالة الخطاب على ذاته لا مرجعية سابقة أصبحت مسألة محسومة وإحدى ركائز جمالية التلقي؛ لأن العلاقة بين النص والمتلقي لم تظل مرتبطة بالعلائق المحيطة به؛ بل غدت ناتجة عن فعل القراءة، مما يفضي إلى تعددية في قراءة النص الواحد، وكل هذا يرجع بالأساس إلى الإيحاءات التي تنتج عن القراءة وبالتالي عن النص^(١)؛ لهذا فإن النص هو الذي يمدنا بالمؤثر المعين، والقارئ هو الذي يقوم باستكمال العملية، وهذا ما يجعل المتلقي يتفاعل مع النص، ويرتفع ذلك التفاعل عن المستوى العادي إلى مستوى الدهشة، ومن ثم التواصل مع النص، فكل ذلك كفيل بأحداث التواصل بين النص والمتلقي.

ولهذا ننوي استلهاً كلياً نظرية التلقي واستثمارها في الكشف عن تواصلية القرآن الكريم، وينبغي الاستفادة من هذا المعطى للوصول إلى الآليات التي تجعل القارئ يمثل موقعاً مميزاً، وليس من السهل ضبط الأساليب التي تؤثر في المتلقي، وذلك تبعاً لاختلاف المتلقين؛ لذا سوف أقنصر على مجموعة منها وهي:

- ١- كسر أفق التوقع.
- ٢- اندماج الأفق.
- ٣- الحذف السردي، فهذه الآليات تثير دهشة المتلقي وتفاجئه.

(١) ينظر: جمالية التلقي في القرآن الكريم، أدبية الإيقاع الإعجازي نموذجاً، شارف مزارى: ١٦٦، وينظر: من سلطة النص إلى سلطة القراءة، فاضل تامر: ٨٩.



المبحث الثاني: آليات القرآن الكريم وخلق التواصل

المطلب الاول: أفق التوقع والتواصل

إنّ أفق التوقع مفهوم يسمح للمتلقي بتحديد سمات النص؛ وذلك عن طريق نوع التأثير ودرجته^(١)، وقد يقصد به، أن القارئ ذو معرفة مكتسبة، عن طريق معرفته للنصوص وقواعدها الفنية التي تميّز جنساً أدبياً عن آخر، وأن الممارسة هي ما تزيده بهذه المعرفة، والإدراك لتوالي النصوص في الزمان إذ يكشف مباشرة الانحرافات التي تخرج عن السنن والتقاليد الفنية المعروفة^(٢)، في ضوء هذا التحديد لمعنى أفق التوقع "يكون العقل هو محور العملية التواصلية، بدلاً من الذوق، والوجدان، والنمطية المعهودة"^(٣)، وعُرف أيضاً بأنه مجموع القواعد السابقة لوجود النص وتوجه القارئ إلى الكيفية التي يتلقاها بها^(٤).

ولهذا ينبغي أن نتعرف على أهم الأنظمة المرجعية التي يقوم عليها أفق التوقع بحسب (ياوس) والتي تتألف من ثلاثة عوامل أساسية هي:

- ١- التجربة المسبقة التي يتوافر عليها الجمهور في مجال الجنس الذي ينتمي إليه الأثر.
- ٢- شكل الآثار السابقة وموضوعاتها، التي يفترض في العمل الجديد الإلمام بها.
- ٣- التعارض الحاصل بين اللغة الشعرية واللغة اليومية؛ أي التعارض بين العالم التخيلي والواقع اليومي^(٥)، وهذا ما نبّه عليه (ياوس) وأطلق عليه مفهوم (تغيير الأفق) أو بناء (الأفق الجديد) باكتساب وعي جديد والذي يدعوه بـ(المسافة الجمالية)؛ أي المسافة الفاصلة بين الانتظار الموجود سالفاً والعمل الجديد، حيث يمكن للمتلقي أن يؤدي إلى تغيير الأفق بالتعارض الموجود مع التجارب المعهودة،

(١) ينظر: جمالية التلقي، من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، هانس روبييرت ياوس: ١٢

(٢) ينظر: التلقي والتأويل بيان سلطة القارئ في الأدب، محمد عزام: ٩٧

(٣) من التلقي الجمالي إلى التلقي الاقناعي سورة يوسف (عَلَيْهِ السَّلَام) أنموذجاً: فالج عبد الله شلاهي: ٣

(٤) ينظر: مفهومات نظرية القراءة والتلقي، خالد علي مصطفى، ربي عبد الرضا عبد الرزاق: ١٦٧

(٥) ينظر: نظرية التلقي في النقد الادبي الحديث، أحمد بو حسن: ٢٩



حيث يخيب ظن المتلقي في مطابقة معاييره السابقة مع معايير العمل الجديد، وهذا هو الأفق الذي تتحرك في ضوئه الانحرافات أو الانزياح عما هو مألوف^(١). ما تقدم يؤسس للطريقة التي يتم بها ضبط الحوار بين المتلقي والنص؛ إذ تعدّ من أهم جوانب نظرية التواصل، وتتجسد هذه الطريقة في العلاقة الجدلية بين التوقع، اللاتوقع، فالتوقع هو انتظار يشوبه التمني، مثل درجة النجاح التي يتمنى المرء بلوغها في عمل ما، أما اللاتوقع فهو كسر لهذا الانتظار وخيبة تواجه عملية التوقع، وفي هذه الحالة يكون القارئ أمام ثلاث حالات:

الحالة الأولى: إذ لم يخيب النص أفق التوقع ويأتي كما توقع القارئ، عندئذ لا جده فيه ولا يخلق تواصل.

الحالة الثانية: أن يكسر أفق التوقع لدى المتلقي بشكل سلبي، عندما يكون أقل مما يتوقع، وبهذه الحالة يكون النص ليس له قيمة جمالية.

الحالة الثالثة: أن يكسر أفق التوقع عند المتلقي بشكل إيجابي، فيكون أعلى مما يتوقع المتلقي، وهذه هي خاصية النصوص المبدعة^(٢).

وبهذا يكون غير المتوقع الذي يكسر الأفق بشكل إيجابي هو الذي يفاجئ المتلقي ويخلق التواصل معه، فهذا يدفع المتلقي لاستبصار مكونات النص؛ لأن كسر التوقع جاء نتيجة للطارئ غير المألوف، وليس للعادي المألوف الذي يتوقعه المتلقي؛ لأن النفس "إذا أنست بالمعتاد فربما قل تأثرها له، وغير المعتاد يفجؤها، بما لم يكن به له استئناس قط"^(٣).

ويظهر مما تقدّم أنّ أهمية النص لا تأتي من كونه نصاً إخبارياً ينقل إلينا معلومات، أو يتحدث عن أمور معروفة أو عادية، وإن كان بأساليب أدبية مبتدعة وجديدة؛ وإنما تنبع أهميته وفرادته في إثارة المتلقي من جهة النص وجعله متفاعلاً

(١) ينظر: نظرية التلقي أصول وتطبيقات، بشرى موسى صالح: ٤٦

(٢) ينظر: الاعلامية في الخطاب القرآني، زهراء البرقعوي: ٦٨

(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني: ٩٦.



معهم ويستلهم منه أشياء جديدة، تكسر توقعه وتخلق تواصلًا معه، وهذا ما تفرد به القرآن الكريم وهو سمة بارزة فيه، فالقرآن الكريم لم يكن نصًا عاديًا من جميع الجهات من ناحية الشكل البنائي فقط، بل تفرد كذلك بمفاهيم وقيم خاصة به، فكل ذلك كان بمستوى الإثارة للمتلقي، وهذا ما جعله يكون نصًا تواصلياً لا يدانيه نص بهذه الخصيصة، التي تصل إلى مستوى الإعجاز؛ إذ تحدى الله تعالى جميع البشر على أن يأتوا بمثل القرآن الكريم الذي خرق قوانين الخطاب؛ إذ لم يدانيه خطاب بما أحدثه من تأثير وجعل المتلقي يتفاعل معه.

ويقع تحت أفق التوقع مقاربتين هما: كسر أفق التوقع، واندماج الأفق، والذي أريد أن أوضحه عن طريق بعض النماذج التطبيقية التي تُبين أن القرآن الكريم يحمل في طياته إعطاء قدرة للمتلقي على تعديل شروط الاستجابة والتواصل، وهذا ما أشار إليه (آيزر) عندما عدّ العلاقة بين النص والمتلقي ستتغير جذرياً^(١)، وذلك عندما يكون النص قادرًا على تعديل شروط الاستجابة والتواصل، وقد تتفرد هذه القدرة فلا تدانى ولا يستطيع الخلق كلهم الوصول إليها، أي يعجزون عن ذلك، وبهذا يكون النص معجزًا، ولم يصل إلى هذا المستوى غير القرآن الكريم؛ فقد خلق النص القرآني حالة الانبهار في وعي المتلقي له.

وهنا تبرز الملاءمة المنهجية الكبرى لمفهوم (المسافة الجمالية) التي تسمح بتصوّر ردود فعل ثلاثة ممكنة تجاه النص^(٢):

١- فإذا حصل تطابق تام بين أفق المتكلم وأفق المتلقي، فسيغمر هذا الأخير شعور بالرضا والارتياح؛ لأن الخطاب لبي توقعاته وانسجم مع تصوره للإبداع، وفي هذه الحالة يكون أثره فيه واهناً أو سلبياً، ثم تكون نسبة الابتكار والجودة فيه ضئيلة أو منعدمة.

(١) ينظر: نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، عبد الناصر حسن محمد: ١٢٨

(٢) جالية التلقي، من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، هانس روبرت يابوس: ١٥



٢- قد يسعى المتكلم إلى استدراج المتلقي إلى أفقه الخاص، بحيث يحاول مثلاً تطويع خطابه للتعبير عن عقيدة دينية معينة أو تسخيرها لخدمة إيديولوجية ما، فهنا سيعتريه الخيبة، وبالتالي سيُحبطُ أفق توقعه.

٣- أن يكون المتلقي مرناً، بحيث لا يؤمن وثوق الأنساق وحتمية المعايير، فإنه سينخرط لا محالة في أفق هذا المتكلم الخاص الذي سيجعله يعيد النظر في تصوره السابق، بل يضع رؤيته للعالم نفسها موضع سؤال هنا يكون النص قد أصاب هدفه في الصميم وراهن على تعديل آفاق توقع قرائه.

وربط نقاد نظرية التلقي وعلى رأسهم (ياوس) قيمة النص وفنيته العالية بمدى انطوائه على انزياحات تتصادم مع معايير القارئ، وتعديله لأفق توقعاته، فلا يؤدي النص وظيفته إلا بوصفه سلباً للمعايير - كما يرى (آيزر)- والأدب سيصبح فارغاً إذا اقتصر على (المألوف من قبل)، وهو يعتقد أن المنطقة المألوفة مهمة لا لشيء إلا لأن من شأنها أن تقود إلى اتجاه غير مألوف^(١).

وهذا هو تغيير لأفق التوقعات التي يطلق عليها (آيزر) (وجهة نظر الجواله)^(٢)، وهي "تتيح للقارئ أن يسافر عبر النص.. كاشفاً بذلك كثرة المنظورات التي يترابط بعضها مع بعض، والتي تعدل كلما حدث انتقال من واحد منها إلى الآخر"^(٣)، وعن طريق هذا الانتقال وهذا الكشف تتم عملية التواصل بين النص والمتلقي، وذلك عن طريق التفاعل الذي يصل إلى مستويات تتجاوز القراءة السطحية؛ لكون عملية التواصل تعتمد على التفاعل والتأثير بين النص والمتلقي، وحسن استقباله للإشارات النصية التي توجهه وتتحكم في نشاطه.

كما أن نظريات النقد الجديدة تُقدر القيمة الجمالية للنص بتحديد نوعية آثاره في القراء وشدهم إليه، فكلما كان أثره قوياً، أي بقدر انزياح النص عن معايير القارئ وتعديله لأفق توقعه، كان هذا النص ذا قيمة عالية، فالمسافة الجمالية بين أفق النص

(١) ينظر: نظرية التلقي، مقدمة نقدية، روبرت هلوب: ٢٣١

(٢) ينظر: نظرية التلقي، خلفياتها الإستمولوجية وعلاقتها بنظريات الاتصال، غنيمه كولوقلي: ٢١٥

(٣) المصدر نفسه: ٢١٥



وأفق المتلقي هي خير ما يمكن الاحتكام إليه لتحديد جمالية النص، وتفردته عن باقي النصوص.

ولذا تعتمد عملية التواصل بين النص والمتلقي على مشاركة المتلقي، وحسن تلقيه للإشارات النصية التي تقود خطاه، وتتحكم في نشاطه لتجنب الشطحات التأويلية، وعدم انطاق النص بما لم يقله، فالقراءة نشاط موجه من طرف النص ويتعمق التواصل، عندما يرصد القارئ في بنية النص إجراء أسلوبياً غير منتظر، أو مقابلات دلالية غير متوقعة، أو مفاجأة سياقية، أو عندما يفرز ظاهرة إمساك النص عن معلومات وعدم مباشرته في إعطاء مسوغات هذا الإخفاء بشكل جاهزة أو عندما يلحظ استمرار النص في السير باتجاه ثم تحويل ذلك الاتجاه فجأة نحو مسار آخر ليكسر أفق توقعه^(١)؛ لأن المتلقي يرصد المستويات الأسلوبية المتنوعة، وتحديد هذه للبنى المسكوت عنها، وإبراز متعلقاتها الدلالية، وتعامله مع مساحات الصمت في أجزاء النص، وبحثه عن إشعاعاته الفكرية والمعرفية والفنية والأدائية يؤدي إلى تحقيق التواصل بين المتلقي والنص، فالتضمينات النصية المتمثلة في بنى الحذف، والبنى المسكوت عنها، ومساحات الصمت؛ تعطي الشكل والثقل للمعنى، فهذه البنى هي التي تبرز قيمة الذكر، فمع انبعاث، وإظهار ما لم يقل داخل النص، فإن ما قيل يبرز في النص، ويأخذ أبعاده الدلالية الكاملة^(٢)، لأن "ما يصمت النص بشأنه هو الذي يحرض القارئ على فعل البناء والتشكيل، ويكون هذا التحفيز على الإنتاج مُراقباً بما يقوله النص"^(٣).

وهذا التدخل من قبل القارئ مقصود من قبل منشأ النص، فهو من اختار جعل تلك المساحات البيضاء في النص ليكون دور للقارئ في ملئ تلك البياضات، وهذا ما يخلق تفاعلاً بين القارئ والنص، والأمر الآخر هو أن هذه آلية التي اعتمدها النص

(١) ينظر: جماليات الأسلوب والتلقي، موسى رابعة: ١٢٩.

(٢) ينظر: فعل القراءة، (نظرية في الاستجابة الجمالية)، فولفجانج إيزر: ٩٤.

(٣) من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، عبد الكريم شرفي، منشورات الاختلاف، ٢٠٠٧م: ٢٢١.



الفصل الثالث: خصائص المتلقي والخطاب

تجعل القارئ دائماً مراقباً لما يقوله النص، وهذا الأمر يخلق كذلك تفاعل مع النص، وهو ما يجعله بمستوى عالي من التواصل.

فإذا عرفنا التواصل بأنه هو حصيلة تلاقي النص ومتلقيه، وبأنه بنية دينامية لا يمكن إدراكها إلا ضمن تفاعلاتها التاريخية التعاقبية، لهذا فالنص يتضمن فضاءات تجعل المتلقي يتواصل معه، وذلك عن طريق التفاعل معه، ونتناول ذلك في أثناء ذلك في محطات ثلاث: هي كسر أفق التوقع، واندماج أفق التوقع، والمسكوت عن (عناصر اللاتحديد)؛ إذ كسر أفق التوقع واندماج الأفق والمسكوت عنه آليات مسخرة لتحريك المتلقي وشده نحو النص، والتواصل معه لتحقيق المبتغى المنشود، وهو ما يثبت الإعجاز التواصلية في القرآن الكريم.



المطلب الثاني: كسر أفق التوقع

المقصود من كسر أفق التوقع: هو خرق القواعد المحددة التي كان من المتوقع أن يسير عليها المتكلم في خطابه في الجانب الشكلي للخطاب، وفي جانب المضمون؛ فإن النص ومقاصد المتكلم محكوم بقواعد محددة يسير عليها المتكلم، ويتفاعل معها المتلقي، لكن قد يخرق المتكلم تلك القواعد، فيلزم من المتلقي فهم القصد الحقيقي من وراء هذا الخرق^(١)، لذلك يعدّ كسر أفق التوقع إجراءً تواصلياً للنص مع المتلقي؛ لأن النص جعل المتلقي تحت تأثيره، فكلما كان أثر كسر أفق التوقع قوياً، كان النص ذا قيمة عالية^(٢).

وهذا ما نجده في القرآن الكريم من خروجاً عن المؤلف، ما هو إلا مظهر من مظاهر الإعجاز التواصلي، وتواصلية القرآن الكريم تكمن في أحد صورها في اللامتوقع؛ لأن ذلك يعمل على إثارة المتلقي ومفاجأته، ليحقق بذلك التواصل معه، وهذا اللامتوقع الذي جاء به القرآن يبدأ من الشكل التركيبي والبنائي له، وما جاء به من قيم ومفاهيم، وبالخصوص لمعارضتي القرآن الذين تحداهم فقد كانوا حيارى تجاه ما جاء به القرآن وهذه الحيرة وصلت بهم إلى العجز الذي جعلهم يبتعدون عن المواجهة بالقول إلى المواجهة المسلحة.

وهذا ما قررته نظرية التلقي إذ يرى (ياوس) أن "التعارض بين ما يقدمه النص، وبين ما يتوقعه القارئ"^(٣)، هو السبب في إثارة المتلقي وجعله يتفاعل مع النص، وهذه الرؤية قائمة على أن المسافة الجمالية بين النص والمتلقي تتحدد بناء على نوع التأثير الذي يحدثه النص في المتلقي ودرجة ذلك التأثير، وبهذا يكون كسر أفق التوقع هو ما يسمح للمتلقي بتحديد سمات النص.

(١) ينظر: القراءة الحداثية للنص القرآني في ضوء تحليل الخطاب، حكيم سلمان كريدي: ٥٤

(٢) ينظر: جالية التلقي، من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، هانس روبرت ياوس: ١٢

(٣) جماليات الأسلوب والتلقي، موسى رابعة: ٢٢١



إنّ كسر أفق التوقع خير ما يمكن الاحتكام إليه في تحديد القيمة الجمالية للأدب، بحيث أضحى مدى انزياح النص عن معايير المتلقي مقياس للقيمة الجمالية، فكلما كان أثر كسر أفق التوقع كبيراً، كان هذا النص ذا قيمة فنية عالية، هذا الأمر دعا (ريفاتير) بأن يربط السياق الأسلوبي بالأبعاد غير المتوقعة داخل النص، فهو يرى أنّ السياق الأسلوبي هو "نموذج منكسر بعنصر غير متوقّع"^(١).

ويقوم هذا العرض على أن التواصل بين النص والمتلقي يحدث عندما يكسر النص أفق توقع المتلقي؛ لأنّ المتلقي عندما يواجه تصادمًا مع موقفه، وتعارض مع وعيه، وخبرته، وعندما تتخلل افتراضاته وتوقعاته، وهذا يخلق عنده تفاعلاً مع النص وهذا التفاعل كفيل بخلق تواصل لديه.

وفي الفكر العربي نجد صدّي لهذا العرض وإن كان بغير هذا المسمى فالمفاهيم التي استعملت مقارنة لهذا المفهوم التعجب والاستغراب، فقد أشار حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) إلى أهمية التعجب والاستغراب، وربطه بالبعد النفسي لمتلقي الخطاب، وعده طريقاً لإثارة المتلقي نفسياً وذهنياً، إذ قال: "إنّ الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوي انفعالها وتأثرها"^(٢).

ويقرر عبد القاهر الجرجاني أنّ "التباعد بين الشئيين كلما كان أشدّ، كانت إلى النفوس أعجب، وكانت النفوس لها أطرب، وكان مكانها إلى أن تُحدث الأريحية أقرب"^(٣)، فالنفوس تتعلق بالصور؛ إذ "إنّ الشيء إذا ظهر من مكان لم يُعهد ظهوره منه، وخرج من موضع ليس بمعدنٍ له، كانت صَبَابَةُ النفوس به أكثر، وكان بالشَّغَف منها أجدر، فسواء في إثارة التَّعْجُب، وإخراجك إلى روعة المستغرب، وُجودك الشيء من مكان ليس من أمكنته، ووجود شيء لم يُوجَد ولم يُعرَف من أصله في ذاته وصفته"^(٤)، وذكر الجاحظ أنّ للمفاجئة والجدة والتعجب أهمية في خلق اللذة عند

(١) ينظر: علم الأسلوب ومبادئه وإجراءاته، صلاح فضل: ١٩٤-١٩٥.

(٢) منهاج البلاغة، القرطاجني: ٧١.

(٣) أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني: ١٣١.

(٤) المصدر نفسه والصفحة.



المتلقي^(١)؛ إذ يرى أنّ الشيء إذا كان "من غير معدنه أغرب وكلما كان أغرب كان أبعد في الوهم، وكلما كان أبعد في الوهم كان أظرف، وكلما كان أظرف كان أعجب، وكلما كان أعجب كان أبدع"^(٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾^(٣)، وقال رسول الله الله (ﷺ) في وصف القرآن الكريم: «لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائب»^(٤)، ما ذكرته الآية المباركة والحديث الشريف يؤكد ما جاء في القرآن الكريم من غرابة تُدهش المتلقي وتجعله يتواصل مع القرآن الكريم.

يتبين للباحث أنّ هناك علاقة عكسية بين التوقع والمفاجأة التي يحدثها غير المتوقع؛ إذ كلما زادت نسبة التوقع قلت نسبة المفاجأة ومن ثمّ نسبة التواصل؛ فالمفاجأة والدهشة لهما القدرة على إثارة المتلقي وجذبه نحو النص وتشويقه، بل حتى إشراكه في فعاليات النص، وبهذا تكون للنص سلطة على القارئ تدفعه إلى بناء علاقة تفاعلية مع النص، إذ يقوم القارئ بالبحث عن رؤية النص ومقاصده ودلالاته العميقة، بعد تلك الدهشة والمفاجأة التي حصلت له، وبهذا يشعر القارئ أنه أمام نص غير عادي، لذا يتجاوز القراءة السطحية للنص محاولاً القراءة العميقة له، وهذا ما إنماز به القرآن الكريم وتفرد به وتحدى به واثبت إعجازه التواصلية؛ إذ المتلقي ينظر إلى القرآن الكريم من منظور فكره الخاص، فهو لن يقدر على إدراك مقاصده كما ينبغي، لذا يحدث كسر إلى أفق توقعه، وهذا ما يدفعه للتفاعل معه وترتيب الاثر على ذلك، فهذا الأسلوب يؤدي إلى إثارة المتلقي تحت تأثير قضايا غير متوقع، فتدفع المتلقي للتفاعل مع القرآن الكريم، والنتيجة يتحقق التواصل بينه وبين المتلقي، وهذا التواصل بمستوى مرتفع جداً يصل إلى حدّ التحدي؛ إذ لم ولن يقدر عليه أحد من البشر، وبهذا يتبين إعجاز القرآن الكريم التواصلية.

(١) ينظر: استقبال النص عند العرب، محمد المبارك: ٢٠

(٢) البيان والتبيين، الجاحظ: ١/ ٨٩-٩٠

(٣) سورة الجن: الآية ١

(٤) الكافي، الكليني: ٥٩٩/٢



ومما جاء في القرآن الكريم في كسر أفق التوقع، في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(١).

تشير الآية المباركة إلى كسر أفق التوقع عند مشركي مكة عند اختيار الله تبارك وتعالى النبي محمد (ﷺ) ليكون هو الحامل لرسالة السماء؛ فقد توقع أهل مكة إنّ الاختيار ينبغي إنّ يقع على رجل عظيم منهم، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم، إنّ التوقع الذي كان قاراً في أذهان مشركي مكة وفي أطر منظومتهم الفكرية إنّ هناك مؤهلات عند غيره تأهله ليكون نبياً وحاملاً رسالة السماء؛ لذا توقعوا أنّ المرسل ينبغي أنّ يكون رجلاً عظيماً، وأرادوا من العظيم؛ أي بالجاه والمال، أي يكون له الصدارة والرئاسة الدنيوية فهم يعتقدون إنّ هذا الأمر لا يكون إلا لرجل يحمل تلك الصفة^(٢)، وقد كسر القرآن الكريم أفق توقعهم عندما اختار الله محمداً (ﷺ) لهذا المنصب فرفع الله شأنه من جانبين، الأول توجيه الخطاب للنبي محمد (ﷺ)، والآخر إنكار قولهم، وكسر أفقهم، ولا يتعلق ذلك فقط بأهل مكة وحدهم فهذا حال المجتمعات المادية والمذاهب النفعية غالباً ما تتوهم بأنّ الفقر والثروة هما دليل الذلة والعزة^(٣).

وقد خلق الخطاب القرآني تواملاً مع المخالفين للقرآن الكريم والمعارضين له؛ وذلك بجعلهم يتفاعلون من الخطاب عندما جعلهم حيارى من هذا الاختيار الذي لم يكن يتوقعوه، فضلاً عن ذلك فإن القرآن الكريم في هذا الموضع لا يُريد الإخبار عن حال المتلقي للرسالة وإنما يُريد بيان حقيقة متجذرة في المجتمعات، وهذا ما نجده في اعتراض قوم صالح (عليه السلام) عندما "يتساءلون: إذا أريد نزول الوحي على إنسان، فلماذا اختصّ بصالح (عليه السلام) من بيننا، مع وجود الشخصيات الأكثر مآلاً والأقوى

(١) سورة الزخرف: الآية ٣١

(٢) محاسن التأويل، القاسمي: ٣٨٧ / ٨، ينظر: الكشاف، الزمخشري: ٢٥٢ / ٤.

(٣) ينظر: الأمثل، مكارم الشيرازي: ٢٧٨ / ٩.



اعتباراً: ﴿أَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾^(١)؛ فهذا الآية تشير إلى كسر أفق توقع قوم نبي الله صالح (عليه السلام).

فعن طريق اختيار النبي محمد (ﷺ) للنبوة كسر القرآن الكريم أفق توقع التلقي (كفار قريش)، فعند ذلك خاب ما كان يتوقعون، ويمكن عدّ ذلك صورة من صور الإعجاز التواصلية؛ إذ إنّ الإعجاز التواصلية هنا قام بخلق تفاعل عن طريق جعل تلك الأقسام تتسأل عن مواصفات جديد يقوم عليها اختيار النبي وليس كما تعتقد تلك الأقسام، ولا قيمة لمواصفاتهم في ذلك الاختيار.

وهذا هو الإشكال الذي تورده جميع الأقسام الضالّة على أنبيائها بأنهم أشخاص مثلهم؛ لذا لا يمكن أن يكونوا أنبياء إلهيين، وله أمثله كثيرة في القرآن الكريم، هذا في ما يتعلق بالمضمون، الذي جاء في القرآن وخلق تواصلاً معه عن طريق كسر أفق التوقع، وهذا التواصل ليس بمستوى عادي، بل بمستوى معجز؛ لأن المعارضين وقفوا حيارى إزاء ذلك، هذه المخالفة للتوقع عند المشركين، زاد اليقين عند المؤمنين لأنّها جاءت موافقة لتوقعهم وفكرهم السليم فزاد تفاعلهم مع القرآن الكريم، وإيمانهم به، وشغفهم للتزود منه، والحرص على تطبيقه عملياً، بينما كان كسر توقع المعارضين ضربة قوية لهم أثارت حماس المؤمنين، وبهذا كان التفاعل بين المتلقي والقرآن من جبهتين المعارضة والمؤمنة، هذا في ما يتعلق بالمضامين والقيم التي جاء بها القرآن وهي كثيرة لا يسع المقام الوقوف عليه.

أما ما يتعلق في شكل النص أو بنيته الظاهرية فيمكن القول: إنّ مجيء القرآن الكريم على نحو مخصوص من النظم والتأليف لم تعهده العرب في نصوصها أحدث اضطراباً في صميم أفق التلقي، وأدى إلى زحزحة تقاليده وقناعاته الراسخة؛ فحصلت في أول الأمر حيرة كبيرة في عجز طائفة من المتلقين عن إيجاد (التجنيس) الملائم للنص الجديد؛ إذ أراد بعضهم ردّه إلى الشعر، وأراد بعضهم الآخر ردّه إما

(١) سورة القمر: الآية ٢٥

(٢) الأمتل، مكارم الشيرازي: ٣٢٥ / ١٧.



إلى السحر أو إلى سجع الكهان أو إلى غيرهما، فقد استعصى على العرب، استناداً إلى أجناسها النصية السائدة، "إيجاد خانة تصنيفية يمكن أن يندرج تحتها القرآن؛ فالخانات المعروفة لم تسعف في الانطباق عليه؛ لأنها اصطدمت بنص مغاير لضوابطها ومخالف لمواضعاتها، وهو ما ترتب عليه إقرار بخصوصية النص الجديد، واعتبار مواضعاته النوعية خارجة عن كل إمكان للمطابقة بينها وبين المواضع النصية القائمة"^(١).

إنّ هذا الأمر حيّر العرب وأصابهم بالدهشة والذهول إزاء ما جاء عليه النص القرآني من جنس أدبي مغاير لما عرفوه من أجناس، وهذا لا يعني أن الشكل الخارجي فقط هو ما أثار المتلقي العربي للتفاعل مع القرآن الكرام، وإنما التناسق بين الشكل والمضمون، فلم يكن من السهل القول في السبب الذي جعل الدهشة والاستغراب تحيط بالمتلقي، وأقوى دليل على ذلك قصة الوليد بن المغيرة مع قريش دالة بقوة على مدى انحسار أفق التلقي، وعجزه عن الإتيان بشكل تجنيسي ملائم للنص الجديد؛ ذلك أنه بعد أن استنفد فيه اختيار نجاعة مجمل أشكال التجنيس السائدة بدا كما لو أن ذلك الأفق أضحى يعيش في صميمه حالة من التأزم والانحسار^(٢).

إنّ ذلك يكشف عن كسر أفق التوقع لدى مشرقي قريش في عدم اندماج النص مع أفق توقعهم وذلك بمخالفة هذا النص لأي جنس أدبي كان سائد آنذاك، فلقد "أحدث القرآن شبه قطيعة مع تلك الممارسة الأدبية التي طفحت على سطح الذهنية العربية وقتئذ"^(٣).

ويظهر للباحث أنّ العرب، وغيرهم عندما طالعوا القرآن الكريم أصيبوا بالدهشة، ثم التفاعل معه، فقد وجدوا أنفسهم أمام نصّ مختلف على جميع الأصعدة يكسر أفق توقعاتهم، عن طريق تغييرات وتعديلات أجراها القرآن الكريم على مبادئ

(١) النص وآليات الفهم في علوم القرآن دراسة في ضوء التأويلات المعاصرة، محمد الحريش: ٢٢٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢٣.

(٣) جمالية التلقي في القرآن الكريم أدبية الإيقاع الإعجازي نموذجاً، شارف مرآزي: ٧.



ومفاهيم وقيم ترسم مسارًا جديدًا، وانزياحاً على سنن سابقة عليه، وبذلك يخلق القرآن تفرده وإعجازه التواصلية.

ويكمن وراء كسر أفق التوقع عرض ما هو جديد، ولا تقتصر هذه الجدة على الشكل أو القالب البنيوي للخطاب كما ترى بعض أطروحات الإعجاز القرآني في أنّ إعجاز القرآن بأسلوبه الأدبي الجديد، إذ ليست الجدة مقولة جمالية فحسب، فهي لا تستنفذ أثر عوامل مثل الإبداع والدهشة المتزايدة، إنما تصبح أيضاً مقولة تاريخية تجعل المتلقي حقاً يُؤرّ بجدّة ظاهرة أدبية ما^(١).

إنّ هذه صورة من صور لإعجاز التواصلية القائم على كسر أفق التوقع لدى المتلقي، ليس في زمن النزول فحسب، بل هذه الصورة تتناسب طردياً مع الأطر الفكرية والمعرفية السائدة في عصر نزول القرآن الكريم، وفي العصور التالية له؛ لأن النص باقٍ على وتيرة واحدة في كسر أفق التوقع للمتلقين الماضين والحاضرين وفي المستقبل؛ إذ أن مضامين القرآن الكريم، وبنيته التركيبية لن يستطيع البشر كل البشر أن يأتوا بمثله، وهذا ما يثبتته التاريخ الطويل للبشرية؛ فمنذ نزول القرآن الكريم إلى يومنا هذا الأمر لا يمكن إنكاره، هذا فضلاً عن إثبات ذلك وجداناً.

وهذا التواصل قائم على كسر أفق التوقع ومفاجئة المتلقي ودهشته؛ لأن قيمة التواصل ليس بالمعلومات التي يُعطيها النص للمتلقي فقط؛ بل بما يحدثه من شدّ المتلقي، وجذب انتباهه والسيطرة عليه.

ولا يقتصر كسر أفق التوقع في القرآن الكريم على الإنسان فقط، بل تعداه إلى غيره من المخلوقات، وهذا ما نجده في سورة الجن في ما حكاه الله تبارك وتعالى عنهم، قال تعالى: ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾^(٢)، لقد قامت هذه الآية بإثبات صورة تواصلية كان حاصلها دهشة المتلقي وعجزه عن التحدي.

(١) ينظر: جالية التلقي، من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، هانس روبييرت يابوس: ٧٦

(٢) سورة الجن: الآية ١



إنّ هذه الآية تضع المتلقي في حالة انفعالية؛ إذ كانت لدى الجن من قبل توقعات منتظرة، وقد تغيرت بمجرد سماعهم لتلك الآيات، وهذا ما يسمى بتغيير أفق الانتظار، مما يدل على أن النص القرآني يحمل في طياته قدرة المتلقي على تعديل شروط الاستجابة والتواصل، إنّ هذه الآية تبين شهادة كائن آخر بإعجاز القرآن التواصلي، وفي هذا الأمر حقيقتان:

الحقيقة الأولى: وهي الأهم؛ لأنها تثبت إعجاز القرآن التواصلي، القائم على التفاعل بين الخطاب القرآني والمتلقي له بغض النظر عن جنس هذا المتلقي؛ بل يتعدى حدود الجنس البشري، إنّ هذه الآيات تبين تلقي الجن للخطاب القرآني وقد أصابهم الدهول؛ إذ إنّ الجن عندما سمعوا القرآن الكريم أصابتهم الدهشة للوهلة الأولى، لكن مع ذلك استطاعوا فكّ شفرة الكلام الذي تلقوه، فقد وضع الخطاب القرآني المتلقي في حالة انفعالية؛ إذ كان للجنّ لهم توقع، لكنه تغير بعد سماع الخطاب القرآني، فأصابهم العجب والاستغراب ممّا جاء في القرآن الكريم، فلم يلبث فريق منهم بعد ذلك إلا ترتيب الأثر على هذا التفاعل وهو الإيمان بالقرآن الكريم، فقد أثبتت هذه الآيات صورة تواصلية كان سببها دهشة المتلقي وذهوله وعجزه عن التحدي في آن واحد، فالإعجاز من جانبيين جانب الإيمان بالقرآن الكريم، وجانب العجز عن تحديه.

وهذا يؤكد أنّ النص القرآني قادر على تعديل شروط التواصل والاستجابة، وهذا ما أشار إليه الدراسات اللغوية الحديثة عندما عدّت العلاقة بين النص والمتلقي ستتغيّر جذرياً عندما يجد المتلقي في النص ما يثيره ويجعله يتفاعل معه^(١).

الحقيقة الثانية: الرد على معتقد العرب وهو أنّ النبي محمد (ﷺ) كان يتلقى القرآن الكريم من الجن، وهذا الأمر كان سائداً عند العرب في ذلك العصر؛ إذ يعتقدون أنّ الجن قد تُلقِي القول إلى بعض الشعراء ولا سيّما الشعر الذي يمتاز بالجودة، فكانت هذه الآيات تمثل كسر الأفق ما كانوا يؤمنون به، وهذا ما يدخل في

(١) ينظر: نظرية التوصليل وقراءة النص الأدبي، عبد الناصر حسن محمد: ١٢٨



خيبة آفق التوقع لدى المخاطب، إنّ هذه الصورة التواصلية ثبتت عن طريقها إعجاز القرآن للجن ومن ثم وقف مشركي مكة منها حيارى.

وبناء على ما تقدم يمكن القول إنّ القرآن الكريم كان له أثر حاسم في ميلاد آفق جديد للتلقي، ومن ثمّ أفول الأفق القديم، لقد تم الاعتراف بخصوصية القرآن الكريم، وكُسرت آفق توقعات المتلقين في النظر إلى النصوص وتبدلت أحكامهم واعتقاداتهم المتداولة بشأنها، لذلك تراجعت الحظوة التي كان يمتاز بها الشعر قبل مجيء القرآن الكريم، ولم تعد تلك النصوص الشعرية والنثرية لها الهيمنة على آفق التلقي، فضلاً عن توجيه القيم الفكرية والعادات الجمالية التي أسسها القرآن؛ فالهيمنة آلت إلى النص الجديد، لذا أكتسب النص القرآني فرادته، لا لأنه غير منسجم مع النصوص السابقة عليه، وإنما؛ لأنه "يعلوه على كل صيرورة يؤول بمقتضاها إلى (مثال) لنصوص أخرى لاحقة تسعى إلى مضاهاته والنسج على منواله؛ فهويته الإعجازية نابعة إذن من هذا التقويض الجذري لفكرة المثال؛ إذ لا هو بالنص المنسوج على مثال سبق، ولا هو بمثال ممكن لغيره من النصوص المحتملة"^(١)، لذلك يقول الباقلاني: "فأما نهج القرآن ونظمه، وتأليفه ووصفه، فإن العقول تننيه في جهته، وتحار في بحره، وتضل دون وصفه"^(٢).

إنّ هذا القول يدل على كسر آفق التوقع واندماجه في آن واحد لدى متلقي القرآن الكريم، وهذه هي صورة الإعجاز التواصلية؛ فالقرآن وإن جاء على وفق اللسان العربي؛ إلا أنّه تفرد بسمات أخرجته من معايير واقعه اللغوي، وأخذت به الجدة والفرادة، عن طريق كسر توقع القارئ ومفاجأته وبهذا ثبت إعجازه التواصلية.

إنّ القرآن الكريم بفرادته التواصلية أسس لمصدريته الإلهية بعدما كسر آفق التلقي عند العرب، وغيرهم، فالنص الجديد فاق إبداع النصوص القديمة التي كانت متسيدة كالشعر والخطابة، فوصل القرآن إلى مرتبة لا يمكن أن تضاهي ولا أن تنال،

(١) النص وآليات الفهم في علوم القرآن، محمد الحريش: ٢٢٦

(٢) إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني محمد بن: ٧٩.



وهي المرتبة التي تحدى بها الله تعالى جميع الخلق، إنَّ هذا الإبداع الجديد جعل القرآن الكريم محل إثارة لكل متلقي، وهذا هو التواصل الذي اضحى أبهى وأجلى صور الإعجاز القرآني، وعليه "فالقرآن الكريم، بوصفه نظامًا أسلوبياً تشكّل داخل نظام اللغة العربية وتجاوزها في آن واحد، فله من الفريدة والتميز ما يجعله لغة مخصوصة لا نظير لها، يخرق القاعدة أو المعيار ويعدل عنه، مؤسسًا نظامه الخاص الذي به يتجدد فهما وتأويلاً"^(١).

ويظهر مما تقدم أنّ القرآن الكريم لا يمكن التعاطي معه أو فهمه إلا عن طريق سمته الإعجازية، وهي سمة قائمة على الإبداع، بناء على آليات منها كسر أفق التوقع؛ إذ كسر التوقع في القرآن الكريم يرتبط بالصراع الذي يعكس التوتر القائم بين الخطاب الوضعي والخطاب السماوي، والجدل الحاصل بينهما وما ينتاب ذلك من حوارات ومناوشات ومد وجزر، ومن ثم يعلو الخطاب السماوي - القرآن الكريم- ويتفرد ويتحدى الخطاب الوضعي - البشري- الذي عجز على الوصول إلى القرآن الكريم، وبهذا العجز وعدم القدرة أنكشف إعجاز للقرآن الكريم.

(١) الهرمنيوطيقيا والفلسفة نحو مشروع عقلي تأويلي، عبد الغني بارة: ٤٣٤-٤٣٥.



المطلب الثالث: اندماج أفق التوقع

اندماج الأفق أو انصهار الأفق المقصود منه، الحالة التي يحدث فيها انصهار الأفق بين الماضي والحاضر^(١)، ويحتل اندماج أفق التوقع أهمية بالغة في عملية التواصل؛ لأن عملية التلقي ليست اعتباطية كما أنها ليست ذاتية أو انطباعية تماماً؛ إنّما التلقي هو عملية تنفيذ تعليمات معينة في إطار عملية إدراك موجّهة يمكن فهمها عن طريق فهم البواعث التي تكمن خلفها الإشارات التي تحرّكها^(٢).

ويعني ذلك أنّ عملية التواصل القائمة على فهم النص وهذه العملية هي أعلى عمليات التفاعل بين النص والمتلقي، والتي تهدف إلى نفس الحواجز بين الماضي والحاضر، إنّ ذلك يمنح النص في كل مرة حيويته واستمراريته، فاندماج الأفق يعني توسط الفهم بين الماضي والحاضر، وهذه انطلاقة لإعادة تشكيل معاني النص، والوقوف على الماضي لا يعني الخروج من أفق الحاضر، ينصهر أفق الحاضر بأفق الماضي؛ لذا فإنّ اندماج الأفق يعني: "إنّ تاريخ تأويلات عمل فني ما هو تبادل تجارب أو بتعبير آخر، تحاور وترابط بين مجموعة من الأسئلة والاجوبة"^(٣)، وهي:

- ١- إنّ اندماج الأفق تحرص على تحديد معنى النص بالسلسلة التاريخية لتفصيلاته وعلى الإقرار بتساوق التأويلات المختلفة عوض تشوية التأويلات السابقة.
- ٢- لا يمكن للنص أداء وظيفته الإبلاغية إلا بالعلاقة الحوارية بين النص ومتلقيه، ومن ثم بين المتلقين أنفسهم^(٤)، وبهذا المفهوم، يفيد التواصل كل التأثيرات التي يمارسها نظام على آخر مثل تلك العلاقة التي تنبني على تطبيق أوامر وتعليمات أو ترديد إحداث تغيير في سلوك الآخر؛ لأن التواصل بحسب هذا المنظور يرتكز على مفهومي المثير والاستجابة، لذلك يؤثر السلوك اللفظي أو غير اللفظي على المتلقي تأثيرات وجدانية تكون لها انعكاسات إيجابية مثل التعاون والتماثل والاندماج.

(١) ينظر: من التلقي الجمالي إلى التلقي الإقناعي سورة يوسف أنموذجاً: فالج عبد الله سلاهي: ٢

(٢) ينظر: جماليات التلقي، دراسة في نظرية التلقي عند هانز روبرت يابوس و آيزر، سامي إسماعيل: ٨٧

(٣) جالية التلقي، من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، هانس روبييرت يابوس: ١١٠

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١١٥



وتمت كثير من الأطروحات في القرآن الكريم تمثل هذا الأمر على سبيل المثال ما يذكره المفسرين والمتخصصين في الدراسات القرآنية في الغاية والهدف من القصص القرآني ومن ذلك بيان "وحدة الدين والعقيدة لجميع الانبياء وأن الدين كله من الله سبحانه وأن الأساس للدين الذي جاء به الأنبياء المتعددون هو أساس واحد لا يختلف بين نبي وآخر، فالدين واحد ومصدر الدين واحد أيضاً وجميع الانبياء أمة واحدة تعبد هذا الاله الواحد وتدعو اليه"^(١)، وأن ما جاء به النبي محمد (ﷺ) لا يختلف عما جاء به الرسل من قبله وبهذا يندمج أفق الماضي وأفق الحاضر.

وقد أكد القرآن هذه الحقيقة قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَنِيعَ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ١٠١ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ١٠٢ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كُنَّا خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكُافٍ قَدِيمٌ ١٠٣ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيًّا لِّنَذِرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ١٠٤ ﴾^(٢).

ومن أهداف القصة القرآنية هو تسليية النبي محمد (ﷺ)^(٣)، من ذلك ما ذكرته بحق سورة يوسف؛ إنها جاءت تسليية للرسول محمد (ﷺ) عما يفعله به قومه مثلما فعل أخوة يوسف (عليه السلام) به^(٤).

وهذا ما ذهب إليه سيد قطب (ت ١٣٨٥هـ)، إذ قال: "في الوقت الذي كان رسول الله (ﷺ) يعاني من الوحشة والغربة والانقطاع في جاهلية قريش منذ عام الحزن وتعاني معه الجماعة المسلمة هذه الشدة، كان الله سبحانه يقص على نبيه الكريم قصة أخ له كريم- يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليه السلام) وهو يعاني صنوفاً من المحن والابتلاءات"^(٥)، يُبين هذا العرض تمت تضافر في الرؤى

(١) علوم القرآن، محمد باقر الحكيم: ١٧٥ / ١

(٢) سورة الأحقاف: ٩ - ١٢

(٣) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي: ٣٠٧ / ٣

(٤) ينظر: روح المعاني، الألوسي: ٣٦٢ / ٦

(٥) في ظلال القرآن، سيد قطب: ١٩٥٠ / ٤.



والاشتغال معاً في رسم تلقٍ جمالي، وذلك عن طريق اندماج الأفق، وهذا ما يجعل القرآن الكريم في صلب نظرية التلقي، مع إن الفارق الزمني كبير بين نزول القرآن والتنظير لهذه النظرية، وهذا يثبت أن القرآن الكريم معين خصب لكل النظريات اللغوية ذات الرؤى الصحيحة، وهذا كاف في إثبات إعجازه؛ لأن ذلك يثبت أنه لم يكن من صنع النبي محمد (ﷺ)، أو أحد من ذلك الزمان بسبب البعد الزمني بين نزول القرآن وظهور تلك النظريات.

ومن قصص الأنبياء ما ذكرته قصة أيوب (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ

رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِنْهُمُ

مَعَهُمْ رَحْمَةٌ مِّنْ عِزِّنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾^(١)، أي وأذكر يا محمد (ﷺ) أيوب (عليه السلام) حين دعا

ربه لما امتدت المحنة به، في ما حكاه قوله تعالى: ﴿رَبِّهِ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾؛ أي نالني

الضر وأصابني الجهد ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾؛ أي ولا أحد أرحم منك وهذا تعريض

منه بالدعاء لإزالة ما به من البلاء، وهو من لطيف الكنايات في طلب الحاجات

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾؛ أي أجبنا دعاءه ونداءه ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ﴾؛ أي أزلنا ما به من

الأوجاع والأمراض^(٢).

وتتحدث الآيتان عن نبي آخر من أنبياء الله العظماء وقصته الملهمة، وهو

أيوب (عليه السلام)، إن لأيوّب قصة حزينّة، وهي في الوقت نفسه عظيمة سامية، فقد كان

صبره وتحمله عجيبين، خاصّةً أمام الحوادث المرّة، حيث إن صبر أيوب أصبح

مضرباً للمثل منذ القدم، غير أنّ هاتين الآيتين تشيران بصورة خاصّة إلى مرحلة

نجاته وانتصاره على المصاعب، واستعادة ما فقده من المواهب، ليكون درساً لكلّ

(١) سورة الانبياء: الآية ٨٣ - ٨٤

(٢) مجمع البيان، الطبرسي: ٩٣ / ٧.



المؤمنين على مرّ الدهور؛ ليغوصوا في المشاكل ويخترقوها، ولا سيّما لمؤمني مكة الذين كانوا يُعانون ضغوطاً من أعدائهم عند نزول هذه الآيات (١).

ومن ذلك ما نجده في قصة نبي الله نوح (عليه السلام)، إنّ نوحاً (عليه السلام) صمد مقابل أعداءه الأقوياء المعاندين، وقد واجههم بحزم وفي منتهى الشجاعة والشهامة مع أصحابه القلّة الذين كانوا معه، وكان يستهزئ بقواهم، ويريههم عدم اهتمامه بأفكارهم وبخططهم وأصنامهم، وبهذه الطريقة كان يوجه ضربة نفسية قوية إلى أفكارهم.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذْ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْآسَفِ ﴿٥٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرْبُكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرْبُكَ أَتَبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٥٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عَلَىٰ يَدَيْهِ مِن رَّبٍّ وَهَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنزَلْنَا كِتَابَهَا وَأَنزَلْنَا كِتَابَهَا كَرِيمًا ﴿٥٨﴾﴾ (٢).

إنّ قصة نوح (عليه السلام) جاءت أكثر تفصيلاتها في سورة (هود) وهي من السور المكية، فقد كان النبي (ﷺ) يعيش "ظروفاً تشبه ظروف نوح، وكان المؤمنون قلّة، سيّضح أنّ القرآن يريد أن يعطي للنبي، أيضاً، نفسه لهذا الدرس بأن لا يهتم بقدرة العدو، بل يسير ويتقدم بكل حزم وجرأة وشجاعة؛ لأنّ الله يسنده وينصره، ولا تستطيع أيّة قوّة أن تقف في مقابل قدرته" (٣).

وبهذا يندمج أفق التلقي بين القرآن الكريم والمتلقي الأول له وهو النبي محمد (ﷺ)؛ إذ ينقل القرآن التجربة التي عاشها النبي نوح (عليه السلام) مع قومه إلى النبي محمد (ﷺ) الذي يعيش نفس التجربة نفسها مع قومه العصاة، وبهذا يخلق القرآن تواصلاً مع المتلقي الأول، ووجه الإعجاز في ذلك هو أنّ الذي نقل التجربة الأولى عالم بكل تفاصيلها، ثم إنّها نُقلت في وقتها المناسب الذي كان النبي محمد (ﷺ) بحاجة لهذا الدعم المعنوي له، ولأصحابه، وليس هذا فقط؛ بل اندماج الأفق لا يقف عند النبي محمد

(١) الأمثل، مكارم الشيرازي: ١٠ / ٢٢٤.

(٢) سورة هود: الآية ٢٥ - ٢٨.

(٣) الأمثل، مكارم الشيرازي: ٦ / ٤٠٦.



(ﷺ)، بل يندمج أفق توقع القادة الإلهيين مع ما عاشه النبي نوح (عليه السلام) والنبي محمد (ﷺ)؛ إذ يجب عليهم أن يعلموا أن طريق الدعوة يحتاج إلى مواجهة المعارضين نفسياً ولا يهتموا بقدراتهم وقوتهم، وأن يواجهوا ذلك العدو بكل حزم وجرأة، وهذا ما نجده عند قادتنا وبالخصوص في هذه الأيام العصيبة على أنصار الله وحزبه التي إن شاء الله سوف تنتهي بنصره.

بهذا العرض القرآني للقصة اندمج أفق توقع الماضي والحاضر، وهي رسالة تحمل بعداً توجيهياً، وهو أحد وظائف نظرية التواصل، وهذا الأمر يمكن عده دليل على الإعجاز التواصلي في القرآن الكريم.

إنّ في القرآن الكريم كثيراً من الدعوات التوجيهية، وهذه الدعوات هي في صلب التواصل، فالقرآن يدعو المتلقي بأن يندمج أفقه مع ما يطرحه، وذلك بالتفاعل مع القرآن والوقوف على المقاصد الحقيقية التي أرادها الله من ذكر تلك القصص، وبعد هذا التفاعل يستسلم المتلقي لتأثير القرآن، وهذا ما يؤدي إلى تغيير معايير التي كان يؤمن بها، وفي الوقت نفسه يحقق ذلك ألفة بين القارئ والقرآن الكريم، أي إنّ القارئ مثلما يقرأ القرآن يقرأ ذاته فيه؛ لأنه يرى في القرآن أفق انتظار يتطلّع إليه، أو ما يُؤسّر إلى عقيدة آمن بها، أو مقولاتٍ شغف بها، أو خبرةٍ عاشها.

إنّ اندماج أفق التوقع بين القرآن الكريم والمتلقي ينتج عنه التواصل؛ وذلك عن طريق شعور المتلقي بالقرآن الكريم الذي يعرف خلجات نفسه وما يمرّ بها، ففي ذكر القصة التي حدثت في الماضي التي ينقلها القرآن تتضح الحتمية التي يريدّها الله للإنسان الحاضر، وذلك بالعودة به إلى ماضٍ لم يعشه، لكن التجربة ذاتها هي المعيشة، وبهذا يندمج أفق الماضي بالحاضر في صورة تفاعلية تأثيرية تجعل المتلقي غارقاً في القرآن، وبهذا يكون التواصل بين القرآن ومتلقيه، ذلك التواصل الذي تفرد به؛ لأنّ الرؤية القرآنية ترصد العالم، فضلاً عن أنها ترصد الإنسان بوصفه محور هذا العالم، وهذا ما يدعو الإنسان إلى التطلع لما يحمله القرآن الكريم، وبهذا يندمج



أفق النص القرآني وأفق متلقيه، ويصبح هذا أبلغ دليل على إعجاز القرآن الكريم؛ فقد تأمل متقو القرآن ذلك وفجر في أنفسهم الإيمان.

كما أن القرآن الكريم "يستثمر الحضور في وعي المتلقي، لكي يحول كل محتويات هذا الحضور إلى علامات دالة على الخالق المنعم"^(١)، ويظهر هذا الدليل الإعجازي عندما نقف على ذلك في الخطاب القرآني، فإنه لم يدر الأمر فيه إلا على سياسية النفوس البشرية ورياضتها؛ لأن الدين هو حديث الاعتقاد وخطاب القلوب فصلته بالنفوس ومناجاته للروح أوضح من أن يستدل لها^(٢).

ولما كان الخطاب القرآني يهدف إلى التفاعل والإقناع، فإن المتلقي يشغل موقعًا بين أفق الماضي وأفق الحاضر، بوصفه انعكاسًا لعملية التواصل، ويمثل ذلك بتجميع الإمكانيات التي تُحقق التواصل، فالقرآن الكريم ينقل المتلقي من أفق الحاضر إلى أفق الماضي، ومن يتطلع القرآن الكريم يلمس هذا جليًا في كثير من آياته، التي تتحدث عن قصص الأنبياء ومواجهتهم لقومهم وما يلاقيه الأنبياء، ويجد ذلك أيضًا في حال المؤمنين ومعاناتهم فكل هذا ينقل من يعيش الحاضر إلى زمن الأقسام السابقة، فيندمج أفقه مع افقهم وبهذا يُخلق تواصل بين القرآن الكريم ومتلقيه.

(١) جمالية الخطاب القرآني برؤية معاصرة، سلام كاظم الالوسي: ١٦.

(٢) ينظر: القرآن وعلم النفس، عبد الوهاب خلاف: ٧٧.



المطلب الرابع: الحذف السردى والتواصل

المقصود بالحذف السردى: هو تلك المناطق غير المأهولة في النصّ التي تعطي للنص ابداعية وتثري النصّ وتغنيه، وتجعل المتلقي متفاعلاً معه، ومن ثمّ تخلق التواصل بين النص ومتلقيه.

إنّ للمتلقى أثراً مهماً في كشف تواصلية النصّ، وذلك بالكشف عمّا لم يذكره ، فقد تُحذف من النصّ أشياء تجعل المتلقي يتفاعل معه عن طريق الكشف عن ذلك المحذوف؛ لأنّه يعمل كمحور ارتكاز يقوم عليه التواصل بين المتلقي والنصّ؛ فهو يخلق تفاعل بينهما؛ وذلك عن طريق استشفاف الدلالة المخبوءة داخل النصّ^(١)، وكذا يتيح للحركة الذهنية عند المتلقي أن تمارس فاعليتها؛ لأنّ المحذوف يخالف الأصل وهو الذكر^(٢)، وهذا بدوره يشارك في تفعيل العمليات الذهنية للبحث عنه والوقوف على دلالاته، كذا البحث عن فلسفة ذلك الحذف، وهذه العملية تُحدث تفاعل بين النصّ ومتلقيه، وينتج عن ذلك تواصل بينهما.

ويتساق مع مصطلح الحذف مع مصطلحات أخرى كال فراغات والبياضات؛ إذ عدّت نظرية التلقي الفراغات بنية ديناميكية في النصّ؛ لأنّها المجال الخصب الذي تتولى القراءة إثراءه في ضوء لعبة الضياء والظلام التي يثيرها النصّ، في اعتماده الكشف والخفاء، والذكر والحذف، والإشارة والإهمال، لأنّ الشيء المفقود، يجعل المتلقي نشطاً في البحث عنه^(٣)، فالمحذوف يقوم على مخاطبة المتلقي بشفرات ذات معانٍ غير مصرح بها وبذلك يقوم بين النص والمتلقي حوار جدلي بين المقول والمحذوف، بحيث يحاول المتلقي أن يُظهر المحذوف، وإعادة تأويل المقول في شكل ردود فعل مثارة إزاء النصّ.

(١) ينظر: جماليات التلقي، دراسة في نظرية التلقي عند هانز روبرت يابوس وأيزر، سامي إسماعيل: ١٨٤

(٢) ينظر: جماليات التلقي في السرد القرآني، يادكار لطيف الشهرزوري: ٢٨٧

(٣) ينظر: المسكوت عنه ودلالاته اللغوية، ندى عبد الله الظاهر: ٢٠٨



لقد عدّ (أيزر) الحذف مفاصل حقيقية للنص؛ لأنه موجود بين الخطوط العريضة والأفاق النصية، وأنها في الوقت نفسه تثير التخيل لدى القارئ، وعندما ترتبط الأفاق بالخطوط العريضة يظهر المحذوف^(١)؛ إذ كل هذه المحذوف مقصود في النص ليثيره دلاليًا فيجعله نصاً تواسلياً، وهو المساحة التي يشتغل عليها القارئ، والمحذوف ليس هامشي في النص، بل هي نقاط وصل بين مفاصله.

إنّ الحذف عندما يخالف الأصل يجعل ذهن المتلقي هائماً بالبحث عن الدلالات التي تختفي وراء الذكر؛ لذا "الحذف أبلغ من الذكر؛ لأنّ النفس تذهب كل مذهب في القصد من الجواب"^(٢)، لذلك يأخذ الحذف السردى أثرًا جوهرياً في التواصل، ويعزّز درجات التواصل بين النص والمتلقي (القارئ)، لذا عدّه بعضهم شرطاً أساسياً من شروط التواصل، وبذلك ينبغي أن يفهم التواصل على أنه عملية لا يحركها ولا ينظّمها سنن معطى؛ بل تفاعل مقيد، وموسّع بطريقة متبادلة بين ما هو صريح وضمني بين الكشف والإخفاء؛ وأنّ ما هو خفي يحثّ القارئ على الاكتشاف ولكنّ هذا الفعل يكون مراقباً أيضاً بما هو مكشوف^(٣).

وفي إطار البحث عن مواطن تدخل القارئ يستدعي (أيزر) مصطلح (عوامل التفاعل) هي: "تلك العناصر التي تربط النص بالقارئ؛ إذ على أساسها يتجلى دور القارئ بصفة صريحة بمشاركته في عملية بناء المعنى، التي تبقى رهينة عملية التفاعل بين القارئ والنص، وترتبط (عوامل التفاعل) بعنصر الحرية التي يمنحها النص للقارئ"^(٤)، كل تلك العناصر تقوم عليها العمليات التي عن طريقها يتفاعل القارئ مع بنية النص الذي منح متلقيه حرية البحث والتحري عمّا خفي من دلالات.

وعلى هذا الأساس فالحذف السردى يدفع المتلقي إلى التفاعل مع النص، وذلك بدفعه إلى التدخل والمشاركة في بناء المعنى وهذا ما يؤثّل التفاعل والتواصل مع

(١) ينظر: التفاعل بين النص والقارئ، فولغانغ أيزر، يحيى حاج يحيى: ٢٤

(٢) إعجاز القرآن، الباقلائي: ٢٦٢.

(٣) ينظر: فعل القراءة (نظرية في الاستجابة الجمالية)، فولجانغ أيزر: ١٠٠

(٤) المصدر نفسه: ١٠



النصّ، فهذا الحذف يُثير القارئ، وذلك في إطار الحوار الذي ينشأ بين النصّ والمتلقي، إذ يتخذ القارئ موقفاً من النصّ وذلك بالبحث عن المحذوف من خلال المذكور.

إنّ الحذف السردّي يجعل المتلقي لا يقف عند عتبه معينة في فهم النصّ، فهو يمنح المتلقي من بناء تصور كلي للنصّ، وهذا الأمر يستلزم من المتلقي التريث والسير بتأنٍ وهو يصطدم بمثل هذه الظاهرة في النصّ، وهذا هو الذي يجعل النصّ نصّاً تواصلياً، فحذف يقوم بدور مهم وهو التحكم في تصرف القارئ تجاه النصّ، وهذا كله بفعل النصّ وقدرته على التحكم بالمتلقي، إذ إنّ النصّ يُوّطر القارئ أثناء سعيه إلى البحث عن الحذف؛ إذ يجعل القارئ يتفاعل مع النصّ ويبحث عن ردم الفراغ، الذي تركه الحذف، فالقارئ هنا يرغب في تجاوز هذا الفراغ والسير قدماً نحو بناء تصورات متكاملة حول ذلك المحذوف، فضلاً عن البحث عن الغاية من ذلك الحذف، وبهذا يكون الحذف قد حثّ القارئ على التفاعل مع النصّ وخلق تواصلاً معه.

إنّ المحذوف عملية تتبع من التشكيل الأساسي للنصّ؛ ولا يمكن أن يكون دون بنية النصّ، لهذا يرى (أيزر) أنه توجد بنيتان أساسيتان للحذف ولعدم التحديد، هما الفراغات والنفي^(١).

١- الفراغات: المقصود منه المساحات السردية المتروكة في بنية النصّ من أجل إشراك المتلقي وتحفيزه نحو الاستجابة.

٢- النفي: استحضار المؤلف ومن ثمّ نفيه^(٢).

هذا يدلّ على أنّ (أيزر) يرى أنّ الحذف حالة واقعة في النصّ تقوم على قصدية مبدع النصّ، فهذا المسكوت لا يأتي صدفة من دون تخطيط مسبق.

(١) ينظر: جماليات التلقي، دراسة في نظرية التلقي عند هانز روبرت ياوس وأيزر، سامي إسماعيل: ١٨٩-

٢٠٥

(٢) ينظر: النصّ والقارئ، سوزان تليير: ١٣٥



إنّ عناصر الحذف هي التي تمكّن النص من التواصل مع القارئ؛ بمعنى أنّها تحنّه على المشاركة في الإنتاج وفهم قصد العمل معاً^(١)، فالنصّ يعتمد من أجل تعميق التواصل مع متلقيه إلى ترك الفراغات؛ ليقوم المتلقي بملئها، ثم إنّ التواصل بين النص والمتلقي "عملية تتحرك وتنظّم ليس بواسطة ما يقال، وإنّما عن طريق تفاعل صارم بين ما يقال وما لا يُقال، بين الصريح والضمني، بين ما هو خاف، وما هو معلن"^(٢)، وبهذا يؤدي الحذف السردى إلى إضفاء طابع الغموض، وهو بذلك يؤدي إلى تفاعل المتلقي بأشغاله بتأويل النصّ، أو بالبحث عن دلالاته الكامنة خلف المسكوت عنه.

إنّ مواقع الحذف السردى تجعل الموضوع القصدي في النصّ مفتوحاً؛ إذ يستجيب لافتراضات غير محصورة للمشاركة في إنتاج الموضوع الجمالي للنصّ، فما لا يقوله النصّ أكثر بكثير ممّا يقوله، ما يجعل خياراته الدلالية متعددة^(٣)، تبرز عن طريق آليات يحددها النص، وهذا ما عبّئ به نظرية التلقي؛ إذ إنها تُعنى بالبعد العلائقي بين النص والمتلقي؛ أي التفاعل بين النص والمتلقي الذي به يتبلور ويكشف معنى النص وأثره، وهذا كامن في الحذف؛ فإنّ له قيمة تواصلية؛ إذ يجعل القارئ في تواصل دائم مع النص؛ لأنّه لا يورد المنتظر من الألفاظ؛ لذا يفجر في ذهن المتلقي شحنة فكرية توقظ ذلك الفكر، ومن ثمّ تجعله يتخيل ما هو المقصود، وهذه العملية التي يقوم بها المتلقي تؤدي إلى حصول التفاعل بين النص والمتلقي، وهذا التفاعل يحصل عن طريق إرسال رسالة فيها من الحذف السردى ما يُثير ذهن المتلقي؛ لحقق التواصل مع النص، ويكون ذلك أيضاً بإفراز حمولات دلالية ترفد النص بقيم فنية وجمالية قادرة على خلق حالة نفسية وانفعالية تسهم في شدّ انتباه المتلقي^(٤)، لهذا يعد الحذف شرط من شروط التواصل؛ لأنّ المعنى الكامن في النص يكون حصيلة التفاعل بين بنية النص وفعل الفهم لدى المتلقي؛ أي الوقوف على المعاني الكامنة

(١) ينظر: فعل القراءة (نظرية في الاستجابة الجمالية)، فولفجانج آيزر: ١٦.

(٢) جماليات التلقي، دراسة في نظرية التلقي عند هانز روبرت يابوس وفولفجانج آيزر، سامي إسماعيل: ٢٩٥.

(٣) ينظر: استراتيجيات النص وأفاق التأويل، سعيد الواحد المرابط: ١٠.

(٤) ينظر: اللسانيات بين لغة الخطاب وخطاب الأدب، عبد السلام المسدي: ٧٠.



خلف المسكوت عنه لا يُقف عليها إلا بتفاعل المتلقي مع النصّ، وهذا التفاعل هو الركن الأساس للتواصل.

وبهذا يكون مزيج الصريح والمحذوف، والمركزي والهامشي هو أساس التفاعل بين النص والمتلقي، وشرطاً من شروطه الضرورية، فحذف السردية، وعناصر اللاتحديد تمكن النص من التواصل، وبهذا يكون القول والصمت فعلاً دالاً^(١)، والحذف السردية يحقق أكبر قدر ممكن من التأثير بالمتلقي؛ وذلك لأن الإيجاز في الدليل اللغوي قد يكون أبلغ أثراً في المستمع؛ ممّا لو عمد المستدل إلى بسط دليله بسطاً؛ لأن التلميح أوقع في النفس من التصريح؛ ذلك أنّ المشاركة المطلوبة من المستمع في استكناه ما سكت عنه من الدليل تجعله يبدو وكأنه لم يحمل على النتيجة حملاً، وإنما وصل إليها بمحض إرادته أو من تلقاء نفسه^(٢).

إنّ مواقع الحذف هي عناصر داخل البنية النصية تحتاج إلى التحقيق والتجسيد من قبل المتلقي؛ لتحقيق المعنى أثناء عملية قراءة النص، والمقصود من ذلك أنّ المتلقي هو من يقوم بالكشف عن الفراغات والفجوات، التي تركها المبدع في نصّه، ومن ثم ملء تلك الفجوات والفراغات، فضلاً عن تتبع مقاصد النص؛ لأن مقاصد مبدع النص تتوجه إلى الموضوعات المعروضة والمحذوفة عند قراءة للعمل الأدبي، وأن المتلقي بدوره مهيباً سابقاً لاستقبال تلك الموضوعات المعروضة والمسكوت عنها.

كما أنّ الفراغات التي يحتويها النص هي التي تمكنه قبل كل شيء من التأثير المتبادل بينه وبين القارئ، وفي هذا التأثير تكتسب إمكانيات النص المعنوية شكلها في وعي القارئ وتصوره، فيكون للقارئ هدف وهو سدّ تلك الفراغات التي يجدها في النص، ويعد هذا العمل مهماً في عملية التواصل؛ لأنّ القراء يجدون "فرصة

(١) ينظر: فعل القراءة (نظرية في الاستجابة الجمالية)، فولفجانج إيزر: ١٦

(٢) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن: ١٥٠



لممارسة خيالهم فملء الأماكن الغامضة يحتاج إلى إبداع ومهارة^(١)، لهذا تلعب الفجوات والفراغات أثرًا أساسياً في عملية التفاعل بين النص والقارئ بعدها تتسبب في عملية التواصل، فهي تؤدي وظيفة محورية في علاقة النص بالمتلقي فبمئذ يبدأ التواصل، وفي الدراسات الحديثة تطلق مقوله (الغياب أو الحذف) التي تتحقق فيها جمالية الفراغ الباني، التي تتطلب نموذجاً خاصاً من القراء، إذ في هذا الشكل من القراءة يواجه المتلقي النص ثم يعمد إلى ملء الفجوات وسد الثغرات، هذه القراءة تشرك المتلقي في جو النص، وتتيح له فرصة المسألة والطرح، وتعمل على تفجير الطاقة الدلالية الكامنة في النص، ومن ثم تلامس مكامن الإحساسات المتأثرة لدى القارئ، الأمر الذي يجعل تلك القراءة تنتهي إلى مقولة: "إن لكل نص بنية مزدوجة لفظية وشعورية في آن"^(٢).

وهذه القراءة تكون فاعلة؛ لأنها تنتج توأماً بين النص والمتلقي؛ لأن المسكوت عنه أو الفراغ الباني مرتبط أساساً بمؤهلات القارئ فهو بعمله يحقق وجوده ويحقق سعادته حين يشعر أنه أصبح صرفاً في العملية الإبداعية، لا كائناً ورقياً اتكالياً يجتر القوالب الجاهزة ويردد الأحكام القبلية^(٣).

ويمكن أن نصل إلى نتيجة مفادها أنّ التواصل في القرآن الكريم يقوم على الحذف السردية فيه؛ لكي يقوم القارئ بالوقوف على المحذوف وهذا يخلق تفاعلاً معه عن طريق المشاركة في تشكيل المعنى، فضلاً عن ذلك على فإن المتلقي التعرف على السياقات القرآنية، إذ إنّ المعنى لا يتجلى في الكلمات المفردة، ومن ثم فإنّ عملية القراءة لا يمكن أن تكون مجرد التعرف على الدلالات اللسانية المفردة للكلمات، وهنا يعتمد الفهم على الارتباطات بين المفردات والدلائل النصية؛ فإن القارئ فيه يجد نفسه مندفعاً ومستثاراً من قبل النص، نحو الفهم والغور وحتى ملء ما يسمى بالحذف السردية، لهذا يوظف الخطاب القرآني الحذف السردية في

(١) نظرية الاستقبال، رعد عبد الجليل: ٤٠

(٢) فعل القراءة (نظرية في الاستجابة الجمالية)، فولجانج آيزر: ٥٣

(٣) ينظر: جماليات التلقي في القرآن الكريم، أدبية الإيقاع الإعجازي نموذجاً، شارف مزارى: ١٤٦-١٤٧



التواصل مع المتلقي، وذلك عن طريق تفاعله وإشراكه في عملية استنتاج الدلالة واستحضارها، إذ يؤدي هذا الأسلوب دوره الوظيفي بشكل فعال في عملية التواصل، ومن مظاهر هذا الاستحضار، وهذا الترابط بين النص والمتلقي عبر آلية الحذف السردية^(١).

وهذا ما نجده في القرآن الكريم وهو حاملاً لكثير من المواطن التي تدعو المتلقي لإطلاق العنان لفكره؛ كي يجول في البحث عن مصاديق للمفاهيم التي يعرضها النص، فيمنح المتلقي الحرية في بناء المعنى، وهذا يعود إلى الغاية من النص وهو كونه رسالة عالمية تتعالى على الزمان والمكان، فهو نص يجعل المتلقي يلتحق به، ولا يكتفي فقط بقراءة النص، بل لا بد من التأثير به وجعل المتلقي يسير على المسار الذي يرسمه له، وبهذا يكون القرآن الكريم نصاً متفرداً بتواصلته التي تغدو صورة إعجازية؛ إذ يقوم على لغة إيحائية ورمزية تنجم عن استعمال غير عادي للغة من طرف (الله) مبدع النص القرآني، وهذا ما جعل التواصل في النص القرآن ينماز عن غيره من النصوص.

إنّ القرآن الكريم يتيح للقارئ الذي يتلقاه مجموعة من الفراغات والبياضات التي تتيح المشاركة في بناء الدلالات والمعاني، نتيجة طريقة الخطاب المعتمدة من قبل الله (ﷻ).

ومن ذلك ما جاء في قصة نوح (ﷺ) قال تعالى ﴿قَالَ سَآوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَّعَصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَعُ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾^(٢)، فقد صرح القرآن بغرق ابن نوح (ﷺ)، وسكت عن غرق بقية القوم؛ لأن تصوير الطوفان يدل على هلاك القوم، فهذه النتيجة حصل عليها المتلقي عن طريق ما ذكر في القرآن الكريم، من غرق شخص من القوم، وقد سكت عن باقي القوم، وهذا ما قام

(١) ينظر: جماليات التلقي في القرآن الكريم، أدبية الإيقاع الإعجازي نموذجاً، شارف مزارى: ٢٩١

(٢) سورة هود: الآية ٤٢



المتلقي بالوقوف عليه، وبهذا خلق الحذف السردي تواصلاً بين المتلقي والنص القرآني.

ومن الحذف السرد القرآني؛ إذ يتألف السرد القرآني يحذف القرآن الكريم ذخيرة من الأحداث ليس لأحد علم بها، من ذلك بعض الأحداث وأسماء الشخصيات والأماكن وغير ذلك ليترك القارئ يفكر بها وفق كفاءته الذهنية؛ ليردم تلك الفراغات ليتحقق التواصل، ثم إن طبيعة السرد التي اعتمدها القرآن تبين مناطق البياضات والفراغات ويقوم على منطقتين:

المنطقة الأولى: المنطقة التي يتجاوز بها النص القرآني، من ذلك كثير من الأحداث والأماكن والشخوص.

ومثال على ذلك ما جاء في قصة موسى (عليه السلام)، فلم يسم القرآن رفيقه، ولم يسم العبد الصالح، فقد أكتفى بذكر (فتاه)، وأطلق عليه ذلك، "لأنه كان يلزمه سراً وحضراً أو لأنه كان يخدمه"^(١)، وفي ما يخص العبد الصالح فقد أكتفى القرآن بوصفه وصفاً جميلاً بقوله: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾^(٢)، وهذا الأمر المسكوت عنه يخلق تواصلاً، وذلك لطول "البحث عن شخصية الخضر بين القوم كما في مطولات التفاسير وتكاثرت القصص والحكايات في رؤيته"^(٣)، وهذا المسكوت عنه، "يراد به أن يمثل الحكمة الكونية العليا، التي لا ترتب النتائج القريبة على المقدمات المنظورة، بل تهدف إلى أغراض بعيدة لا تراها العين المحدودة، فعدم ذكر اسمه يتفق مع هذه الشخصية المعنوية التي يمثلها، وإن القوى المجهولة تتحكم في القصة منذ نشأتها.... قد يخطر للأذهان الدهشة بعد أن تصحو أن تسأل: من هذا؟ ولكنها لن تتلقى جواباً، لقد مضى في المجهول، كما خرج

(١) الميزان، الطباطبائي: ١٣ / ١٧٨

(٢) سورة الكهف: الآية ٦٥

(٣) الميزان، الطباطبائي: ١٣ / ١٧٨.



من المجهول، فالقصة تمثل الحكمة الكبرى، وهذه الحكمة لا تكشف عن نفسها إلا بمقدار، ثم تبقى مجهولة أبداً^(١).

إنّ ظاهرة غياب أسماء الشخصيات تُعد من الحذف السردى، فلم يذكر القرآن الكريم مجموعة من الشخصيات، مثلاً اسم الرجل الصالح، أو أسماء أصحاب الكهف، وصاحبي الجنتين، وذي القرنين، فهذه ظاهرة قرآنية قبل أن تكون من سمات الرواية الجديدة؛ فالشخصية القرآنية لم يظهرها السرد باسمها، بل صمت عنها ليترك خيال القارئ يتدفق ليملاً الفجوات المسكوت عنها، متأولاً ومفترضاً ومسائلاً^(٢).

وقد حفل القرآن الكريم بشواهد على هذه آلية، ولا سيّما في قصار الصور، وبعض وقائع السرد في القصص القرآنية، فقد اختزلت كثير من الوقائع وتفاصيل القصة بنحو يثير المتلقي ويجعله يتفاعل مع القرآن الكريم، والقصة القرآنية بما تحتويه من طي للأحداث وتباعد بينها وظهور شخصيات لها أثر هامشي ثم اختفاءها من مسرح الأحداث تدعو المتلقي للقرآن الكريم يسعى لمعرفة، فضلاً عما فيها من تشويق للقارئ يجذبه نحو القرآن؛ ليتفاعل معه ثم يخلق ذلك تواصلًا، ثمّ أن هذا التواصل ليس بمستوى العادي؛ بل بمستوى عالٍ يفوق القدرة البشرية، بما يمتلكه من مؤهلات لا يمتلكها غيره، لذلك جاء التحدي للبشر على الإتيان بمثل القرآن الكريم، لكن عجزوا عن ذلك، وثبت إعجاز القرآن.

(١) التصور الفني في القرآن، سيد قطب: ١٨٥

(٢) ينظر: مستويات السرد الإعجازي في القصة القرآنية، شارف مزارى: ٣٤



المنطقة الثانية: المنطقة التي يختار فيها النص العبارة التي تجعل القارئ يتفاعل معه، عن طريق الفضاء الذي تفعله العبارة عندما تكون فراغًا يقوم المتلقي بملئه؛ إذ أنّ عملية التحقيق والبحث عن الفراغ تفتح أمام القارئ مجالًا للبحث عن الدلالات العميقة، فقد يُبين النص دلالات، بينما يُضمر دلالة أخرى في عمقه، وأنّ هذه العبارات والجمل تترك فراغات، ممّا يجعل المتلقي يملأها على وفق تصوراته وتخيالاته الذهنية.

إنّ القرآن الكريم يعتمد على الرمزية؛ لهذا يترك فراغات وبياضات في بنيته النصية بناء على غايات ومقاصد سعى الله (ﷻ) إلى إيصالها إلى المتلقي؛ ليقوم المتلقي ببناء المعاني التي لم تُذكر وفهم دلالاتها وإتمام الفراغات التي نجمت عن طبيعة اللغة، وهذا يدل على القدرة الفائقة في جعل المتلقي يتفاعل مع النص وقراءته قراءة فعالة.

ويمكن أن نلمس ذلك في القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَىٰ آتِلٍ﴾^(١).

نجد ذلك عندما يحير المتلقي في معرفة المقصود من الخيط الأبيض والخيط الأسود، فكون لفظ الأسود والأبيض ضمن سجل الألوان، لكنهما انتزعا من سياقهما الأصلي، ووظفتا في فضاء نص جديد؛ ليعطيا معنى الكشف والظهور، وهو معنى جديد بحسب قصدية المتكلم الله (ﷻ) وهذا الاستعمال قد أفرغ هذه الألفاظ من معناها الأصلي وأعطاهم معاني جديدة تفتح للمتلقي أبواب التفاعل عن طريق التأويل، وقد حصل هذا من استعمال هذه الألفاظ في سياق لم يكون المتلقي قد سمعه من قبل، لذا ليس من السهل ردم الفراغ الذي تركه النص وقام عليه التواصل ما لم يكن المتلقي على مستوى عالٍ في معرفة توليف العناصر النصية وفهمها بناء على واقعها الأصلي؛ فبدون توليف لا يمكن فهم عناصر متفرقة ثمّ انتقاءها من الواقع، وبعد ذلك

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٧



عزلها عن سياقها الأصلي؛ لتكون في سياق جديد، فقد اتاحت هذه الآية فضاء منح القارئ قدرًا تواصليًا؛ وذلك بالتفاعل معه عن طريق إعمال الذهن والبحث عن المعنى المقصود.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١)، فقد صرح القرآن الكريم بالقربان ولم يذكر سبب تقديم القربان، وهذا الذي تركه القرآن الكريم، من أجل أن يستنتج المتلقي ذلك، وبهذا يحدث التفاعل بين النص والمتلقي، الذي يؤدي بدوره إلى التواصل بينها.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَقَّ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^(٢)؛ إن صور الحذف السردية في القرآن الكريم كثيرة فقد يكون بكلمة أو عبارة، وفي هذه الآية جعل الحذف دليلًا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهد، وتركت النفوس تقدر ما شأنه^(٣)، إن المحذوف هنا "جواب الشرط غير الجازم، ولعله يتمثل في أن الجنة لما فتحت أبوابها دخلها المؤمنون فأدهشهم المشهود من أشجار وثمار وأنهار وحوار عين وغيرها.. وما لم يخطر على قلوبهم، إن الحذف هنا مقصود بغية تحقيق المتعة عند القارئ، وذلك بما يشي به النص المفتوح على الإفضائية، وبما للقارئ من قدرة على تذوق النص القرآني والمشارك في تتبعه وإتمام سرديته"^(٤)، والقصد من وراء هذا الحذف السردية، هو تحقيق الشراكة المرغوبة جدًا بين القرآن الكريم وبين المتلقي، عن طريق استحضار الحالة الشعورية لدى المتلقي، وهو بهذه الصورة يعدّ نصاً مثيراً

(١) سورة المائدة: الآية ٢٧

(٢) سورة الزمر: الآية ٧٣

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٠٦/٣.

(٤) النقد الأدبي الحديث غنيمي هلال: ٥٥٢



الفصل الثالث: خصائص المتلقي والخطاب

للمتعة والفضول بحيث يفتح آفاق الاستكشاف، وبهذا التفاعل بين القرآن الكريم ومتلقيه، يتبين الإعجاز التواصلي في القرآن الكريم.

ونجد الحذف السردي في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي إِلَّا نَسْقِي غَنَمَنَا لَا نَسْقِي نَفْسًا وَنَحْنُ بِمَا نَسْقِي حَائِلَاتٌ وَإِبَوْنَا كَأَنَّا كَائِدَاتٌ كَذِبَاتٌ﴾ (١).

فالآيتان تصور موقف موسى (عليه السلام) من ابنتي شعيب حين حضرتا إلى بئر مدين؛ لتسقي ما معهما من دواب، وقد اشتمل أسلوب الآيتين على أربعة أفعال متعدية، حُذفت مفعولاتها جميعاً، ويمكن تصور العبارة كاملة دون حذف كما يشير إلى ذلك الجرجاني بقوله: "وجد عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم أو مواشيهم، وامرأتين تذودان غنمهما، وقالتا لا نسقي غنمنا، فسقى لهما غنمهما" (١)؛ فالمتلقي يشارك بفعالية لإضاءة الجوانب التي الغامضة في السرد وقد يذهب الذهن إلى وصف المشهد وإعطائه هالة وصفية تحيل على تصور تدافع الناس، الكل يسعى للانتهاء من السقي، وعلى هامش هذه الحركة وهذا التدفق الهائل الذي تصنعه الماشية والرعاء توجد امرأتان على مقربة من البئر، وهما في تلهف لقضاء حاجتهما من السقي، وهما في إبعاد مستمر لغنمهما (٢)، إن هذه الصورة حصل عليها المتلقي للقرآن الكريم بناءً على إضاءة ما تركه القرآن من صورة غامضة، فقد استحضر المتلقي الرصيد الفكري لكشف ذلك الغموض وهي الغاية المنشودة، وهذا ما يجعل المتلقي بتفاعل مستمر مع القرآن الكريم، وهو ما يعزز التواصل معه.

إنّ القرآن الكريم بتقنية الحذف السردية يحاول أن يسمو بالمتلقي، بأن يجعله متجاوزاً الجاهز والمكشوف؛ إذ لا يكتفي بالجاهز؛ بل يبحث عن التأويل والاستكشاف بغية الوصول إلى أعماقه؛ بل واستشراف آفاق جديدة ماثورة في أثناءه، وهذا يجعل المتلقي متفاعلاً مع القرآن الكريم ولا ينقطع هذا التفاعل؛ بل هو تفاعل

(١) سورة القصص: الآية ٢٣

(٢) ينظر: مستويات السرد الإعجازي في القصة القرآنية، شارف مزارى: ٢٠٣



الفصل الثالث: خصائص المتلقي والخطاب

مستمر بين القرآن الكريم ومتلقيه، وبذلك يكون القرآن الكريم معجزاً في قدرته التواصلية المنقطعة النظير التي تحدى بها جميع الخلق وعجزوا عن ذلك.

كما إنّ الحذف السردى يجعل ذهن المتلقي يتحرك، وتستيقظ مشاعره؛ إذ يرى لزاماً عليه أن يملأ هذا الفراغ وأن يشارك في بناء القصة، وألاً يبقى في عزلة عنها، غرباء عن مجريات أحداثها^(١)، فهذا الحذف السردى من آليات النص البارزة التي تستحضر المتلقي وتجعله يتفاعل مع النص، وهذا ما يرفع من مستوى القرآن الكريم التواصلية ويجعله في مستوى متفرد، بل مستوى لا يمكن الوصول إليه وبذلك صار معجزاً.

والقرآن الكريم حافل بالحذف السردى، ولعلّ الجانب القصصي أكثر الحوادث القرآنية التصاقاً بهذه الظاهرة التي تقتضي بنيتها إضمار بعض الأحداث المتروكة عن حكمة، حتى يتدبرها القارئ، ويصل إليها عن طريق قراءاته المتواصلة، فيحدث التواصل بين القرآن الكريم ومتلقه^(٢)؛ إذ النص القرآني يحتوي نسيجاً من الحذف، وأنه جاء عن حكمة وقصد، إنّ القرآن الكريم منتج لقارئ يستطيع التفاعل معه، وهذا ما جعله متفرد وحمل للتحدي الذي لم يواجهه من جميع البشر، وبهذا آلية ضمن القرآن قدرته التواصلية التي يمكن عدّها وجهاً بارزاً من وجوه إعجازه.

يبدو للباحث أنّ هذه الحذف السردى موجهة إلى المتلقي الذي يتّصف بالفهم والقدرة على التمييز وقراءة ما بين السطور، ولإظهار عجزه ومعرفته، ولاختبار عبوديته، ولتمكينه من التواصل مع أئمة (عليهم السلام)، ليتعرف عمّا حذفه القرآن الكريم فهم أعرف الناس بعد رسول الله (ﷺ)، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت، وأين نزلت، وعلى من نزلت، إنّ ربّي وهب لي قلباً عقولاً، ولساناً طلقاً سوؤلاً»^(٣).

(١) ينظر: القصص القرآني من العام المنظور وغير المنظور، عبد الكريم الخطيب: ٣٧

(٢) ينظر: المتلقي في الخطاب القرآني، بوفرومة حكيمة: ٧٠

(٣) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، ١٢٨ / ١٣.



ممّا تقدم يخلص الباحث إلى مجموعة من النقاط:

١- أنّ النصّ القرآني تتحقق فيه أبعاد نظرية التلقي؛ لأنّ القرآن الكريم هو خطاب ينقل المتلقي من الجمود إلى الحركة من كونه منفعلاً إلى كونه فاعلاً يتجاوب بعقله وأحاسيسه معه ويدفعه للمساهمة في إنتاج المعنى عن طريق القراءة الواعية التي يستحضر بها المتلقي التصور الذهني والنفسي، لأنها القرآن الكريم يأخذ بكلّ النفوس لما له من الروعة التي في قلوب المتلقين وأسماعهم سواء المؤمن به والمنكر له، وهذا المقياس يقاس به درجة التلقي وشدة وقعها.

٢- إنّ تلقي النصّ أهمّ النقاط التي يبدأ بها التواصل لهذا يتمّ التواصل بين النصّ والمتلقي، وإنّ هذا العرض ينسحب على النصّ القرآني في جزئه المتعلق بالمتلقي، لأنّ القرآن الكريم يجد صده في المتلقي، وهذا الأمر منح المتلقي حضوراً متميزاً في مضمار التواصل مع القرآن؛ لأنّ القرآن فتح الباب واسعاً للمتلقي، وذلك بألياته المختلفة التي تحفز القارئ وتدفعه نحو التفاعل معه عن طريق قراءته واستنطاقه؛ فالمتلقي للقرآن الكريم يقع على عاتقه تفعيله والتفاعل معه؛ لأنّ القرآن الكريم يحمل معنى ويجب على المتلقي أن يدرك ذلك المعنى، وبهذا يكون التواصل مع القرآن الكريم قائماً على دعامتين أساسيتين الأولى، إثارة المتلقي، والثانية تفاعل المتلقي معه.

٣- إنّ التواصل في القرآن الكريم مبني على التفاعل مع المتلقي دون التقيّد ببعد مكاني أو زمني، فالمتلقي يتفاعل مع القرآن الكريم عن طريق كسر أفقه، أو اندماجه، أو الكشف عن المحذوف أو وملء الفراغات الدلالية المتروكة عن حكمه وعلم.

٤- إنّ القرآن الكريم إذا قرئ بناء على نظرية التلقي فإنه يفضي إلى مفاهيم وقيم لم تكن تخطر على بال المتلقي، لذا فمن المسلمات أن التواصل يتأسس بين القرآن الكريم والقارئ انطلاقاً من فعل القراءة، وبهذا يكون النصّ القرآني قد أحدث وقعاً في المتلقي، وهذا الوقع له الدور في التواصل بين القرآن ومتلقيه، وبما أنّ الوقع



الفصل الثالث: خصائص المتلقي والخطاب

الذي أحدثه القرآن في نفوس وعقول متلقيه لم يكن بمستوى عادي، فقد تحيرت العقول فيه منذ نزول القرآن وإلى يومنا هذا، فليس ذلك إلا لأنه وقع متعالٍ ومتفردٍ يصل إلى مرتبة لا يمكن أن يصل إليه غيره، فقد عجز الجميع عن الوصول إليه، وهذا ما يسوغ لي عدّ هذه الوجه إعجازاً، أعني بذلك الإعجاز التواصل في القرآن الكريم.

الفصل الرابع

مفهوم التواصل في القيم القرآنية تنظيراً وتطبيقاً

• المبحث الأول: التعريف بمفهوم القيم وأنواعها

• المبحث الثاني: القيم الإنسانية

• المبحث الثالث: القيم الفلسفية، والشرعية



مفهوم التواصل في القيم القرآنية تنظيراً وتطبيقاً

توطئة:

أسس القرآن الكريم لتواصله بناءً على تقريراته وتوجيهاته وتأصيلاته ومضامينه انطلاقاً من هويته الإلهية، ومن ثم جاء شكله الفني الذي حاز الرجاحة على غيره من أشكال النصوص الأخرى التي سبقتة والتي جاءت بعده، وبهذا يغدو القرآن الكريم نصاً متفرداً عن غيره من النصوص، من جانب الشكل والمضمون، لهذا حارت العقول في تحديد وجه الإعجاز فيه، وهذا يدعونا بعد التأسيس والتنظير للإعجاز التواصلي أن نقف في هذا الفصل على بيان مجموعة من القيم القرآنية؛ لنكشف عن إعجازها التواصلي؛ إذ إن هذه القيم تكشف التواصل في القرآن الكريم؛ فهي لا تنفك فاعلة في إثارة وإشغال الفكر البشري منذ الوهلة الأولى لنزول القرآن الكريم، فهي تضرب في عمق التجربة البشرية المتلقية للقرآن الكريم، وبهذا تتعالى عن الزمان والمكان، وتخلق تواصل مع الفكر البشري خارج حدود الزمان والمكان، وهنا يغدو التواصل في القرآن الكريم سمة فارقة فيه بمستوى التحدي الذي قصده القرآن، ذلك التحدي الذي لا يمكن للبشر كل البشر أن يصلوا إلى مستواه، وبهذا يكون التواصل إعجازياً.

بعد أن ثبت لدينا إنَّ التواصل عملية تفاعلية متعددة الأطراف، متشعبة الأبعاد، فكل المفاهيم والقيم والمعارف القرآنية لها قدرة تواصلية تقوم على الجدة في العرض، فضلاً عن التفرد في المضامين؛ وهذا ما يدعو إلى إثارة متلقي القرآن الكريم؛ فإن هذه القيم تخلق تواصلاً، وهذا التواصل يتجاوز القدرة العادية ليصل إلى الإعجاز الذي لا تصل إليه القدرة البشرية، وغير البشرية، لتتفرد به القدرة الإلهية.

ويكون بيان الإعجاز التواصلي انطلاقاً من جميع أشكال التفاعل والتكامل الإيجابي القائم على ما تخلقه قيم القرآن الكريم في الفكر البشري، كما تحكم هذا التفاعل جملة من الضوابط الفكرية والموضوعية والمنهجية الراسخة في القرآن الكريم، وأما فإنها متعددة بتعدد المجالات التي عرضها القرآن الكريم.

والإعجاز التواصلي في القرآن الكريم يقوم في جانبه المضموني على القيم التي جاء بها، تلك القيم التي تتوافق مع طبيعة الإنسانية وفطرتها المتمثلة في اراده الخير والسعادة والصلاح، وهذه القيم ظاهرة منتظمة في آيات القرآن الكريم في تساوقاته المضمونية التي تظهر جلياً في إبراز المتكلم الله (ﷻ) وأدواره المتجلية في القرآن الكريم وفي الرسالة عبر مضامينها الفكرية والمعرفية المتعالية على الزمان وانفلاتها من المكان، تلك القيم تمسّ عقل الإنسان وضميره، ممّا يجعل حضورها حضوراً فاعلاً في التجربة البشرية عبر التأثير في الإنسان وتفاعله واندماجه مع القرآن الكريم وتطلعاته ليكشف دلالات القرآن الكريم وخفاياه، وبهذا يكون للنص القرآني الحضور المنفرد والمختلف عمّا سواها من النصوص.

ومحور الإعجاز التواصلي في القرآن الكريم يقوم على دعامة أساسية تتمثل بقيمه التي جاء بها؛ لأنه موجه إلى متلقٍ يراد تعريفه بالقيم العليا التي جاء بها، وهذا لا يكون إلا عن طريق معرفة المعاني التي تحملها بنية القرآن، وهذه أول مراحل عملية التواصل، ثم بعد ذلك تأتي مرحلة التصديق والتحول بملفوظ الخطاب إلى منجز في سلوك متلقيه، ليحقق القرآن الكريم أعلى درجات التواصل التي تفرد بها عن باقي النصوص التي تفتقر إلى الاندماج التام بين البنية والوظيفة التي تؤديها.

إنّ تفاعل المتلقي مع القرآن لا ينفك عن كل جزء منه، بل في كل وحدة نصية التي يمكن أن نقابلها بمصطلح السورة التي تحدى الله بها البشر على إن يأتي بمثلها ليبطل بها القدرة التأثيرية والتفاعلية للقرآن الكريم، والتواصل في القرآن ظاهر تتحكم في بنى النص وتعمل على ضبط الانسجام، وتظهر في الآيات، على شكل قيم يُريد المتكلم إيصالها إلى المتلقي، من أجل التفاعل معها ومن ثم العمل بتلك القيم، وليس من السهل الوقوف على جميع آيات القرآن الكريم التي تزخر بتلك القيم، وذلك لتنوع المضامين التي تحمل القيم القرآنية التي تكشف عن الإعجاز التواصلي للقرآن الكريم؛ لأن جوهره يكمن في تلك المضامين التي تختبئ وراء النظام اللغوي أو البناء اللغوي؛ فللنص القرآني أهمية كبيرة في طرح القيم بمجالات متنوعة من أبرزها الوجداني والتاريخي والسياسي، والفلسفي، والتشريعي، فهو عبارة عن

منظومة من العلاقات بين تلك المجالات التي يعتمدها لمواجهة المتلقي ومحاولة التأثير فيه بغية إقناعه، وفي القرآن الكريم قيم تدفع بالمتلقي إلى التفاعل معه، وبالنتيجة التسليم والإذعان لما يتضمنه من قيم.

النتيجة إنّ الإعجاز التواصلي يتجلى في القيم القرآنية بمختلف تلك القيم؛ وذلك عن طريق التفاعل مع تلك القيم والتأثر بها ومن ثمّ ترتيب الأثر عليها، والعمل بها، إذ إنّ هذه القيم تجعل المتلقي مشدوداً إليه، مندكاً به، يأخذه الشغف إلى البحث عن فلسفة تلك القيم.

بعد هذه التوطئة أريد في هذا الفصل رصد الإعجاز التواصلي في القرآن الكريم؛ وذلك عن طريق التفاعل مع القيم القرآنية، ولا نقصد من وراء هذا الفصل أن نلم بجميع القيم التي جاء بها القرآن الكريم وإنما بعضها؛ لأن الهدف من الوقوف على بعض القيم القرآنية لرصد الإعجاز التواصلي للقرآن الكريم.



المبحث الأول: مفهوم القيم وانواعها

المطلب الأول: مفهوم القيم

من أجل الوقوف على المعنى المراد من (القيم) سأتطرق الى ما يأتي:

أولاً: التعريف بالقيم في اللغة:

جاء لفظ القيم في متون المعجمات العربية تحت مادة (قيم)، قال الخليل: "القيمة: الملة المستقيمة... وقوام كل شيء: ما استقام به"^(١)، وجاء أيضاً أن "القيمة واحدة القيم، وأصله واو، لأنها من مادة (ق و م)، التي تدل على انتصاب أو عزم، يقوم مقام الشيء، تقول تقاوموه فيما بينهم، والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، و(سمي الثمن قيمة)، لأنه يقوم مقام الشيء"^(٢)، فهي بمعنى الانتصاب أو العزم، وتأتي بمعنى الثمن للشيء، كما جاء أن معنى "ديناً قيماً: مُسْتَقِيمًا، وَيُقَال: رُمِحَ قَوْمٌ، وَقَوَامٌ قَوْمٌ، أَي: مُسْتَقِيمٌ"^(٣)، فالمعنى يدل على الاستقامة، وتدل أيضاً على التمسك بالشيء والثبات عليه، فمعنى "قيمة الشيء ما يقوم الشيء به، وقيامه بشيء ما يشدد ذلك الشيء ويجعله قائماً بحيث يمكن أن يقوم بغيره أو يقوم غيره عليه أو يستند إليه"^(٤).
وعليه يمكن القول: إن القيمة ترد بمعنى الشيء الثابت الذي يحافظ عليه الإنسان، ويرغب في الاستمرار عليه، وفي الوقت ذاته تمتد جذور الكلمة لتشمل جوانب الحياة المتعددة؛ فلأمة قيمها التي تقوم عليها، ولا قوام للأمة إلا بها، ودلالة اللفظ تجعل منها مفهوماً حاكياً عن أمور متفرعة، فحين نقول هذه قيمة دينية، أو قيم تربوية أو سياسية أو غير ذلك، وهذا يعني أنها مما يقوم به ذلك الأمر، أي تبرز قيمته المعنوية، أو المادية أو يقوم به إغواجه إذا انحرف أو مال، فهي تدخل في حقيقة الشيء على سائر أعراضه الذاتية، كما أنه عن طريق المفهوم اللغوي نفهم أن قوام الأمر أو الشيء هو نظامه وعماده، الذي يقوم عليه، ويثبت به.

(١) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: (قوم) ٢٣٣/٥.

(٢) لسان العرب، ابن منظور: (قوم) ٥٠٠/١٢.

(٣) تهذيب اللغة، الأزهرى: (قوم) ٢٦٧/٩.

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل: (قوم) ١٨٧٨/٣.



ثانياً: القيم في الاصطلاح:

تُعدّ القيم في عمومها من أهم الركائز التي تُبنى عليها المجتمعات، وتُقام عليها الأمم، وتتعلق القيم بالأخلاق والمبادئ، فهي معايير عامّة وضابطة للسلوك البشريّ الصحيح.

وقد اختلف العلماء في تحديد مصطلح القيم وذهبوا مذاهب شتى لما للمصطلح من مدلولات يصعب الإلمام بها جميعاً، وهذا ما أشار له بعض الباحثين؛ إذ ذهبوا إلى عدم الاتفاق بين العلماء حول معنى القيم، موضحاً أن القيم في قلب الحياة والفعل البشري، وتمثل تصورات من شأنها أن تفضي إلى سلوك تفضيلي أو محاكاة ومعايير الاختيار بين معايير معينة للسلوك^(١)، ومنهم من يذهب إلى أنّ القيمة تصور واضح أو مضمّر يميز الفرد أو الجماعة ويحدد ما هو مرغوب فيه بحيث يتيح لنا الاختيار من بين أساليب متغيرة من السلوك والوسائل والأهداف الخاصة بالفعل^(٢)، وهناك من يرى أنّ القيم معنى ينطوي على مضمون واقعي تقبله جماعة اجتماعية معينة، أو هي أيّ شيء له قيمة عندما يكون موضع اهتمام أو نفع أو شغف، فهو يعدّ قيم بذاته، على حين يرى آخرون أنّها فعل مقبول اجتماعياً وثابت نسبياً ذو صفة معيارية في توجيه سلوك الجماعات والأفراد نحو إشباع حاجاتهم بطريقة جماعية^(٣).

وهناك من يرى "أنّ القيم هي التفضيلات أو الأشياء المفضلة لدى الإنسان أو الجماعة، ويقسمها على قسمين: قسم إيجابي يجلب اللذة، وآخر سلبي يجلب الألم"^(٤)، كما عُرفت بأنها: عبارة عن عنصر في نسق رمزي مشترك، يعدّ معياراً أو مستوى للاختيار بين بدائل التوجيه التي توجد في الموقف، وهذا معناه أن القيم تمثل معايير أساسية وعامة يشارك فيها أبناء المجتمع، وتسهم في تحقيق التكامل وتنظيم أنشطة الأعضاء^(٥)، والقيم في نظر بعضهم هي معايير مثالية، توجه السلوك من داخل الفرد، أي أنها في جوهرها شخصية ذاتية، في حين أن المعايير الاجتماعية

(١) ينظر: علم الاجتماع العام، كمال التابعي، وعلي المكاوي: ص ٢٤

(٢) ينظر: قاموس علم الاجتماع، محمد عاطف غيث: ٥٠٢.

(٣) ينظر: الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، مقداد يالجن: ٣٠١.

(٤) قاموس علم الاجتماع، محمد عاطف غيث: ٨٤.

(٥) ينظر: علم الاجتماع العام كمال التابعي، وعلي المكاوي: ٢٤

تمثل قواعد أو توقعات من الجماعة لسلوك أو اتجاّه معين، أي أن مصدرها جماعة وليس الفرد^(١)، ومن الباحثين من يرى القيمة هي: "الحكم الذي يصدره الإنسان على شيء ما، مهتدياً بمجموعة المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه والذي يحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك"^(٢)، ويعرّفها أحمد زكي بدوي بأنها: "أحكام مكتسبة من الظروف الاجتماعيّة، يتشرّبها الفرد ويحكم بها وتحدد مجالات تفكيره وتحدد سلوكه وتؤثر في تعلّمه"^(٣).

يبدو من هذه التعاريف أنّها لم تلتفت إلى القيم الباقية والثابتة عبر العصور التي أكدتها الأديان السماوية ومنها الدين الإسلامي، التي تتعالى على الزمان والمكان، وجاء في القرآن الكريم مجموعة من القيم؛ لذا يُعدّ القرآن الكريم مصدراً مهماً ينهل منه العقل السلوكيات التي توجه الفرد والمجتمع نحو العمل الصحيح أو تمنعه وتحد من سلوكه نحو العمل الخاطيء، وينشأ ذلك عن تفاعل المدركات العقلية لدى الفرد مع الوجدان أو مع الضمير، ويصدر عنه تطبيق مواقف حياتية مختلفة بما يكفي لتوجيه سلوكه على ضوء نسق القيم التي جاء بها القرآن الكريم والدلالات القيمية التي يمثّلها.

(١) ينظر: موسوعة القيم والأخلاق الإسلامية، إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: ١٦

(٢) القيم والعادات الاجتماعيّة، فوزية دياب: ٥٢.

(٣) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعيّة، أحمد زكي بدوي: ٤٣٨.



ثالثاً: مفهوم القيم في الفكر الإسلامي:

اختلف مفهوم القيم عند كثير من العلماء والمفكرين، وحاول بعضهم تحديد مفهوم القيم من منظور إسلامي، فتوصل إلى أن صفات الله تبارك وتعالى هي صلة الربط بين التصور القرآني للكون والحياة والإنسان وبين قيم الحياة من عقيدة وفكر وسلوك، فمن هذه الصفات المثلى يُقيم القرآن الكريم ميزاناً لضوابط القيم.

إنَّ القيم في الاستعمال القرآني تُفيد ما يمكن أن يُتخذ هدفاً يسعى المؤمنون إلى تحقيقه، وهو في الوقت نفسه تقوم عليه دعائم أخرى تتصل بتلك الأمة أو الجهة الملزمة بتلك القيم والمتبنية لها، وتلك الأهداف تنهدم بانهدام تلك القيمة أو اختفائها، فالقيمة هنا تؤدي وظائف كثيرة، وكلُّ منها في غاية الأهمية^(١)، والإسلام يُبين المثل العليا ويجعلها متجاوبة مع الفطرة الإنسانية ممَّا يوفر لها العمومية والسيادة والإطلاق على مرِّ العصور، لأنها مستمدة من إرادة الله تبارك وتعالى، فالقيم في الفكر الإسلامي هي كلُّ لا يتجزأ تنبع من تصور القرآن الكريم للكون والحياة والإنسان، وهي كما يصورها القرآن الكريم جزء من العقيدة وعنصر من عناصر الإيمان، وهي في مجموعها متكاملة يؤدي بعضها تلقائياً إلى بعض، "لأنَّ الإسلام كلُّ لا يتجزأ بقيمه ومبادئه، لذلك كانت القيم في القرآن الكريم هي مقومات المجتمع المسلم وهي العناصر الرئيسية لحضارة الإسلام، وبقدر سيادتها في المجتمع وتطبيقها متكاملة في واقع الحياة يكون المجتمع مسلماً وتنشأ بها حضارة إسلامية ذات مقومات أساسية"^(٢).

وإذا كان مصدر القيم هو الله (تبارك وتعالى)، فليس معنى ذلك أن الله (تبارك وتعالى) يفرض هذه القيم فرضاً على الإنسان ليقبلها رغماً عنه أو أن يكون الأمر الإلهي سلطة مطلقة مكتفية بنفسها؛ بل أنَّ القرآن الكريم يحرص كل الحرص على أن يأتي تقبلنا للقيم القرآنية تقبلاً حرّاً مبنياً على القناعة الشخصية بحقيقة هذه القيم وأصالتها، وفضلاً عما سبق في كون القيم في الإسلام من مصدر إلهي، فإن ذلك

(١) ينظر: الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، مقدار بالجن ٣٠١.

(٢) القيم في القرآن الكريم دراسة في ضوء اللسانيات الاجتماعية، مالك طغوان ضعيف القرشي: ٢٠.

يدعم حرية الإنسان ويصون طاقاته من التبدد والضياع، وبهذا تصبح للقيم أهمية في تحقيق التوازن النفسي للفرد وتحقيق تكيفه مع الجماعة وبالتالي فإنَّ فقدان الإنسان لقيمه يؤدي بالضرورة إلى فقدان هذا التوازن وما يصاحب ذلك من شعور حزين^(١). إنَّ للقيم أهمية في تأكيد توازن المجتمع واستقراره، فعندما يسود المجتمع الوعي الكامل بقيمه ومبادئه عند ذلك ترتبط المصالح المادية والمعنوية والاجتماعية والإنسانية، فينظر المجتمع لكل فرد من أفرادِه على أنه عضو له مكانته وأهميته بالنسبة لحياة الجماعة، وبالتالي ينظر الفرد إلى أن حياته مرهونة بحياة الجماعة، ومن ثم يمتنع من تلقاء نفسه عن أي عمل من شأنه الإضرار بمجتمعه. واستناداً لما تقدم يظهر للباحث أن القيم المقصودة في هذه الأطروحة هي جميع ما جاء به القرآن الكريم من مفاهيم تعمل على رسم شخصية الإنسان المؤمن بها، والتي توجهه بالاتجاه الصحيح، كما تحدد السلوك الاصلاح الذي يجب عليه سلوكه، والابتعاد عن السلوك المرفوض دينياً واجتماعياً، فهل تشمل العقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق، والفكر السياسي والاجتماعي، وكل ما يصب في وعي الإنسان وسبب في الارتقاء به في مدارك الحياة الدنيوية والأخروية.

(١) ينظر: القيم في القصص القران الكريم، عبدالله أحمد حريري ٧٣.



المطلب الثاني: أنواع القيم

تتنوع القيم بحسب الوظيفة التي تقوم بها، وعلى هذا الأساس فإن هناك قيمًا مطلقة ونسبية، فالقيم المطلقة هي التي تؤدي وظائفها في سائر جوانب الحياة، ونظمها ومنظوماتها، والقيم النسبية هي التي تؤدي وظائفها في جانب محدد، والقيم المطلقة مشتركة بين البشرية؛ مثل قيم الخير والحق والجمال وما إليها، والقيم النسبية تأخذ حيزًا أقرب إلى الخصوصية^(١)، ويمكن تصنيف القيم بالمجمل على أنواع ثلاثة هي^(٢):

أولاً: القيم الإلزامية: وهي قيم ذوات قداسة تُلزم الثقافة لأفرادها، وتشمل النواهي والفرائض، ويرجى من المجتمع تنفيذها بحزم وقوة سواء عن طريق العرف أم قوة الرأي العام أم القانون أم عن طريق الكل معًا، ومن ذلك القيم التي ترتبط بتنظيم العلاقات بين الجنسين مثلاً، أو بمسؤولية الأب نحو أسرته أو بتحديد حقوق الفرد ووقايتها من عدوان وغير ذلك.

ثانياً: القيم التفضيلية: وهي القيم التي تشجع أفراد المجتمع على الاقتداء بها تبعاً لها، ولكنها لا تحتل مكانة الإلزام أو القدسية التي تتطلب العقاب الصارم الحاسم الصريح لمن يخالفها، ومن أمثلة ذلك النجاح في الحياة العملية والحصول على الثروة والارتقاء في ميدان العمل وكذلك ضروب المجاملات في العلاقات غير الرسمية.

ثالثاً: القيم المثالية: التي وإن كان المجتمع بأفراده وفئاته المختلفة يحس استحالة تحقيقها بصورة كاملة؛ فإنها تؤثر تأثيراً قد يكون بالغ القوة في بعض الأحيان في توجيه سلوك الأفراد، ومن أمثلة القيم التي تدعو إلى مقابلة الإساءة بالإحسان، فقد يعجز الفرد في واقع الأمر عن الالتزام بها، ولكنه مع ذلك إذا تبنّاها فقد عدل كثيراً من سلوكه حيال من يعتقدون عليه أو يسيئون إليه، ومنها أيضاً؛ القيمة التي تتطلب من الإنسان أن يعمل لدُنياه كأنه يعيش أبداً ولآخرته كأنه يموت غداً، وهي القيمة التي تتطلب الكمال في أمور الدين والدنيا معاً، وهذه وإن كان تحقيقها

(١) ينظر: القيم بين الرؤية الإسلامية والرؤية الغربية المنهج المعرفي القرآني، طه جابر العلواني: ١٠٣.

(٢) ينظر: القيم الشخصية في ظل التغيير الاجتماعي، بو عيط سفيان: ٨٢.

الكامل أمراً عسيراً ويكاد يكون مستحيلًا في نظر المؤمنين بها إلا أن أثرها عند هؤلاء قد يكون بالغًا في توجيه سلوكهم^(١).

يُلاحظ أن للقيم أنواعًا تارة تكون ملزمة لجميع أفراد الجنس البشري، ومنها تفضيلية وهي غير ملزمة كالأولى، ومنها مثالية ويطلبها من يريد الكمال في الدين والدنيا، وجميع القيم المذكورة توجه السلوك البشري نحو الأمور الصالحة والدرجات الرفيعة العالية، والقيم التي جاء بها القرآن الكريم تدخل في القيم جميع أنواع فجدد القيم الإلزامية التي تتمثل في التشريعات التي تلزم الأفراد بإتباع سلوك معين وهي كثيرة منها ما يختص بالعبادة ومنها ما يتعلق بالمعاملات، ونجد كذلك القيم التفضيلية التي دعا إليها الإسلام في التنافس على العمل الصالح، وإما القيم المثالية فالقرآن زاخر بها مثل القيم التي تحت على الأخلاق والترفع عن الإساءة للمسيء وغير ذلك. ومما لا شك فيه أن هناك مصادر تستمد منها القيم مثل الدين والمعتقدات والتراث والعلاقات الاجتماعية والثقافية، كما تُعد القيم جزءاً بارزاً في الإطار المرجعي للسلوك في الحياة العامة وفي مجالاتها المختلفة دينياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وفنياً^(٢)، وأبرز مصادر القيم هي الأديان؛ إذ تُعد الأديان مصدراً ثرياً لاستلهام القيم ولاسيما في الإسلام؛ إذ كان القرآن الكريم دستوراً يحفظ فيه سلوكيات تُبنى على وفقها القيم جميعها، والمسلمون يستمدون قيمهم من القرآن الكريم، التي تتحقق التواصل؛ إذ أن القيم التي جاء بها القرآن الكريم لها أثر كبير في جعل المتلقي يتفاعل معه، ويتأثر به.

إنّ القيم القرآنية تجعل الإنسان متأثراً ومتفاعلاً معها؛ لأنه لا يمكن أن يغير سلوكه إلا بالنظر إلى ما يتلقاه من جهة أخرى أو شخص آخر مخالفاً لما عرفه من قبل وليس تكراراً لما كان سائراً عليه.

إنّ القرآن الكريم يخاطب المتلقين بقيم تخلق عملية التفاعل التواصلية، وذلك لما لهذه القيم من تأثير على المتلقي سواء كان تأثير نفسي أو فكري، فهو بتلك القيم

(١) ينظر: قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية، نجيب اسكندر ابراهيم: ٢٠١٩.

(٢) ينظر: موسوعة القيم والأخلاق الإسلامية، اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: ١٢.

يصل إلى شغاف القلوب ويخترق حجب الجهل ليصل بالعقول إلى قمم المعرفة، وهذا يرتكز على صياغة الدليل؛ إذ للدليل أهمية كبيرة في صياغة الخطاب وهو قضية جوهرية في تبيان المقاصد ذلك بأنّ هناك علاقة تواصلية بين الخطاب على تنوع مستوياته الداخلية والخارجية، وبين المتلقي ممّا يجعلنا نؤمن إيماناً جازماً بأنّ مستويات الإدراك والفهم لا تسير على نمط واحد، وإنّما هي أبعاد يتلقاها المتلقون حسب طبيعة الدلائل التي ترسم على واقع الفكر الإنساني.

من الأمور الأخرى المؤثر على العملية التواصلية التي تخلقها القيم أنّ مجهود المتلقي في الفهم والإدراك لتلك القيم يؤدّ لديه فعلاً تواصلياً، يجعله يشعر بمشاركة المرسل في إنتاج قيم القرآن الكريم عن طريق السعي لنقلها إلى غيره من الناس؛ وذلك قائم على انفتاح الخطاب القرآني؛ فالخطاب القرآني خطاب مفتوح، "وانفتاحه يعني تولّد مقاصده لدى الفرد تبعاً لأبعاد الزمن والمكان والتأهل المعرفي، فما هي إلا خطوة نقطعها أو خطوتان فنلفي أنفسنا في قضية الإدراك؛ تلك التي كان رمزها الأوفى في الخطاب القرآني مجسماً بمفهوم (التدبر)"^(١).

وبهذا يكون التواصل قائماً على جودة الفهم وحسن التدبر وهذا يدعو المتلقي إلى التضامن والتفاعل مع القيم القرآنية؛ لأن القرآن الكريم يخاطب المتلقين على قدر مقاماتهم؛ لغرض الإفهام وخلق عملية التواصل؛ لأنّ ذلك قائم على ما يبذله المتلقي من مجهود في إدراك وفهم النص، وهذا يؤدّ لديه فعلاً تواصلياً، يجعله يشعر بمشاركة مبدع النص في إنتاج مقاصده.

يتجلى الإعجاز التواصلية في القيم القرآنية بما تحقّقه من تفاعل قوي بينها وبين المتلقي؛ لأنها تخلق فعلاً تواصلياً مع القرآن الكريم؛ لأن هذه القيم تؤثر في المتلقي بما تتملك من فرادة وجاذبية في آن واحد، من هنا تبدأ عملية التفاعل بين المتلقي والقرآن الكريم، والسبب في خلق القيم تواصل بين المتلقي والقرآن الكريم هو أنّ القيم القرآنية تصل إلى أعماق روح المتلقي وعقله؛ فهي تُثير الانتباه، وتحرك العواطف والمشاعر، فالخطاب القرآني ذو التشكيل التصوري يجعل المتلقي أكثر

(١) الخطاب القرآني وأسرار التلقي، عبد السلام المسدي: ٦٠

انتباه له، ويجعله ينسجم معه، وبهذا يكون التواصل قائماً على التفاعل مع تلك القيم التي تجعل الفكر الإنساني مشغولاً بها، وأنّ الربط بين المحور الجمالي والمحور الواقعي داخل في صميم التواصل الذي يركز على التفاعل المتحكم بالأنظمة الرمزية في مجال الآداب السردية^(١)، إذ تُعنى نظرية التواصل بكيفية إيصال رسالة معينة إلى المتلقي عبر التراتبية الألسنية المعروفة المتكونة من (المرسل) و(الرسالة) و(المرسل إليه)^(٢).

إنّ القيم القرآنية بتنوعها تشكل اعجازاً توأصلياً؛ وذلك لأنها تستند في فاعليتها إلى قدرة الذهن البشري على التحليل والاستنتاج، والكشف عن الدلالات بناء المعاني، وتوسيع المدارك ومستويات التفكير، وهذا التفاعل بين القرآن الكريم والمتلقي يكشف عن قدرته على استثمار طاقات المتلقي؛ فالقيم تُحرك فاعلية التواصل بين القرآن الكريم والمتلقي؛ وذلك عن طريق دفع المتلقي ليرسخ تلك القيم في فكره وسلوكه.

إنّ القرآن الكريم يمثل صورة تعبيرية ناتجة عن تفاعل الألفاظ مع الأساليب المشحونة بالدلالات ومحملة بالمشاعر والعواطف التي تمسّ الوجدان وتنصهر معه، فضلاً عن قوة التفكير التي لا تنفك، ويسفر عن ذلك تجلي التواصل بصورة إدراكية هادفة، وهذا قائم على قوتي النفس الإنسانية "قوة التفكير وقوة الوجدان"^(٣)، والقرآن الكريم يخاطب هاتين القوتين في آن واحد؛ لأنهما تصبان في إثارة المتلقي، ومن ثم التفاعل معه؛ ليتحقق التواصل بأعلى درجاته التي تصل إلى مستوى التفرد، بل الإعجاز؛ أي الإعجاز التوأصلي.

إنّ ما جاء به القرآن الكريم في المكان العربي والإسلامي، يمثل على صعيد اللغة والعقيدة ونظم الحياة، صورة لحضارة أقامها على ما أرادها مبدعه خلقاً وإبداعاً، وهذا يعني أن الأشياء به تكون بعد أن لم تكن، ولا يكون بالأشياء، ولقد نعلم بهذا أنه هو الذي يعطي للأشياء مفهوماً حضورياً في المكان، وتفسيرها وجوداً في

(١) ينظر: موسوعة السرد العربي، عبد الله إبراهيم: ١١

(٢) ينظر: فلسفة التواصل، جان مارك فيري: ٩.

(٣) النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز: ١١٣

الزمان، وهو الذي يجعل لها افقاً حضورياً؛ إذ به تكون جميع الأشياء التي تقوم عليها الحضارة.

إنّ القرآن الكريم قد نقل المجتمع من مع الظواهر إلى التعامل مع القوانين المنتجة للظواهر، ومن مجتمع يكرس الأشياء إلى مجتمع ينظم الأشياء، ومن مجتمع يتحسس الوقائع في الأعيان إلى مجتمع يقيم متصور الوقائع في الأذهان، ويقول موجز لقد جعل القرآن من العقلانية أفقاً حضارياً لقيام المجتمعات، وذلك بتحفيزها لإقامة المتصورات عن الوقائع^(١)، ومن ثمّ أنّ استمرار أي عمل أدبي مرهون بجمهوره؛ لذا فتاريخ العمل هو تاريخ الجماهير المتعاقبة المتلقية لذلك العمل، فالأدب يتعالى بناء على تأثيره في المتلقي، والتأثير من المؤكد يكون بناءً على القيم التي يطرحها، وكلما كانت القيم لها ارتباط بالنشاط الإنساني تجعل تواصلية النص مرتفعة، فبتلك القيم يمكن للإنسان إن يتعالى على وضعه الطبيعي؛ ليصل إلى أرقى مراتب الإنسانية، فكلما كانت تلك القيم تثري الوجود الإنساني بمبادئ عليا، وهذا ما جاء به القرآن الكريم؛ إذ أن القرآن الكريم متسامياً ومتفرداً عمّا سواه من النصوص بقيمه التي جاء بها، وبهذا يصبح التفرد والتسامي إعجازاً؛ إذ تحدى الله تعالى الجميع على الإتيان بمثل ما جاء به القرآن الكريم، لكن الخلق عجزوا عن ذلك.

وكلما كانت تلك القيم جديدة ولم تكن معروفة أو طرحت بطريقة تجعل منها ركائز لبناء فكر إنساني جديد تخلق حالة من التفاعل معها، وهذا ما نجده في القيم القرآنية؛ إذ هي قيم قائمة على تعرية الواقع الفكري للبشرية من الأوهام والخرافات، وخلق حالة من التفكير في الحقيقة والمعقولية، ويضاف إلى ذلك خصوصية للقيم القرآنية وهي تآزر المجموع الكلي للقيم لتشكل حركة الخطاب القرآني؛ فنلاحظ القيم الأخلاقية تآزر القيم التاريخية، والقيم الوجدانية تآزر القيم الشرعية، فتعطي للخطاب فاعلية تواصلية، فهي تجعل المتلقي يتفاعل معها؛ لأنها تلبّي حاجات المتلقي الفكرية والنفسية، وبهذا الانسجام بين القيم يكون القرآن الكريم أكثر تواصلية؛ بل متفرداً ليصل إلى إعجازه التواصلية.

(١) ينظر: القرآن والتلقي من الإعجاز والمجاز إلى الإسطورة والخرافة، منذر عياشي: ٦٠

ويكمن الإعجاز التواصلي في مدى عجز الناس وعدم قدرتهم على الإتيان بمثل القيم القرآنية التي تخلق تواصل؛ إذ لا يمكن أن يخلقه أي خطاب أو نص آخر؛ فالقرآن الكريم يحول كل ما يدركه الوعي الإنساني بحسه إلى كلمات تُشكل صورة العالم الذي يعيشه والذي لا يعيشه في آن واحد، فهو "يستثمر الحضور في وعي المتلقي لكي يحول كلّ محتويات هذا الحضور إلى علامات دالة على الخالق المنعم"^(١).

وقد عرفت الإنسانية على امتداد تاريخها الطويل، أنماط عدة من الثقافات، منها ما تعاقب، ومنها ما تعاصر، ومنها ما تألف أو تنافر، وظلت عجلة هذا تعاقب بكل محتوياته، إلى أن جاء القرآن الكريم، فأرسى كياناً مدنياً جديداً قوامه العلم والمعرفة، وحارب خرافات الجهالة والتهيه، وبذلك أرسى حضارة جديدة ذات خصائص اجتماعية وثقافية وسياسية فريدة من نوعها، وأرسى فكراً تنويرياً، استطاع أن يضع دستوراً واضحاً لمسيرة المجتمع الإنساني^(٢).

والخصائص الفكرية التي أرساها القرآن الكريم تقوم على قيم يزخر بها من أول لفظ إلى آخر لفظ به، لذا ليس من السهل أن نقف على جميع القيم القرآنية في هذا الفصل فهي تحتاج إلى مجلدات، لذا سأخذ بعض القيم القرآنية لبيان إعجازها التواصلي بما يسع له هذا الفصل، وبما أنّ القيم كثيرة ومتشعبة لا يسع البحث إيرادها كلها؛ إذ سيكون التركيز في هذا البحث على مجموعة من القيم التي تُبين الإعجاز التواصلي للقرآن الكريم.

(١) جمالية الخطاب القرآني برؤية معاصرة، سلام كاظم الالوسي: ١٦

(٢) ينظر: التواصل الحضاري، عيسى الطيب طيبي، مقال، الموقع، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، تاريخ، ٢٠١٠/٦/١٠



المبحث الثاني: القيم الإنسانية

تنوعت القيم الإنسانية في القرآن الكريم، ومن أجل الوقوف على القيم الإنسانية التي وردت فيه، أذكر بعضها على النحو الآتي:

المطلب الأول: القيم الوجدانية

هي القيم التي يلامس بها القرآن الكريم وجدان الإنسان وضميره، ويكمن إعجازها التواصلية بترسيخ مقاصد القرآن الكريم في وجدان المتلقي، فالقرآن الكريم خاطب القلب السليم المنفتح للحق؛ ليتفاعل معه فيعرف أنوار الهداية والعلم، ولا يكون ذلك إلا لقلب معافى من أسقام تورث منتجاً فكرياً سقيماً مثله، لقد جاء الخطاب القرآني على شكل تحفيز عاطفي ومخاطبة وجدانية وروحية، فجعل التأمل والنظر وإثارة الشعور أساليب لمخاطبة الوجدان؛ لكي تسمو الروح وتكتسب القدرة على التذوق الرفيع الذي يوصلها إلى حب الله وطاعته.

إنّ القرآن الكريم يسمو في وسائله، وفي غاياته فيخاطب العقل ويستهوئ الوجدان؛ سعياً إلى التأثير من جهة العاطفة؛ لأن العاطفة قد تكون عند كثير من الناس أقوى فتكون هي نافذة الوصول إلى الاقتناع العقلي، وحينئذ يكون الاستهواء الوجداني وسيلة إلى الاستحواذ النفسي والعاطفي، ويكون هذا من أهم النوافذ إلى تقبل العقل واقتناعه، فالإنسان بطبيعته إذا أحب شيئاً مال إليه واقتنع به.

إنّ القيم الوجدانية تشكل إعجازاً تواصلياً؛ وذلك لأنها تُتيح للمتلقي الوقوف على المعنى وإدراكه ضمن مستوى التفاعل العاطفي والوجداني، وبذلك تُؤسس التواصل على تصورات وجدانية؛ فهي تقوم على معطيات تأثيرية متنوعة، وكذا تقوم على التعبيرات المتنوعة يكتنزها القرآن الكريم.

إنّ القرآن الكريم خاطب وجدان الإنسان وهزّ شعوره الداخلي، عن طريق تشكيل صور تحاكي خلجات ومكونات النفس البشرية، فمن خصائص الصور القرآنية أنها تتحرك بأبعاد ثلاثة نحو القلب والنفس والعقل، فتملأ القلب بالرضا والعقل بالحجة والنفس بالبصيرة وعظيم التصوير، مع نبيل المقصد وسمو الهدف

وعدم التفاوت في الأسلوب^(١)، والقيم الوجدانية تقوم على قوة التأثير في نفس المتلقي وذلك عن طريق اختيار العبارة واختيار الموضوع، فإنه "لا يكون لإحدى العبارتين مزية على الأخرى، حتى يكون لها في المعنى تأثير لا يكون لصاحبتهما"^(٢).

وهذه القيم تشكل الإعجاز التواصلي؛ إذ أن القرآن الكريم "لم يدار الأمر فيه إلا على سياسة النفوس البشرية ورياضتها؛ لأن الفن هو نجوى الوجدان، والدين هو حديث الاعتقاد وخطاب القلوب فصلته بالنفوس، ومناجاته للروح أوضح من أن يستدل لها"^(٣)، ثم إن القرآن الكريم راعى القيم النفسية والوجدانية هادياً ومستدلاً ومجادلاً ومثيراً ومقنعاً هذا ما جعله في قمة التواصل مع المتلقي، فأخذ بتلك النفوس الحائرة والقلوب الضالة إلى الإيمان الخالص، وبهذا أضحت تلك القيم الوجدانية دليلاً على الإعجاز التواصلي.

والقرآن الكريم وإن خرج على أعلى طبقات اللغة، غير أنه أتى بذلك من وراء النفس لا من وراء اللسان، فجعل من نظمه طريقة نفسية بطريقة لسانية، وأدار المعاني على سنن ووجوه تجعل الألفاظ كأنها مذهب هذه المعاني في النفس^(٤).
إن القيم القرآنية تقوم على تحريك الجانب الوجداني في المتلقي، وبهذا يخلق تواصلاً معه عن طريق تحريك مشاعره، والشيء المهم في القيم الوجدانية لتكشف الإعجاز التواصلي أنها تبرز الطاقات الذهنية التأويلية والإدراكية القادرة على تعميق الفهم وتحصيل الغاية من الخطاب، فهي لا تجعل المتلقي يقف على عتبة التأثير المجرد فقط؛ بل تجعل الوجدان محركاً للذهن، وبهذا يتواشج التفكير من الوجدان؛ إذ إن القيم الوجدانية تحرك فاعلية الفهم لدى المتلقي بالشكل الذي يدفعه إلى طلب المعنى لتحقيق الإدراك، وهذا ما يجعل القيم القرآنية تنماز بتفرد لها، وهو ما قام عليه التحدي الذي يتعذر مواجهته، وهذا التعذر هو عين الإعجاز المتمثل بتواصل القرآن الكريم.

(١) ينظر: توظيف علم الدلالة المعجمي في حقل التفسير القرآني، عبد الرحمن طعمة: ٤٣

(٢) دلائل الإعجاز، الجرجاني: ٢٥٨

(٣) القرآن وعلم النفس، عبد الوهاب خلاف: ٧٧

(٤) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى الرافي: ١٨١

والكيفية التي تؤدي بها القيم الوجدانية إعجازها تواصلها تكون عن طريق خلق التفاعل القائم على الشكل التصوري لتلك القيم "لقد لمس القرآن الوجدان؛ واتبع في ذلك طريقة التصوير؛ فبلغ الغاية بمادته وطريقته، وجمع بين الغرض الديني والغرض الفني، من أقرب طريق ومن أرفع طريق"^(١)؛ فتلك القيم لها قدرة تأثيرية؛ لأنها تكشف عن الدلالة القصدية، فهي تحاور الوجدان والضمير، ثم إنها تركز على التفاعل والانفعال، وهذا يصدر عن تداعيات الوجدان الإنساني الذي يتمثل في هواجس الروح، ويستبطن عمليات خلق المعنى في آن واحد؛ لأن المتلقي يكون بينه وبين قيم القرآن المعبر عنها بالوجدانيات صلة، فلم يكن وجود القيم الوجدانية وغيرها من قيم القرآن الكريم وجوداً اعتباطياً؛ وإنما لها وجود فاعل ينصب على تحفيز الجهد الإدراكي والنفسي لدى المتلقي.

والقيم الوجدانية في القرآن الكريم تخلق التواصل عن طريق التفاعل؛ وذلك بالاستجابة النفسية للمتلقي تجاهها؛ إذ أنها تقوم بالتأثير في المتلقي، فالإعجاز التواصلية بهذه القيم قائم على بناء الانسجام بين القلب والعقل، بين عالم المادة وعالم الروح وأن هذا الانسجام قائم على كشف الرؤية الداخلية للنفس وتفكيكها ومن ثم إعادة صياغتها من جديد، وانسجام ذلك مع بنى العقل، وبهذا يكون القرآن الكريم قد خلق إعجازه عن طريق تواصله، مما سوغ لنا تحديد وجه الإعجاز فيه بالتواصل. وهذه القيم تخلق تواصلاً، وبها يتبين إعجاز القرآن التواصلية، ومن الأمثلة على ذلك:

- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٢).

إن الآية المباركة تُبين العلاقة بين المتكلم (الله) والمتلقي (الإنسان) التي تبدأ من الوجدان، الذي مركزه قلب الإنسان، ولها مقدمات وأول تلك المقدمات هي الإيمان بالله، وهو قائم على توحيده، والمقصود من ذلك "الذين اعترفوا بتوحيد الله

(١) التصور الفني في القرآن، سيد قطب: ٢٣١

(٢) سورة الرعد: الآية ٢٨

على جميع صفاته ونبوة نبيه وقبول ما جاء به من عند الله (ﷺ) وتسكن قلوبهم بذكر الله وتأنس إليه^(١)؛ وذلك لأن الإيمان يعني مطاوعة وقبول خاص من النفس لما أدركته ثم تسليمها لذلك، ومن ثم شعورها بالراحة، وبعد ذلك تأتي "مطاوعة سائر القوى والجوارح وقبولها له كما طاعته النفس وقبلته فترى المعتاد ببعض الأعمال المذمومة ربما يدرك وجه القبح أو المساءة فيه غير أنه لا يكف عنه؛ لأن نفسه لا تؤمن به، ولا تستسلم له وربما طاعته وسلمت له بعد ما أدركته وكفت عنه عند ذلك بلا مهل وهو الإيمان"^(٢)، وسكون القلب بذكر الله (ﷺ)، لا يكون إلا باليقين؛ لأن الاضطراب بالشك، وطمأنينة القلب يزول بزوال الشك منه واستقرار اليقين فيه^(٣)، وبما يكون اليقين، يكون بوحدانية الله، أو الدلائل الدالة عليه ومنها القرآن الكريم؛ لأنه معجزة بيّنة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيه^(٤).

كما جاء في بيان الآية "إنّ الموجودات على ثلاثة أقسام: مؤثر لا يتأثر، ومتأثر لا يؤثر، وموجود يؤثر في شيء ويتأثر عن شيء، فالمؤثر الذي لا يتأثر هو الله سبحانه وتعالى، والمتأثر الذي لا يؤثر هو الجسم، فإنه ذات قابلة للصفات المختلفة والآثار المتنافية، وليس له خاصية إلا القبول فقط، وأما الموجود الذي يؤثر تارة ويتأثر أخرى، فهي الموجودات الروحانية، وذلك لأنها إذا توجهت إلى الحضرة الإلهية صارت قابلة للآثار الفائضة عن مشيئة الله تعالى وقدرته وتكوينه وإيجاده وإذا توجهت إلى عالم الأجسام اشتاقت إلى التصرف فيها؛ لأن عالم الأرواح مدبر لعالم الأجسام؛ فالقلب كلما توجه إلى مطالعة عالم الأجسام حصل فيه الاضطراب والقلق والميل الشديد إلى الاستيلاء عليها والتصرف فيها، أما إذا توجه القلب إلى

(١) مجمع البيان، الطبرسي، ٦/ ٣٠

(٢) الميزان، الطباطبائي: ١١/ ١٨٨

(٣) ينظر: تفسير القرآن، منصور بن محمد بن عبد الجبار: ٣/ ٩٢

(٤) ينظر: الكشف، الزمخشري: ٢/ ٤٩٧



- نجد القيم الوجدانية في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(١).

في هذه الآية تتضح فاعلية التوازن الوجداني في استجلاء حقيقة الأمور والاستبصار في دقائقها، فالإنسان المتزن وجدانياً يعي حقيقة الأمور على العكس الإنسان المضطرب والقلق، فإن الأمور عنده تسودها الضبابية، وهذا كله نابع من إيمان الشخص، لهذا نجد الآية قد بينت أن التوازن الوجداني قيمة عليا يمثلها السلوك، وتثبتها المواقف، فهي تشير إلى جمع من الناس قد أخبر بالخطر المحدق بهم، لكن اتزانهم الوجداني، جعل عدم المبالاة بذلك الخطر هو حالهم؛ بل أكثر من ذلك زادهم إيمان، ويقين بالله.

والقيم الوجدانية تكمن في هذه الآية ببيان أن الإيمان يتفاوت زيارة ونقصان، وزيادة الإيمان تكون بتطافر الحجج، وكثرة التأمل^(٢)، وهذا يخلق تواصلية القرآن الكريم القائم على هذه القيمة الوجدانية، التي تركز على حقيقة مفادها أن الاتزان الوجداني هو من يرفع من إيمان الإنسان ويقينه بالله تعالى؛ ف" كان هذا هو المنطق الوجداني الذي جادل به القرآن وناضل، وكسب المعركة في النهاية"^(٣)؛ فاليقين هو الذي يجعل الإنسان متزن، وهذا يؤدي إلى تغلبه على المواقف السلبية كافة التي تعترض مسيرته.

إنّ التفاعل مع هذه الآية يقوم على بيان القيمة الوجدانية التي لها تأثير في سلوك الفرد في الموقف الذي يتطلب فيها تغلب القوة القلبية على جميع القوى الأخرى، فلا مجال هنا لحساب الاحتمالات، فالكثرة في موازين القوى غالبية، لكن عندما يكون القلب ثابتاً من الممكن أن تتغير النتائج، فهذا القيمة لم يعرفها علم النفس إلا بعد التجارب الطويلة، لكن القرآن الكريم وضع اليد عليها منذ نزوله، وبهذا يكون قد أسس لإعجازه التواصلية، وذلك بمعرفته بمكونات النفس الإنسانية وما تنطوي

(١) سورة آل عمران: الآية ١٧٣

(٢) ينظر: محاسن التأويل، القاسمي: ٤٦١ / ٢

(٣) التصور الفني في القرآن، سيد قطب: ٢٢٩

عليه، ففوة الإيمان تجعل من ذلك الإنسان الذي يخشى الكثرة ويشعر بالرعب من اصطفاة الإعداء ولا يبالي بعددهم وعدتهم ولا يخشاهم، فهل من أحد قادر على بيان ذلك غير مُرسِل القرآن الكريم (الله)؟ وهل هناك رسالة تحمل هذه الشفراء التي تجعل المتلقي لها يتفاعل معها، ويتأثر بها وتعطيه من القوة ما تجعله لا يهاب أي قوة في العالم، فهو يرى أنّ الله حسبه وهو نعم الوكيل؟

الجواب لا فلا خطاب غير القرآن الكريم قادر على أن يأتي بهذه القيم ويجعل المتلقي له يتفاعل معها، وهذا ما يُثبت الإعجاز التواصلي للقرآن الكريم.

• ومن الآيات التي تحمل قيم وجدانية قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾^(١).

القيمة الوجدانية في هذه الآية تقوم على حقيقة مفادها أن ما ينال الإنسان من ضنك العيش سببه الإعراض عن ذكر الله، ومعنى ذلك أن المعيشة الضنك تأتي حين تنطمس النورانية الإيمانية عند الإنسان، وحين لا يحافظ على إشراقية هذه الذرة التي شهدت خلق الله، وشهدت له بالربوبية، ولو حافظ عليها لظلت كل التعاليم واضحة أمامه، ولما غفل عن منهج ربه هذه الغفلة التي جرّت عليك المعيشة الضنكة^(٢).

إنّ الإنسان إذا أراد العيش مرتاح الضمير والوجدان ينبغي عليه أن يذكر الله، وإلا عاش في حالة الضنك التي سوف تأخذ "مجامع همه ومطامح نظره تكون إلى التحيل في إيجاد الأسباب والوسائل لمطالبه، فهو متهاك على الازدياد خائف على الانتقاص غير ملتفت إلى الكمالات ولا مأنوس بما يسعى إليه من الفضائل، يجعله الله في تلك الحالة وهو لا يشعر، وبعضهم يبدو للناس في حالة حسنة ورفاهية عيش ولكن نفسه غير مطمئنة"^(٣).

وإنّ ما جاء في هذه الآية يخلق تواصل بناء على هذه القيمة الوجدانية التي يتفاعل بها المتلقي معها، ومكمن التواصل في هذه الآية يقوم على جعل المتلقي يبحث

(١) سورة طه: الآية ١٢٤

(٢) ينظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي: ٧٢٩٥

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ٣٣١ / ١٦

عن كيفية ذكر الله التي يعيش معها حالة من سعة العيش، فالإنسان في هذه الحياة يشعر في كثير من الأحيان بحالة الضنك ولا يعلم ما السبب، لأنه يرى أنّ وسائل الراحة تحيط به من كل الجهات، لكن خالق النفس وبارئها يعلم السبب، لذلك يرسل له رسالة تُبين له السر في ما يكون سبب الراحة والاطمئنان وهي ذكر الله والارتباط به.

• نقف على قيمة وجدانية في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَا النَّاسَ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ

وَشَفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾.

القيمة الوجدانية في الآية الكريمة تربط بين أمرين:

الأمر الأول: الموعظة التي جاءت من الله لعباده.

الأمر الثاني: الشفاء الذي يحصل عليه العبد، والمقصود من الشفاء، هو تطهير "القلوب من أمراضها، كالشك والنفاق، والغل والغش، وأمثال ذلك، بتعليم الحقائق، والحكم الموجبة لليقين، وتصفيتها بقبول المعارف، والتنوير بنور" (٢)؛ فالشفاء يكون من أمراض القلب؛ أي من تلك الأمراض المعنوية والروحية كافة، إن شفاء الإنسان من تلك الأمراض المعنوية يكون على مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة الموعظة والنصيحة.

المرحلة الثانية: مرحلة تطهير روح الإنسان من مختلف أنواع الرذائل

الأخلاقية.

المرحلة الثالثة: مرحلة الهداية التي تجري بعد مرحلة التطهير.

المرحلة الرابعة: هي المرحلة التي يصل فيها الإنسان إلى أن يكون لائقاً لأن

تشمله رحمة الله ونعمته وكل مرحلة من هذه المراحل تأتي بعد المرحلة السابقة لها، والجميل في الأمر أنّها تتمّ جميعاً في ظل نور القرآن وتوجيهاته (٣)، ويوضح أمير

(١) سورة يونس: ٥٧

(٢) محاسن التأويل، القاسمي: ٣٥ / ٦

(٣) ينظر: الأمثل، مكارم الشيرازي: ٣٧٩ / ٦

المؤمنين علي (عليه السلام) في كلامه الجامع في نهج البلاغة هذه الحقيقة في أبلغ تعبير؛ إذ يقول: «فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على ولائكم، فإن فيه شفاء من أكبر الداء، وهو الكفر والنفاق، والغى والضلال»^(١).

والإعجاز التواصلي في هذه الآية يقوم على تفاعل المتلقي مع القيم التي جاءت فيها، وذلك في وقوف بدءاً على الأمراض النفسية التي يعاني منها، وبعد ذلك يقف على علاجها وهو التداوي "بالقرآن لهذا الداء الويل في عالم تتنازع الأهواء المادية والشهوات الجسدية والملذات الدنيوية، وإنما تحدث الأمراض النفسية حين يعرض الإنسان عن القرآن وعن ذكر الله أما العلاج والشفاء فهو قرين الذكر، ولكن ينبغي أن نعلم أن الاستشفاء بالقرآن يستدعي كمال اليقين وقوة الاعتقاد وسلامته"^(٢).

إنّ هذه الآية تبين التوازن المعرفة والارتقاء الروحي القائم على علاج الروح الذي يقضي على كل شك ويُطفئ براكينه إلى الأبد، أن هذه مبني على هذه القيمة الوجدانية التي تخلق تفاعلاً مع القرآن الكريم، وهذه التفاعل لا يقف عند التفاعل العادي؛ بل يصل إلى مستوى مفارق للعادة، الذي يمكن أن نطلق عليه مستوى إعجازياً؛ إذ ليس متيسر للنصوص خلق هكذا تفاعل؛ أي وصوله إلى ما جاء به القرآن، وعدم الوصول غير القرآن إلى ذلك يكفي في ثبوت إعجاز القرآن التواصلي، وهو المطلوب.

(١) نهج البلاغة، السيد الشريف أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي: ١٧٩.

(٢) دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي: ٦٠.



المطلب الثالث: القيم التاريخية

جاء في القصة القرآنية أحداث تاريخية وهذا الأحداث التاريخية تحمل أفكار وفلسفة الوجود الإنساني؛ فهي تضرب في عمق التجربة البشرية، وهي ليست أحداث يراد سردها؛ بل تجارب يراد تأكيد ما تحمله من فكر يثري الحياة الإنسانية. تنماز القيم التاريخية القرآنية عن غيرها من جهة واقعيته على الرغم من أنها تحمل جواب غيبية، فضلاً عن أهميتها التي تتمثل في الحفاظ على التراث الثقافي، واستخلاص الدروس والعبر، وتعزيز الوعي بالماضي لبناء المستقبل، وفهم الهوية الثقافية للامة.

إن الإعجاز التواصلية في القيم التاريخية يكمن في غناها المعرفي؛ إذ هي ليست تاريخاً سردياً للأحداث؛ بل يشكل هيكل لكيفية دراسة التاريخ، وما الذي نقف عليه من مبادئ وقيم من دراستنا للتاريخ فهذا جزء من الأمور التي شغلت الفكر الانساني، والإعجاز التواصلية في القيم التاريخية تشير إلى ما وراء التاريخ أو إلى ما هو غير زمني في الوجود الإنساني، لهذا فالقيم التاريخية التي جاءت في القرآن الكريم تُبين الإعجاز التواصلية عن طريقين:

الطريق الأول: حقيقة القضايا السردية التي جاء بها القرآن الكريم، فعن طريق هذه الحقائق يخلق القرآن الكريم التواصل؛ وذلك عن طريق إثارة المتلقي في البحث والكشف عن حقيقة تلك القضايا السردية؛ إذ إن الإعجاز التواصلية في القيم التاريخية يكمن في حقيقتها؛ فهي حقيقية ولا دخل للمتخيل الأسطوري في تكوينها، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَمَّا نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾^(١)، هذا من جانب ومن جانب آخر يكمن الإعجاز التواصلية في القيم التاريخية في مصدرها فهي تصدر من الله تعالى؛ لذا نجد القرآن الكريم قد استعمل تعبيرات تدل إلى ربط أحداث القصة بالله سبحانه مثل قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا

(١) سورة الكهف: الآية ١٣

عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١﴾^(١)، فهذا يشير إلى حقيقة القيم، وإنها ليست من نسج

الخيال، بل هي أحداث حقيقية الوقوع؛ أي أنها واقعية بعيدة عن الخيال.

ويعدّ هذا الأمر من أهم مقومات القيم التاريخية؛ لهذا اهتم (جاكسون) في مخططه ووظائفه بهذا الجانب أي (الواقع) الذي يتناوله الحديث أو الإرسالية، وهو ما عبر عنه بالوظيفة المرجعية بحكم أن عملية التواصل في نظره تفرض ستة عناصر، وكل عنصر تلازمه وظيفة "والوظيفة المرتبطة بالمرجع تسمى بالوظيفة المرجعية وهي مؤسسة حول الموضوع المتحدث عنه، فإذا عاينا حادثاً وأخبرنا عنه يكون حديثنا هو ذلك الحادث، وبذلك فإن الوظيفة المرجعية تقوم على التقرير والنقل وتشكل هذه سلم الوظيفة التبرير الأساسي لعملية التواصل ذلك أننا نتكلم بهدف الإشارة إلى محتوى معين نرغب في إيصاله إلى الآخرين"^(٢)، وهذا يعني أنّ القيم التاريخية تفقد أثرها التواصلية إذا تمت الإحالة إلى أشياء وقضايا خارج الواقع المتحدث عنه، وعليه فقصص أهل الكهف، وموسى والعبد الصالح، وذي القرنين واقعية تمت الإحالة إليها على نحو الحقيقة، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ

وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنَّا عَجَبًا ﴿٣﴾^(٣)، فقد استعمل القرآن الكريم لفظة ﴿ءَايَاتِنَا﴾ للدلالة على أن

ما يسرده من آيات الله (ﷻ) لا دخل للمتخيل الأسطوري في نشأتها.

والقيم التاريخية عُرضت بأسلوب أدى إلى إحداث التواصل بين القرآن والمتلقي، من ذلك طريقة عرض القصة التي قامت على تفريق الأحداث على أكثر من مستوى، ليقوم التواصل بين النص والمتلقي وذلك عن طريق إثارة انتباه المتلقي ليتتبع تلك الأحداث، لذا تخلق هذه القيم وعياً تاريخياً لدى المتلقي من أجل تعميق التواصل بين المتلقي وواقعه؛ وذلك عن طريق الاهتمام بالقصة التي شغلت مساحة

(١) سورة الكهف: الآية ١١

(٢) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح: ٤٧.

(٣) سورة الكهف: الآية ٩

واسعة من القرآن الكريم مقارنة بآيات الأحكام^(١)؛ ف"القصة من الأنواع الأدبية البارعة، التي يمكن للخاص بها أن يقرر المبادئ ويمكن الأهداف"^(٢)؛ لأن لها أثراً في النفوس يواكب فطرتها في مدارج الحياة، ولعلم الله (ﷻ) بما خلق وهو اللطيف الخبير، قص على رسوله (ﷺ) أحسن القصص في الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ليكون لوناً بيانياً ونوعاً أدبياً من ألوانه وأنواعه التي تتعاقب في تقرير الدين، وتتجاذب لتمكين مبادئه السامية في قلوب البشر.

يقوم التواصل بين المتلقي والقرآن الكريم في القيم التاريخية، بالوقوف على الإشارات التي أثارها الأحداث والوقائع الماضية، والتفاعل معها فهي تنير له الطريق الذي ينبغي عليه أن يسلكه في حياته متجاوزاً كثير من العثرات والعقبات؛ "فأسلوب القصة، وبنائها قد صيغت على وفق مبنى تعبيرى مفتوح لإمكانات استخلاص النتائج المتعلقة بواقع كل قارئ حسب تجربته، وبقدر وعيه"^(٣)، فتحمل القصة قيماً يشتغل عليها الإعجاز التواصلى؛ لأن القصة ليس المراد منها سرد الأحداث لذاتها؛ بل المقصود ما تخلقه من تأثير في المتلقي وذلك عن طريق دفعه لأمرين:

١. تتبع أحداث تلك القصة لمعرفة ما أفضت إليه.

٢. الرغبة في الوقوف على الحكم والعبر من تلك القصة، وما ينطبق على القصة ممكن أن ينطبق عن المثل، وهو التأثير في فكر السامع، والنتيجة أحداث تواصل مع ذلك بقبوله الخطاب والسير على هداه.

ويكمن الإعجاز التواصلى في هذه القيم في تفاعل التاريخ الماضى مع الواقع الحاضر، فنجد القرآن الكريم لم يحصر أسلوبه القصصى بالفن والجمال المنقطع عن واقع المخاطب، فالجمال متساوق مع الطرح الفكرى، هذا من جانب ومن جانب آخر

(١) ينظر: حول القصة الإسلامية، نجيب الكيلانى: ٧.

(٢) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين: ١٩٥.

(٣) جماليات التلقى في السرد القرآنى، يادكار لطيف الشهرزورى: ٢٥.

أنّه ترك مساحات للمخاطب، يتحرك فيها ذهنه، وتستيقظ مشاعره، إذ يجد روحه مشدودة إلى القرآن؛ ليتدبر ويفكر ويندمج مع الأحداث التي يتحدث عنها^(١).

إنّ القيم التاريخية تقوم على عرض الوقائع والأحداث التاريخية من أجل الوقوف على العبر فهناك مجموعة من القيم تحكم حركة التأريخ الإنساني، لا فرق بين ماضيه وحاضره.

الطريق الثاني: ما تحمله هذه القيم من دلالات تدعو العقل الإنساني إلى التفاعل معها ليس في شكلها السردية؛ بل فيما تحمله من مفاهيم معرفية تدعو لتأمل تجربة التاريخ البشري.

ف نجد في قوله تعالى: ﴿وَإِخَىٰ هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْنَا مَعَهُ رَدِّمًا يُصَدِّقُوهٗ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾^(٢).

إنّ الآية تدعو إلى قيمة عليا يركز عليها سلوك المُبلِّغ، وهي تكشف لنا هذه القيمة تواصلية في كيفية التعامل مع المستبد والظالم والحذر منه في جميع المستويات، فعبثية الخطاب وعفويته في هذا الموقف لا يسمح بها.

قيل في تفسير هذه الآية: "إنما سأل موسى ربه يؤيده بأخيه، لأن الاثنين إذا اجتمعا على الخير، كانت النفس إلى تصديقهما، أسكن منها إلى تصديق خبر الواحد"^(٣)، وهذا لا يعني أن موسى (عليه السلام) يريد التنصل من التبليغ ولكنه أراد تأييده بأخيه، وإنما عينه ولم يسأل مؤيداً ما لعلمه بأمانته وإخلاصه لله ولأخيه وعلمه بفصاحة لسانه^(٤).

والقيم التاريخية التي قررتها هذه الآية هي المشقة في تبليغ الدعوة وحاجة المُبلِّغ أو المصلح إلى من يستند عليه في التبليغ، وما هي المواصفات الواجب توافرها فيه، وهذه القيمة تدعو المتلقي للتفاعل مع الخطاب ومن ثمّ تأثره في ذلك.

(١) ينظر: حول القصة الإسلامية، نجيب الكيلاني: ٤٠/٣٩.

(٢) سورة القصص: الآية ٣٤.

(٣) جامع البيان، الطبري: ٥٧٧/١٩.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١١٦/٢٠.

والقيم التاريخية بكلا الطرفين تخلق تواصلاً، فتحدث هذه القيم تساؤلات محورية حول الخبر، وكذا تتبع الخبر للوقوف على صدق الخبر أو كذبه فالمتلقي يتفاعل مع هكذا أخبار وبالخصوص الأخبار التي سوف يُرتب عليها أثر، إذ أن القرآن الكريم "يذكر حوادث التاريخ، تراه يختار الحوادث التي تحتوي على العبرة والعظة ويرويها بأروع شكل يهز النفس وينعش الضمير ويدعوه إلى الاتعاض والاسترشاد، وحين يتناول القرآن الأمثال والحكم نراه يأتي بالأمور المألوفة بين الناس وما يجده الإنسان بداهة في نفسه"^(١)، ويهدف القرآن عن طريق تلك القيم إلى خلق وعي تاريخي لدى المتلقي من أجل تعميق تفاعله مع واقعه.

القيم التاريخية في القرآن تشكل إجازاً تواصلياً بما تركته من تفاعل وتأثير في المتلقي، ومن الآيات التي تحمل قيم تاريخية:

- قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُوتِلَقُ أَعْجَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾^(٢).

تطالعنا الآية على القيمة التاريخية التي تحكم حتمية التطور في المعرفة الإنسانية؛ فالإنسان في وجوده الأول لم يكن يمتلك المعرفة التي يمتلكها بعد تطور الزمان والتي يمتلكها اليوم وسوف يمتلكها في قابل الأيام، وقد ذكر المفسرون في تفسير هذه الآية أن الإنسان تعلم من الغراب، وإنّ الغراب أكثر منه علماً، فالإنسان "ما كان يعلم كيف يدفن المقتول، فلما تعلم ذلك من الغراب علم أن الغراب أكثر علماً منه وعلم أنه إنما أقدم على قتل أخيه بسبب جهله وقلة معرفته، فندم وتلهف وتحسر على فعله"^(٣)، هذه القصة التي يسردها القرآن تكشف المستوى الفكري للإنسان الأولي "الذي كان يعيش على سذاجة من الفكر وبساطة من الإدراك، يأخذ باستعداده الجبلي في ادخار المعلومات بالتجارب الحاصلة من وقوع الحوادث الجزئية حادثة بعد حادثة"^(٤)، ولا غرابة في أن يتعلم البشر شيئاً من الطير، فالتاريخ والتجربة

(١) الأنظار التفسيرية في تراث السيد محمد صادق الصدر، محمود الجياشي: ٢٦٦

(٢) سورة المائدة: الآية ٣١

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي: ١٦٤٥

(٤) الميزان، الطباطبائي: ١٧١ / ٥

البشرية يدلان على أنّ للكثير من الحيوانات مجموعة من المعلومات الغريزية تعلم منها البشر على طول التاريخ، مكملًا بذلك معلوماته ومعارفه^(١).

في هذه الآية حَقَّق القرآن الكريم إعجازاً تواصلياً؛ إذ إنه كشف عن الواقع العلمي والمعرفي للإنسان الأول الذي يعتمد على الحواس، وكذلك حاجة الإنسان المتزايدة للتعلم، فالإنسان، وإن علم أشياء لكن في نفس الوقت تغيب عنه أشياء، بهذا النمط من تفصيل الواقعة، حقق إمتاعاً فكرياً للمتلقي بحيث جعله يكتشف بنفسه لذة التعرف على الحقائق.

• من الآيات التي تحمل قيم تاريخية قوله تعالى: ﴿وَلَللَّيْلَةِ عَلَيْكُمْ أَلَمَامٌ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى كُلَّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٢).

تقرر الآية قيمة حاکمة على تأريخ الأمم، هي حاجة الأمة الى فترة نقاهة لتتخلص من أزماتها النفسية والثقافية التي كانت بسبب الطغيان والظلم الذي مورس عليها، فالحياة الجديدة بعد تحرر الأمة وبعد عصر من الذل والاستضعاف والاستعباد، لا تستطيع أن تتخلى تماماً عن حالتها النفسية والثقافية الموروثة عن عصر الطاغوت، ولا بدّ من فترة انتقالية تمرّ بها لكي تكون قادرة على إقامة حكم الله في الأرض، وفق معايير إلهية بعيدة عن مؤثرات عصر الطاغوت^(٣).

يقوم التواصل في هذه الآية على كشف حقيقة تاريخية تمرّ بها الأمة المتحررة التي ينبغي عدم إغفالها من القادة الجدد وهي الفترة الانتقالية التي تحتاج إلى نقاهة لتتخلص الأمة من آثار فترة الظلم والطغيان، فهذه القيمة التاريخية تكشف أهمية العلاج النفسي الجماعي الذي يجب أن لا يغفله القادة، فهو يُشكل نقطة الانطلاق الأولى نحو بناء حضارة وحياة جديدة بعد الحياة السابقة التي كان فيها الأمة تحت نير الظلم والطغيان.

(١) ينظر: الأمل، مكارم الشيرازي: ٦٧٥ / ٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ٥٧.

(٣) ينظر: الأمل، مكارم الشيرازي: ٢٣٢ / ١.



- ومن الآيات ذات القيم التاريخية قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَجِدُهَا هُزُولاً قَالِ أَعِودٌ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(١).

تخلق هذه الآية تواصل عن طريق التفاعل المتلقي مع هذه الحادثة التاريخية، التي تكشف عن قيمة تاريخية وهي صراع المبادئ بين الناصح الأمين الذي لا يصدر منه إلا الحق وبيان الحقيقة، وبين قومه الذين لا يريدون فعل أي تكليف لا يوافق أهوائهم، والنتيجة تصبح حياتهم صعبة بسبب التشديد عليهم بالتكليف، أنظر إلى الغباء حتى في السؤال إنهم يريدون أن يفعلوا أي شيء لإبطال التكليف، لكن الله يعنتهم ويشدد عليهم وأن يجعل كل شيء في حياتهم صعباً وشاقاً.

إنّ هذه القيمة التاريخية التي ذكرتها الآية، وغيرها من القيم التاريخية في القرآن الكريم تقوم على البناء التصوري الذي يتجسد في طريقة العرض واختيار الصور التي تخلق تفاعل المتلقي معها وبهذا تخلق تواصل بين القرآن وسامعه.

(١) سورة البقرة: الآية ٦٧



المطلب الثالث: القيم السياسية

تنماز القيم السياسية في القرآن الكريم بإعجازها التواصلي؛ وذلك لأنها عابرة للثقافات المختلفة، وهي مبادئ قانونية، يتحقق في إطارها تأمين الحاجات المادية والنفسية والمعنوية للناس جميعهم، وتنظيم العلاقات بين أفرادها الأمة في ما يخص حلّ النزاعات، وردع الظلم، وتنظيم العمل السياسي، وأسس التعامل الدولي، وغيرها من الأمور التي تتعلق بالجانب السياسي.

ولو رجعنا إلى التاريخ لوجدنا أنّ أجمل نظام سياسي هو ما قام في عصر البعثة النبوية، إذ سار على القيم السياسية التي جاء بها القرآن الكريم. إنّ الإعجاز التواصلي لتلك القيم يتمثل في الأثر الذي تركته في نفوس من عاصرها، وفي إشغال الفكر البشري في التفاعل معها، وإن باعد الزمان بينه وبين تلك الدولة التي قامت في زمن نبيّ الإسلام محمد (ﷺ).

ومن الآيات ذات القيم السياسية التي تخلق تواصل مع القرآن الكريم.

- قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾

القيمة السياسية في هذه الآية تبين كيفية تنظيم العلاقة مع الآخر المختلف، فإذا نظرنا إلى واقع الإنسانية ووجود الاختلاف في الدين من القضايا التي لا يمكن إنكارها، مع ذلك وجود الحاجة المتزايدة للعمل المشترك بين الدول، فما الموقف المطلوب تجاه هذه الصورة العالمية؟

إنّ الاستفادة من الآيات الكريمة هو كيفية وطبيعة العلاقة بين المسلمين وغيرهم وهو "أصل كلي وأساسي لا يختصّ بذلك الوقت فقط، بل يمثل خطأ عاماً لطبيعة هذه العلاقة في كلّ الأزمنة سواء اليوم أو غداً، وفي حياتنا المعاصرة والمستقبلية، وواجب المسلمين على وفق هذه الأسس أن يقفوا بكلّ صلابة أمام أية

(١) سورة الممتحنة: الآية ٨، ٩

مجموعة، أو دولة، تتخذ موقفاً عدائياً منهم أو تعين من أراد بالإسلام والمسلمين، وقطع كل صلة قائمة على أساس المحبة والصدقة معهم^(١)، أما إذا كان المختلف الآخر في موقع محايد إزاء الإسلام والمسلمين، عندئذ يستطيع المسلمون أن يقيموا علاقات حسنة ويرتبطوا وإياهم بروابط المودة، لكن لا تكون بالشكل الذي يؤدي إلى تغلغلهم في صفوف المسلمين.

وهذه القيمة السياسية قائمة على الموقف وليس على دين الآخر، فالتعامل يتغير ويتبدل بناءً على سيرتهم، فيجب أن يتغير معيار التعامل معهم بحسب موقفهم وواقعهم الفعلي، وتبنى المسلمون وقادتهم موقفاً مع المختلف الآخر حسبما ورد من مفاهيم طبقاً للآيات أعلاه، وبهذا تخلق هذه الآيات تواصلاً مع المتلقي؛ إذ تجعل المتلقي يتفاعل مع قيمها القرآنية، التي لا يمكن أن يكون سيره في الحياة متزناً إذا لم يأخذ بها.

- ونجد صدى القيم السياسية يصدع في قوله تعالى ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّبِعْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

في هذه الآية قيمة سياسية تقوم على معالجات القرآن الكريم للدخيل الاجتماعي في إطار التواصل العابر للثقافات، فهذه الآية وإن كان الخطاب موجهاً بها إلى الرسول محمد (ﷺ) إلى أنها تحمل قيمة سياسية وهي الموقف من الدخيل الديني المختلف وكيفية التعامل معه، فمعنى الآية: "أي وإن استجارك أحد من المشركين الذين أمرت بقتالهم، أي استأمنك بعد انقضاء أشهر العهد، فأجبه إلى طلبته؛ حتى يسمع كلام الله، أي القرآن الذي تقرؤه عليه، ويتدبره، ويطلع على حقيقة الأمر، وتقوم عليه حجة الله به، فإن أسلم ثبت له ما للمسلمين، وإن أبى فإنه يرد إلى مأمنه ودراه التي يأمن فيها"^(٣)، فهذه الآية تتعلق بالجانب السياسي بقدر ما تتعلق بالجانب الديني، في إطار التواصل، أن القيمة السياسية في هذه الآية تقرر طريقة

(١) الأمتل، مكارم الشيرازي: ٢٥٢ / ١٨

(٢) سورة التوبة: الآية ٦

(٣) محاسن التأويل، القاسمي: ٣٥٥ / ٥

التعامل مع الآخر المختلف فهي تدعوا إلى حفظ المعاهدة والميثاق، والتعامل الإيجابي معه، إنّ هذا القيمة صورة ناصعة للإثبات الإعجاز التواصلية للقرآن الكريم؛ فهي تجعل المتلقي يتفاعل معه؛ إذ تجعله يبحث عن فلسفة هذا الحكم والأهداف المنشودة منه.

- ومن الآيات ذات القيم السياسية قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾^(١).

إنّ حفظ كيان الدولة من أهمّ الواجبات السياسية، وهذا لا يكون إلا عن طريق "المزيد من التعبئة العسكرية، ولزوم الاستعداد العسكري لمواجهة الأعداء؛ أي لا تنتظروا حتى يهجم العدو فتستعدوا عندئذ لمواجهة، بل يجب أن تكون لديكم القدرة والاستعداد اللازم لمواجهة هجمات الأعداء المحتملة"^(٢)، فهذا يخلق تواصلاً عن طريق مراقبة من يتخذ أساليب الغدر، وكذلك اتخاذ الإجراءات الكفيلة التي تمنع حدوث ما يمكن أن يكون سبباً في إلحاق الضرر بالدولة والمجتمع المسلم، فهذه إحدى القيم التي تخلق تفاعل المتلقي مع القرآن الكريم؛ إذ يُعرف المتلقي عن طريقها القضايا والأحكام التي تخصّ كيانه السياسي، وتوضح له كيفية حفاظ الدولة على كيانها وشعبها.

- ومن الآيات ذات القيم والسياسية التي تكشف إعجاز القرآن التواصلية

قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٣).

من الصفات التي يجب أنّ يتحلى بها القائد هي الرحمة واللين، فهذه الآية تشير إلى هذه القيمة؛ إذ فيها إشارة صريحة "إلى إحدى أهم الصفات التي يجب توفرها في أية قيادة، ألا وهي العفو واللين تجاه المتخلفين التائبين، والعصاة النادمين،

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٠

(٢) الأمثل، مكارم الشيرازي: ٥ / ٤٧١

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩

والمتمردين العائدين، ومن البديهي أن الذي يتصدى للقيادة لو خلى عن هذه الخصلة المهمة، وأفتقر إلى روح السماحة، وأفتقد صفة اللين، وعامل من حوله بالخشونة والعنف والفظاظة فسرعان ما يواجه الهزيمة، وسرعان ما تصاب مشاريعه وبرامجه بنكسات ماحقة، تبدد جهوده، وتذري مساعيه أدراج الرياح، إذ يتفرق الناس من حوله، فلا يمكنه القيام بمهام القيادة ومسؤولياتها الجسيمة^(١).

إنّ هذه القيمة ترسم الطريق لم يتولى أمور المسلمين وتجعل له منهج يسير عليه في التعامل، وبهذا العرض الجديد الذي جاء به القرآن يجعل المتلقي متفاعلاً ومتأثراً، فيكون التواصل حاضراً.

- وتشع القيم السياسية من قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٢).

ذكرت الآية المباركة قيمة سياسية تُبين صفات القائد الذي يجب أن تختاره الأمة، وكذا يجب على الأمة عدم الاعتراض على من ينصبه القائد أميراً عليهم، فرؤية القائد تختلف عن رؤية غيره من الناس العاديين وبالخصوص من لم يدخل ميدان السياسة، فالقيادة، تحتاج إلى كفاءة جسمية وروحية وهذا ما بينته الآية من متوقفة ذلك في (طالوت)^(٣)، فقد بينت الآية مؤهلات القائد الحقيقية وليست تلك المؤهلات التي يراها الناس فكثيراً ما يكونوا على خطأ كبير في تشخيص شرائط القيادة، ومن تلك المؤهلات النسب والثروة، فالنسب الرفيع والثروة الكبيرة ليستا امتيازين للقائد إطلاقاً، لأنهما من الامتيازات الاعتبارية الخارجية، بينما العلم والمعرفة وكذلك القوة الجسميّة فهما امتيازان واقعيان ذاتيان؛ إذ يلعبان أثراً مهماً في

(١) ينظر: الأمثل، مكارم الشيرازي: ٢ / ٧٤٨

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٤٧

(٣) ينظر: الأمثل، مكارم الشيرازي: ٢ / ٢٢٣

شخصية القائد، إنَّ القائد العارف يَعرف طريق سعادة المجتمع ويرسم الخطط للوصول إليه بعلمه ومعرفته وحنكته، ثمَّ يقوم بقوَّته الجسمانية بتمثيل هذا المخطَّط على أرض الواقع، وما بينته الآية من قيمة سياسية تضع من يسمع القرآن الكريم في موقف يتفاعل معه، ويلمس كيف أن هذا الكتاب المبارك يُبين الأمور التي تهم واقعه السياسي.

- ونرى القيم السياسية في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ طَافِقَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَقَىٰ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاتَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(١).

إنَّ من القيم السياسية المهمة المحافظة على كيان الدولة من التصدع الداخلي، ففي هذه الحالة يجب على القائد أن يتعامل بالحرص على السماع إلى مطالب الفئة المعارضة، فإن أمكن إصلاح الأمر فذلك هو المطلوب، وأن كان هذا الطريق غير ممكن فطريق ردِّ بغي وعدوان تلك الفئة هو الحلّ، لكن هذا الحل له حد معين وهو الرجوع إلى الحق ولا ينبغي تجاوز ذلك الحد.

- ومن الآيات القرآنية ذات القيم السياسية قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾^(٢).

في هذه الآية يأمر الله الولاة والحكام أن يحكموا بالعدل والنصفة^(٣)، فالعدل يدخل في جميع المعاملات، وهو حسن في الفطرة، ومن القيم التي حسنها العقل. إنَّ ما تقدم ذكره من قيم سياسية جاء بها القرآن الكريم تضع المتلقي في قلب العملية التواصلية؛ إذ هي قيم تخلق تفاعل المتلقي للقرآن، وتجعله يقبل فكره عن مصدر هذا الخطاب الذي جاء بهذه القيم التي لا يمكن أن تصدر من شخص عاش في الجزيرة العربية التي لم يكن لها نظام سياسي بهذا المستوى، فضلاً عن الشخص نفسه

(١) سورة الحجرات: الآية ٩

(٢) سورة النساء: الآية ٨٥

(٣) مجمع البيان، الطبرسي: ٩٨ / ٣

الذي لم يمارس أدنى عمل سياسي، فلم يُعرف عن النبي محمّد (ﷺ) ممارسة أي عمل سياسي أو التنظير للسياسة، وبهذا التفاعل يكون للقرآن الكريم قد خلق تواصلاً مع المتلقي والسامع، وفي الوقت نفسه علم المتلقي أن هذه القيم لا يمكن أن تصدر من إنسان، بل مصدرها الله (ﷻ).



المبحث الثالث: القيم الفلسفية، والشرعية المطلب الأول: القيم الوجودية

إنّ أكبر قضية شغلت العقل الانساني هو مسألة الوجود والبحث عن إجابة لذلك؛ إذ نجد الإنسان في سابق الأزمان قد تحير في التعرف على كثير من قضايا الكون حتى وصل الأمر به إلى الاعتقاد بأن بعض الظواهر أو الكواكب أرباب. ونقصد من الرؤية للوجود هو ما يطرح من "تساؤل شغل الذاكرة الإنسانية، وكلما تأمل الإنسان في الإجابة، وصنع رؤى تفسيرية: أسطورية، وفلسفية، وعملية، وفنية لحل هذا اللغز المحير وجد نفسه أمام تساؤلات لا حصر لها تقوده إلى مجهول يتطلب استكشافه باستمرار، وعظمة الكون، والوجود في تعقيداتها"^(١)، فقد جاء في القرآن الكريم قيم تفسر هذا الأمر وتخلق تواصل معه؛ لما أثاره من قضايا تمس القيم الوجودية.

لهذا وُصف القرآن بـ﴿قُرْآنًا عَجَبًا﴾^(٢)، لا من حيث لغته فقط؛ بل من حيث إجابته على أسئلة الوجود والأخلاق والمصير، لهذا فإن فرادة القرآن الكريم تكمن في ما يحمله من رؤى عن الكون والحياة والإنسان وغير ذلك، وكذلك ما يكشفه عن قيم غائبة عن الإنسان^(٣)؛ إذ يحول القرآن الكريم كل ما يدركه الوعي الإنساني بحسه وعقله إلى كلمات تشكل صورة هذا العالم، وكذا ما لا يدركه من عالم الوجود، فالقرآن الكريم يستثمر الحضور في وعي المتلقي لكي يحول كل محتويات هذا الحضور إلى علامات دالة الوجود الكوني.

ومن تلك القضايا عظمة هذا الكون، وما يوجد فيه من تعقيدات، وكيف ينسجم هذا العالم من حيث تعاقب الليل والنهار، والفصول وكيف تنشأ الحضارة؟ وكيف تنهار؟ وما هو تفسير الزلازل وتقلب مقاييس الظواهر الطبيعية؟ وغيرها من الأسئلة التي تخص وجود الإنسان وما يتصل به.

(١) جمالية الخطاب القرآني برؤية معاصرة، سلام كاظم الالوسي: ٨١

(٢) سورة الجن: الآية ١

(٣) ينظر: النص القرآني وأفاق الكتابة، ادونيس: ٢٢-٣٤

إنّ تساؤلات هذا العالم لا تنتهي فهي كطريق ليس له نهاية، ومن الأسئلة التي حيرت الفكر الإنساني كيف ابتداء الوجود؟ وإلى أي شيء سيؤول مصير هذا العالم وكذا مصير الإنسان؟

إنّ القيم الوجودية تتكفل الإجابة عن ذلك، عن طريق معرفة الغاية والهدف من وجود الإنسان، بمعنى أن يستشعر الإنسان الغاية المثالية لوجوده ويتعرف على الوجهة الأساسية لمسيرته في الحياة وأن لحياته قيمة ومعنى وهدفاً ولعيشه طعمًا ومذاقًا وأنه ليس كائنًا فاقد القيمة الاعتبارية في الوجود، أو أنه قد خُلِق عبثًا يعيش حياة عشوائية لا أساس لنظامها ولا قرار لها^(١).
ومن الآيات التي تحمل قيم وجودية:

• قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

إنّ أبرز قيمة وجودية للإنسان هي معرفة الغاية من وجوده على هذه الأرض، وهذا ما تقرر الآية؛ إذ تقرر أنّ الإنسان يكون خليفة الله في الأرض؛ لهذا فالوجود الإنساني يمثل "تجربة جديدة في حياة (الملائكة) التي أسندت إليها إدارة الكون، لذلك تظل سمة (عدم العلم) هي الطابع الذي يغلف سلوكهم وهذا ما دفعهم إلى التساؤل"^(٣)؛ أي التساؤل عن الغاية الوجودية للإنسان.

إنّ هذه الآيات تتحدث عن "المرحلة الأولى حين شاء الله أن يخلق على ظهر الأرض موجوداً، يكون فيها خليفته، ويحمل أشعة من صفاته، وتسمو مكانته على مكانة الملائكة، وشاء سبحانه أن تكون الأرض ونعمها وما فيها من كنوز ومعادن وإمكانات تحت تصرف هذا الإنسان، مثل هذا الموجود بحاجة إلى قسط وافر من العقل والشعور والإدراك والكفاءة الخاصة، كي يستطيع أن يتولى قيادة الموجودات الأرضية"^(٤)، وهذا يعني إنّ القارئ وهو مقتنع بالسمة الملائكية المذكورة يظل في

(١) ينظر: التواصل في القرآن الكريم، إبراهيم حسن أبو حسينة: ١٢٣

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٠

(٣) التفسير البنائي للقرآن الكريم، محمود البستاني: ٢٨

(٤) الأمثل، مكارم الشيرازي: ١/ ١٥٥

تساؤل ودهشة حيال موقفهم من وجود (خليفة) في الأرض، ومن الطبيعي قد يتساءل القارئ عن سبب هذا الموقف الملائكي حيال خليفة الأرض، مع معرفته بتركيبه التي يتجاذبها طرفان من الصراع بين الخير والشر، أو العقل والشهوة، هذا التساؤل قد أجاب عليها القرآن الكريم وهي تبين القيمة الوجودية للإنسان، وهذا ما يجعل هذه القيمة الوجودية محور تواصل بين القرآن والسامع له، وهذا التواصل ليس بمستواه العادي؛ بل بمستوى معجز؛ لأن القيمة الوجودية التي كشفت لا يستطيع أي من البشر الوقوف عليها من غير طريق خالقهم الذي أخبر عنها في كتابه المعجز القرآن الكريم.

- ومن الآيات التي تبرز القيم الوجودية قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾^(١).

تقرر الآية مراحل حياة الخلق من البداية وإلى النهاية، وهذه القيمة الوجودية من القضايا التي شغلت الفكر الإنساني قديماً وحديثاً، وهذا ما بينه القرآن الكريم، "في أربع مقاطع قصيرة لفقرة واحدة، عرض قصة الخلق من قبل ظهورها بمرحلة، إلى بعد انتهائها بمرحلة، الموت الذي سبق الحياة، فالحياة، فالموت الذي تختم به الحياة، فالحياة بعد الوفاة، والموت الذي سبق الحياة أزال، والحياة التي تلتها آما، والموت الذي يعقبها آباد .. تنطوي جميعها في ألفاظ، ليعرض جانب السرعة؛ ولكن يمتد بها الخيال في الاستعراض، ليقول: إن هذه الآمد الطويلة كلها، قصيرة في يد القوة الكبرى"^(٢)، إن القيم الوجودية هنا تبين إخراج الشيء من الماهية إلى الوجود الحسي، وهذه القيمة يرتكز عليها الإعجاز التواصل في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، فالإنسان لم يكن مذكوراً، قال تعالى: ﴿ هَذَا أَنَّى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨

(٢) التصور الفني في القرآن، سيد قطب: ١٣١

شَيْئًا مَذْكُورًا ﴿١﴾، يعني قد كان شيئاً إلا أنه لم يكن مذكوراً، لأنه كان تراباً وطيناً إلى أن نفخ فيه الروح (٢).

والتواصل هنا يقوم على هذا التقرير الذي "يقضي الإقرار بذلك لا محالة لأنه معلوم بالضرورة، فالسامع يتشوف لما يرد بعد هذا التقرير فقيل له: إن الله خلقه بعد أن كان معدوماً فأوجد نطفة كانت معدومة ثم استخرج منها إنساناً، فثبت تعلق الخلق بالإنسان بعد عدمه" (٣)، والغرض من هذه الآية تذكير الإنسان بأصل نشأته، فقد كان شيئاً غائباً لا يفطن له، وكان في العدم مهيباً لا يعلم به، إلا خالقه، ومر عليه حين من الدهر كانت الأرض خالية منه، ثم خلقه الله، وأبدع تكوينه وإنشاءه، بعد أن كان مغموراً ومنسياً لا يعلم به أحد (٤).

تخلق هذه الآية تواصل بين القرآن ومتلقيه بتقريرها حقيقة عجز الفلاسفة عن الوقوف على كنهها، وهي بداية الحياة الإنسانية وكيف ينتهي الإنسان، وبهذا يتفرد القرآن بالكشف عن هذه الحقيقة، ويظهر إعجازه التواصلية ماثلاً في تصوير حياة الإنسان الذي عجز عن الوقوف عليها.

• تتجلى القيمة الوجودية في قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آتَيْنَا وَأَحْيَيْتَنَا أَتَيْتَنَّا فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿٥﴾.

القيمة الوجودية في هذه الآية تقوم على بيان اعتراف منكري الحياة الثانية، والمقصود من اعتراف المنكرين "هو اعترافهم بالحياة الثانية؛ لأنهم كانوا ينكرونها وأما الموتان والحياة الأولى فإنما ذكرن إدماجاً للاستدلال في صلب الاعتراف تزلزلاً منهم، أي أيقناً إن الحياة الثانية حق، وذلك تعريض بأن إقرارهم صدق لا

(١) سورة الإنسان: الآية ١

(٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢٠٥ / ١٠

(٣) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي: ٥٢٧ / ٥

(٤) ينظر: صفوة التفاسير، الصابوني: ٤٣٨ / ٣

(٥) سورة غافر: الآية ١١ - ١٢

مواربة فيه ولا تصنع؛ لأنه حاصل عن دليل^(١)، والإعجاز التواصل في هذه القيمة الوجودية يقوم على تأثر المتلقي بهذا المفهوم القرآني الذي يؤكد أنّ الحياة في هذه الدنيا هي تجربة لا يمكن تكرارها بالنسبة لأي شخص؛ لهذا يجب إبعاد الوهم من عقولنا بأننا إذا متنا وواجهنا العذاب فسوف نعود الى هذه الحياة الدنيا، ونجبر ما فرطنا فيه، لكن الحقيقة لا إمكان للعودة إلى هذه الحياة بعد الموت.

• نجد القيمة الوجودية كذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢).

تقول الرؤية الدينية إنّ الإنسان في حقيقته يُعَدّ عين الارتباط والتبعية والافتقار إلى الله، فإن الإنسان إذا نسي الله يعني بالحقيقة نسيان لنفسه ولما كان سبب نسيان النفس نسيان الله تعالى؛ "إذ بنسيانه تعالى تنسى أسماؤه الحسنی وصفاته العليا التي ترتبط بها صفات الإنسان الذاتية من الذلة وال فقر والحاجة، فيتوهم الإنسان نفسه مستقلة في الوجود ويخيل إليه أن لنفسه حياة وقدرة وعلماً وسائر ما يترأى له من الكمال ونظراؤه في الاستقلال سائر الأسباب الكونية الظاهرية تؤثر فيه وتتأثر عنه"^(٣).

والقيم الوجودية لهذه الآية تبين حاجة الإنسان إلى ما يذكره بالله ويبعد عنه شبه النسيان فلا يجد غير القرآن الكريم فهو أفضل وسيلة لتمزيق حجب النسيان، وهو نور لإزالة الغفلة والظلمات والنسيان، إذ إنّ آياته تذكر الإنسان بالله وبالمعاد، وتعرّف الإنسان قيمة وجوده في هذه الحياة، وبذلك تكون الآية القرآنية قد جاءت بقيمة وجودية تُعرف الإنسان بواقعه الوجودي المفتقر إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا الكشف يجعل القلب السليم يتأثر بالقرآن الكريم ويتواصل معه، ولا يوجد خطاب في الوجود يحمل هذه الخصيصة كالقرآن الكريم، لذا تفرد بها، وعجز الخلق عن الإتيان بمثلها، أعني خاصية التواصل المعجز.

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ٩٧/٢٤

(٢) سورة الحشر: الآية ١٩

(٣) الميزان، الطباطبائي: ١٢٠/١٩

- ومن الآيات التي تحمل قيم وجودية، بل تشع بتلك القيم قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١).

من أكثر الآيات التي شغلت الفكر الإسلامي هذا الآية التي تبين الغاية من خلق الإنسان والجن وهي العبادة، فالآية تبين فعلة الخلق هي العبادة، ولقد تم الخلق لتتحقق العبادة وتصبح واقعا؛ ولكن (العلة والمعلول) لا تنطبق على أفعال الله سبحانه وتعالى، فليس هناك علة تعود على الله تعالى بالفائدة؛ لأن الله تبارك وتعالى غني عن العالمين، ولكن العلة تعود على الخلق بالفائدة^(٢)، وحقيقة العبادة هي نصب العبد نفسه في مقام الذلة والعبودية وتوجيه وجهه إلى مقام ربه، وهذا هو مراد من العبادة وقيل تعني المعرفة تلك المعرفة الحاصلة بالعبادة، فحقيقة العبادة هي الغرض الأقصى من الخلقة، وهي أن ينقطع العبد عن نفسه وعن كل شيء ويذكر ربه^(٣)، فالآية تبين أن على الإنسان أن يتكامل في المعرفة، ويبلغ أعلى مقام للإنسانية والعبودية لله (ﷻ).

وهذه الآية وما سبقها من آيات قرآنية تبين الإعجاز التواصلي للقرآن الكريم، فقد خلقت هذه الآيات بما جاءت به من قيم تفاعل بين القرآن الكريم ومتلقيه، إذ أنها كشفت عن حقائق وجودية لم يعرفها العقل البشر، إلا عن طريق القرآن، وبهذا تنحصر معرفة الوجود بالقرآن الكريم، وهذا الكشف يجعل المتلقي يقر أنه لا يمكن لأي أحد أن يأتي بما جاء به القرآن، ويحدث تواصل بما أحدثه.

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦

(٢) تفسير الشعراوي، الشعراوي: ٢٧

(٣) ينظر: الميزان، الطباطبائي: ٢٠٣ / ١٨



المطلب الثاني: القيم الشرعية

هناك قيم شرعية عديدة جاءت في القرآن الكريم التي يمكن تصنيفها كالآتي:
أولاً: **القيم العقدية:** إنَّ استهداف اعتقادات الإنسان يمثل أعلى القيم التي جاء بها القرآن الكريم، وهي تمثل الجانب الأساس في التواصل، فهي تمثل رهاناً صعباً في التواصل، لأنها لا تمثل عناصر مادية ملموسة، لكنها تقوم بدور المسلمات أو المبرهنات في الرياضيات، فيتفاعل معها فكر المتلقي لتؤسس أحكام القيم الإيمانية للفرد.

لقد عرض القرآن الكريم آيات العقيدة على منهج ذهني يمثل صوراً لبناء فضاءات ذهنية، وحافزاً ومثيراً في الوقت ذاته؛ ليقود المتلقي إلى التفكير فيما قاله، ويقوده إلى التفاعل معه، وبذلك يتحقق التواصل.

وترتكز القيم العقدية في الاستدلال على الحوار الداخلي الذي يقوم على العرض المستقل الذي لا يتدخل فيه وسيط لأفكار الشخصية وانطباعاتها وتصوراتها، فهي نوع من الفكر المباشر مع المرسل والمطلق.

ويقوم التواصل في القيم العقدية على التفاعل معها عن طرق تدبرها؛ ليتعرف المتلقي عن طريقها على عظمة خالق الكون ويستدل بها على وحدانيته، فكل عقل متدبر لها وكل فؤاد متبصر، يتفاعل معها، فيفك شفراتها ويهتدي إلى رموزها، ففي آية من آيات شواهد قائمة لتؤدي الحجة على الربوبية موسومة بآثار قدرة الله وهي معالم تدعو للتدبير التي تجليت بها لخلقك فتوصل الإنسان معرفة ربه وتوحيده، وتبعده من وحشة الفكر ورجم الظنون، فقد شهد السماوات والأرض على أنها آيات دالة على الله تعالى^(١).

ولهذا نجد المستشرق الياباني (توشيهيكو) يرى أنَّ الظواهر الطبيعية التي يذكرها القرآن لا تهم لذاتها، بل تهمنا بعدّها علامات تدل على معنى معين^(٢)، وهو أنَّ الكون المحيط بالإنسان أو "كل ما نسميه ظواهر طبيعية، مثل المطر والريح

(١) ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ: ٢٥/١

(٢) ينظر: الله والانسان في القرآن الكريم: ٢١٥

وبناء السماء والأرض، وتعاقب الليل والنهار وتحولات الريح، إلى آخره، وكل ذلك لا ينبغي أن يفهم كظواهر طبيعية مجردة بل بوصفه علامات أو رموز كثيرة تدل على التدخل الإلهي في شؤون البشر، وأدلة على العناية الإلهية، والرعاية والحكمة الممنوحة من الله لصالح البشر على الأرض"^(١).

لقد قام (توشيهيكو) بعقد مقارنة بين الرؤية القرآنية ورؤية أحد فلاسفة الغرب (كارل ياسبرز) الذي يرى أن الخروج من هذا العقل المبتذل والاعتيادي والسير باتجاه عالم الوجود لن تبقى الأشياء "كأشياء طبيعية موضوعية، بل هي رموز يتحدث (الله) من خلالها، أنها - عند هذا المستوى - (شفرات)، أو رسائل مشفرة، وعليه فإن الكون كله يتجسد كرسالة مشفرة عظيمة، وكتاب تمت كتابته بتمامه بطريقة التشفير، إن العام بكلمات كتاب كبير من الرموز، كتاب يتمكن من قراءته فقط أولئك الذين يحيون في مستوى الوجود"^(٢).

إنّ الإعجاز التواصلي في القيم العقدية قائم على قراءة هذا الكون، فالكون كتاب كبير مفتوح بين دفتيه دلائل عظمة المبدع، لكن قراءة سطور له لن تتأتى إلا لمن تفكر وتأمل وتدبر.

من الآيات التي تحمل قيم عقدية:

• قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾^(٣).

في هذه الآية يشير القرآن الكريم إلى قضية مهمة، وهي بيان حكم من قال بألوهية المسيح، فيرفض ذلك ويصحح ذلك المعتقد، وبهذا يقوم على معالجة المعلومات لدى المتلقي، وهذه المعالجة للمعلومات العقدية لدى المتلقي تتطلب جهداً إدراكياً عقلياً من قبل المتلقي، مما يؤدي إلى تحقيق الإعجاز التواصلي، بتفاعله مع هذا التصحيح العقدي؛ إذ نرى كيف صور القرآن الكريم عقيدة النصارى، فقد كان

(١) الله والانسان في القرآن الكريم: ٢١٤

(٢) المصدر نفسه: ٢١٥-٢١٦

(٣) سورة المائدة: الآية ١٧

طابع الشرك في ديانتهم لا يخفى على أحد^(١)، بعد ذلك التصوير لعقيدة النصارى جاء الرد على من يجعلون المسيح إلهاً، لقد نفى الدعوى من أصلها؛ إذ بيّن أن المسيح الأمين لم يكن يدّعيها، ولا يمكن أن يدّعيها، فقد كان هو داعياً إلى التوحيد، نافياً للشرك بربوبية الله، وأنه كسائر الناس مخلوق، وأن الله ربه كما هو رب البشر جميعاً، وبين الله تعالى بطلان دعوى الألوهية له ولأمه بأنهما محتاجان، ويأكلان الطعام كسائر الناس، والله تعالى غني لا يحتاج، وليست له صفة الحوادث من طعام وغذاء، وبيّن ثالثاً أنه لا يضر ولا ينفع إلا بإذن من الله تعالى خالقه من غير أب، وأنه من بعد ذلك عبد لا يستتكف ولا يستكبر^(٢).

نرى أن القرآن في هذه الآية نفي التثليث وإثبات بطلانه بالدليل جاء في ضمن قصة، فكان تصريحاً في الاستدلال، إن سوق الدليل في ضمن قصة يجعله أكثر سرياً في النفس، وانسياباً في أطوائها، وهذا ما يجعل النفس تتفاعل مع القرآن ويتواصل معه، وبذلك يثبت الإعجاز التواصل، الذي يقوم على قراءة هذه الآيات بعقل متدبر ليفك شفراتها ويهتدي إلى حقائقها.

• من الآيات التي تحمل قيمة عقديّة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لُكَاةَ آبَائِهِمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^(٣).

تقرر الآية قيمة عقديّة وهي ترك تقليد الآباء وإتباعهم، ويكون هذا النهي أشدّ إذا كان أولئك الآباء ليس لهم بصيرة تهديهم أو عقل يرشدهم، لذلك كانت دعوة القرآن العقديّة إلى ترك كل عقيدة لا تستند إلى دليل مبدأ عام؛ فالقرآن الكريم قد جاء يهدي جميع متبعي الأديان والملل السابقة، إلى استعمال ضمائرهم وعقولهم مع للوصول إلى الحقائق والعلم والهدى في الدين، وألا يكتفوا بما كان عليه آباؤهم وأجدادهم من ذلك^(٤)، فما تقرر به الآية المباركة من قيمة عقديّة تُعمل فكر المتلقي في اختيار العقيدة، التي يجب أن يكون أساسها التفكير وليس التقليد وبهذا يكون القرآن قد

(١) ينظر: النبا العظيم، محمد بن عبد الله دراز: ٨٩-٩٠.

(٢) ينظر: المعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة: ١٤٣.

(٣) سورة البقرة: الآية: ١٧٠.

(٤) ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا: ٢٠٧/١١.

أثر في السلوك البشري في اختيار العقيدة الصحيحة، والذي يسمع هذا الطرح الجديد الذي جاء به القرآن وهو يهدم ما كان سائد زمن نزول القرآن الكريم يجعله متفاعل معه، وهذا ما نجده في سيرة أهل مكة الذين كان من أسباب اعتراضهم على القرآن أنه سفه أباؤهم، ورمى عقائدهم خارج المنظور الديني؛ إذ وصفها بعقائد الجهل والخرافة التي لم تركز على العقل، بل على جهل الإباء، وبهذه خلق الإنسان تواصل قائم على تفاعل المؤمن به والمعارض له في آن واحد، وهذا يكشف إعجازه التواصلي.

- من الآيات التي تحمل قيمة عقديّة قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَمَنَّوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(١).

تقرر الآية قيمة عقديّة وهي وحدة العقيدة بين الأديان التي لديها كتاب، والواضح جداً من المقصود بالكتاب هو الكتاب السماوي، الذي يركز في دعوته على التوحيد، وهو المشترك بين جميع تلك الأديان؛ إذ أن الدعوة تقوم على النقاط المشتركة بين الإسلام وأهل الكتاب، والتفاعل بين النص والملتقي قائم على أمر مهم وهو دعوة القرآن الكريم إلى اعتماد قاعدة مهمة هي البحث عن النقاط المشتركة بين من نختلف معه في العقيدة، لتكون هي المنطلق لتحقيق الأهداف؛ ف"هذه الآية تعتبر نداء الوحدة والاتحاد إلى أهل الكتاب، فهي تقول لهم: إنكم تزعمون؛ بل تعتقدون، أنّ التثليث (أي الاعتقاد بالآلهة الثلاثة) لا ينافي التوحيد، لذلك تقولون بالوحدة في التثليث، وهكذا اليهود يدعون التوحيد وهم يتكلمون بكلام فيه شرك ويعتبرون (العزير) ابن الله، ويقول لهم القرآن: إنكم جميعاً ترون التوحيد مشتركاً، والملفت للنظر أن الآية الشريفة تؤكد موضوع التوحيد في ثلاث تعابير مختلفة، فأولاً ذكرت

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٤

﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾، وفي الجملة الثانية ﴿وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا﴾، وفي المرّة الثالثة قالت ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(١).

التواصل في هذه الآية يرتكز على هذه القيمة العقديّة التي تقوم على احتواء المختلف في العقيدة، فضلاً على بيان شيء مهم وهو أن مصدر جميع العقائد الحقّة هو الله (ﷻ) وهذه دعوة لكل البشر من أهل الكتاب ليتفاعلوا مع القرآن الكريم، وبهذا التفاعل يكون التواصل بين القرآن الكريم ومتلقيه.

• قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾^(٢).

تطالعنا الآية المباركة بقيمة عقديّة وهي بيان عظمة الخالق، وهذه القيمة تخلق تواصلاً بين النص والمتلقي عبر إشغال فكره بمعرفة تلك الخصوصيات التي يتفرد بها الله تعالى عن سائر ما في الكون، فتشير الآية إلى أنه ينبغي أن نعلم أن الخالق قد أعطى للحب والنوى هذه حقاً حادثة عجيبة في عالم النبات؛ لذلك يشير إليها القرآن على أنّها من دلائل التوحيد.

• ونجد قيمة عقديّة في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾^(٣).

وتظهر القيمة العقديّة في هذه الآية في بيان نتيجة إتباع الرسول (ﷺ) التي تصل بالإنسان إلى حالة الرضا عن نفسه، في قبال حالة من يبتعد عن طريق الرسول (ﷺ) وبهذا يكون ظالماً لنفسه، فضلاً عن غيره، لهذا سوف يرى نفسه في انعكاس حال بين يدي الحياة الخالدة، في الوقت الذي كان يستطيع خلال أيام حياته من

(١) الأمثل، مكارم الشيرازي: ٢ / ٥٣٨.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٩٥

(٣) سورة الفرقان: الآية ٢٧

الصبر والاستقامة، ومجاهدة النفس والإيثار أن يستبدل تلك الحسرات والندامة وحياة العذاب في الآخرة بحياة مشرفة وسعيدة^(١).

إن الإعجاز التواصلي في هذه الآية قائم على بناء فضاء ذهني عند المتلقي عن عوالم لم يطلع على حاله فيها، علم اليوم الآخر، الذي يجد نفسه فيه منقطعاً عن عالمه الأول لا يقدر على عمل شيء غير الندامة بسبب أعمال التكذيب والعصيان والتكبر التي عملها في الدنيا يقابلها العذاب في الآخرة.

• ومن الآيات التي تحمل قيماً عقديّة قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٢).

إنّ هذه الآية تخلق تواصلاً عن طريق سعي الإنسان الحثيث في بحثه عن الخلاص وهذا لا يتعلق بالمسلم، بل عند جميع الناس، لهذا نرى هذه الآية تحمل الدعوة الإلهية لا يستقيم أمرها إلا أن توضع على الاختيار الإنساني من غير اضطرار وإلجاء، فيكون الإنسان مختار، وهو منطق العقل الذي يقتضي أن كلاً إنسان مسؤول عن عمله، ويعود عليه عمله بالنفع أو الضرر، أنّ هذه الآية ناظرة إلى السعي والمثابرة والعمل للأخرة ورؤية الثواب في الآخرة.

• قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا

أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾^(٣).

تبيين الآيات نمطين من العقيدة، النمط الأول: من يتخذ الله (ﷻ) وهو

بذلك يضاد المطلق المقدس، ولم يكتف بهذا الاتخاذ العبثي، بل أزداد فيه تعلقاً،

والنمط الثاني: من يتخذ الذات الإلهية المقدسة محبوباً، وهنا يخلق القرآن الكريم

تأثيره في المتلقي ويجعله يتفاعل معه، وذلك عن طريق بيان حسم المواجهة بين

النمطين، ففي قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ

(١) ينظر: الأمل، مكارم الشيرازي: ٢٣٨ / ١١

(٢) سورة النجم: الآية ٣٩

(٣) سورة البقرة: الآية ١٦٥

﴿الْأَسْبَابُ﴾^(١)، القرآن الكريم يحسم الأمر بناءً على النزاع الداخلي بين قادة الشرك وأتباعهم، ليأتي الحسم الثاني وهو الخلود في العذاب، قال تعالى: ﴿وَتَوَيَّرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾، بهذا تنبثق الحتمية الإلهية في ساحة المواجهة بين النمطين.

إنّ الوقوف على هذه الحتمية تدعو إلى تفاعل أصحاب الإيمان عن طريق البحث عما يحصين المؤمن ويبعده عن مواطن العصيان، التي سوف تكون سبب الهلاك في يوم الحساب.

• ومن الآيات التي تشع بالقيم العقديّة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِكَ تُؤْمِنُ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢).

إنّ العقيدة تحتاج إلى اطمئنان القلب، وإنّ إيجاد الوجود بعد العدم كما في الحياة فهذه لا يقدر عليها إلاّ القادر المطلق القدرة وهي من سمات المطلق المقدس، وبهذه الآية تتحقق القيم التوجيهية من مطلق المقدس (الله) لنبيه. والقيم العقديّة في القرآن الكريم قائمة على تحسس اضطراب الفكر الإنساني، والنفس الإنسانية التي تفتقر إلى الثبات العقائديّ، بفعل الأباطيل والأوهام التي يتناقضها الفكر الإنساني جيلاً بعد جيل، فنجد بعض الأوهام والأباطيل تصل بالإنسان إلى قتل فكره، ونفسه بسبب انحرافه العقديّ.

إنّ القرآن الكريم يحقق الإعجاز التواصلي عن طريق القيم العقديّة التي تقوم على التقابلات الفكرية والمعرفية، فالقرآن يوجهها توجيهاً حاجياً يسعى من ورائه إلى تحقيق غايات إقناعية، ذات إعجاز تواصلي؛ إذ تركز العقيدة على معاني عميقة؛

(١) سورة البقرة: الآية ١٦٦

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٢

لأن المعاني العميقة غالباً ما تكون أوقع في النفس وأكثر تأثيراً، لتحقق الجانب التواصلية بين القرآن الكريم ومتلقيه.

ثانياً: القيم الفقهية: إن كثيراً من الأمور الشرعية التي جاء بها القرآن الكريم تحمل في قيمها إعجاز تواصلية؛ وذلك عن طريق التأثير بالمتلقي وتفاعله معها ومن ثم العمل بها، ومن الآيات التي تشع منها القيم الفقهية

• قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِئَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْوَدَةُ وَالْمُرْدِيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْوَاجِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ﴾^(١).

القيم الفقهية في هذه الآية تقوم على تحريم بعض الأطعمة التي كانت تأكلها العرب، وكثير منها كان بسبب الجهل والخرافة التي كانت سائدة في المجتمع الجاهلي، بل حتى في مجتمعات الكتاب ومن ذلك كشف القرآن الكريم عن كذب اليهود بتحريم الأطعمة من قبل يعقوب (عليه السلام).

وبيان هذه الحقيقة يوقف المتلقي على حقيقة التشريع، وهذا الأمر لا شك أن يجعله متفاعل معه، وهذا ما يكون سبباً للتواصل مع القرآن الكريم.

• ومن الآيات كذلك قوله تعالى: ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٢).

تقرر الآية قيمة فقهية وهي وجوب الجهاد في سبيل الله وعدم التناقل عن الجهاد، وتبين سبب التناقل وهو "تعلق قلوب المجاهدين بالحياة الدنيا يضعف همهم في أمر الجهاد، فالمجاهدون ينبغي أن يكونوا معرضين عن الدنيا، زُهاداً غير مكثرئين بزخارفها وزبارجها"^(٣)، والكشف عن سبب التخلي عن الجهاد يجعل

(١) سورة المائدة: الآية ٣

(٢) سورة التوبة: الآية ٣٨

(٣) الأمل، مكارم الشيرازي: ٥٤ / ٦

المتلقي للقرآن الكريم متأثر به؛ لأنه إذا رجع لنفسه وجد هذه الحقيقة ماثلة أمامه، فلا سبب للتخلي عن الجهاد أكبر من حبّ الدنيا ومتاعها.

• قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِقًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١).

تبين الآية المباركة قيمة فقهية وهي قيمة الإخلاص في العمل، فالمراد من الآية أنّ "من قصد طاعة الله ثم عجز عن إتمامها، كتب الله له ثواب تلك الطاعة، كالمريض يعجز عمّا كان يفعله في حال صحته من الطاعة، فيكتب له ثواب ذلك العمل"^(٢).

إنّ قيمة إخلاص النية تخلق تواصلاً بين المتلقي ومبدع النص فالإنسان "لا يشعر بسلطان لكائن بشري يتحكم فيه فيورثه ذلك عزة وحرية وكرامة لدى نفسه ولدى الناس"^(٣)، ثم إنّ قيمة الاخلاص لها بعد تواصلية؛ إذ نجدها محور العبادة فهي تمثل البؤرة والمركز في العبادات، والمتلقي بهذا يعلم اختلاف القرآن الكريم في إعجازه التواصلية عن غيره من الخطابات التي لا يقف على جوهر قيمهما.

• قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾^(٤).

تقرر الآية قيمة فقهية وهي عدم إباحة الصيد في الإحرام، "وهذا الطرح بدوره مرتبط بتركية النفس من حيث حرص التشريع الإسلامي على أن يتصاعد الشخص، في حالة إحرامه إلى سحق (الذات) تماماً، فيمتنع عن ممارسة كل ما له صلة بالمهموم الذاتية"^(٥).

إنّ شعائر الحج من الأمور التي كان بعضها قبل مجيء الإسلام، لكن كان يشوبها الكثير من الطقوس التي وضعها الناس؛ لذلك هذبها القرآن الكريم، وهذا ما

(١) سورة النساء: الآية ١٠٠

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي: ١٩٨/١١

(٣) فاعلية الخطاب التواصلية في الحديث النبوي الشريف، مازن موفق: ٤١

(٤) سورة المائدة: الآية ٢

(٥) التفسير البنائي للقرآن الكريم، محمود البستاني: ٩٦

جعل المتلقي يتفاعل مع ما أقره؛ إذ جعلها طقوس تهذب النفس الإنسانية وتسمو بها، ولم يجعلها عادات وشعائر لا مضمون لها، وبهذا الطرح تغدوا تكشف عن التواصل الذي يغدوا وجهًا إعجازيًا.

يخلص الباحث إلى أنّ ما تملك القيم الفقهية من قدرة على خلق التفاعل بين القرآن الكريم ومتلقيه يكشف عن الإعجاز التواصلي في القرآن الكريم؛ إذ لم تعرف البشرية بتاريخها الطويل مثل القيم الفقهية التي جاء بها القرآن، فهي تتبنى تغيير الواقع السلوكي التعبدي للفرد المسلم.

ثالثاً: القيم الأخلاقية:

إنّ القيم الأخلاقية في إعجازها التواصلي تنطلق من فلسفة التواصل التي تقوم على فلسفة أخلاقية وهي: إنّ الأخلاق لم تعد نهياً ولا أمراً ولا سلسلة محرمات وإكراهات، أو مجرد إيمان أعمى بمعتقدات ومثل وقيم، بل تخضع قواعدها للمجادلة والمحاجة المنطقية بهدف استنباط جملة معايير تضمن سبل تنظيم الأخلاق في المجتمع، أي إنّ الأخلاق ليس حرباً عواناً تشن؛ لأنّ الناس عبيد ما يألّفون، أي إنّ ما يهم معياريتها هو (عقلنة) الإرادة الإنسانية بدون عنف أو إكراه، وهي بذلك تطمح للكونية^(١).

وهذا الطرح نجده في القيم الأخلاقية التي جاء بها القرآن الكريم؛ إذ أنها تقوم على الحجة وبيان فلسفتها، وهي لا تفرض على الإنسان فرضاً وإكراهاً، بل تقدم الأخلاق بصورة يتقبلها العقل، وتهفوا لها النفس، لأنّ القيم الأخلاقية لها دافع ذاتي لا يخص فرداً دون آخر أو يخص جماعة دون أخرى، ولأنّها على صلة بما يعيشه الإنسان على هذه المعمورة؛ أي إنّها قيم تمثل الوجود الإنساني متعالية على الزمان والمكان، والأفراد، فهي تحطّ سلوك مشترك لجميع الناس.

تُقدم القيم الأخلاقية لذهن المتلقي مجموعة من القيم تجعل المتلقي منبهراً حيالها؛ فكل توجيهات القرآن الكريم من حث على امتثال وتحذير من قبائح وفضائح،

(١) ينظر: النظرية النقدية التواصلية، حسن مصدق: ١٢

فصّلت لثري النفس البشرية على الصواب، وتسير على الاستقامة، والعدل والاستقرار، بعد ذلك تجعله يستشعر بطمأنينة الحال، وراحة البال.

وفلسفة التواصل تجعل الوعي الأخلاقي متحرراً من أي إقصاء للمضامين الأخرى من دون رؤية واضحة وتجعل الفرد متفاعلاً مع ما تم تحديده من قيم أخلاقية، فهي مجموعة من المعايير التي تُنظم ممارسات المجتمع، وتبلور قواعد تعمل على تعميق الروابط بين أعضائه، أما الإعجاز التواصلية في القيم الأخلاقية، فهو قائم على تفاعل المتلقي معها، فهي تثير أعماق الشعور الإنساني فتدفع للعمل وتمثيلها واقعاً وتجسيدها سلوكاً، فهي تجعل المتلقي يخلق بين آيات القرآن الكريم، وهو يجد تلك الآيات تلامس واقعه، وتلامس شعوره فهي تخلق به إلى عالم حقيقي وواقعي بعيد عن الخيال، فهذه القيمة التي لا يمكن أن تستغني عنها الأمم ومن غير الممكن تحقيق العلاقات التعاملية بدونها، فالتأكيد على هذه العلاقات يجعل المتلقي ينتبه إلى من هو المتكلم الذي يبيّن تلك القيم.

والقيم الأخلاقية في القرآن الكريم وبناءً على إعجازها التواصلية لا تقوم على الغلبة وهوس القوة ولا تمنح شرعيتها من رؤية تمثيلية خاصة بالفرد، كيفما كان، بل تقوم على المحاجة والإقناع، أنها القواعد والأحكام تقبلها النفس، فهي نابعة من واقعها الفطري، بهذا يكمن الإعجاز التواصلية في القيم الأخلاقية في القرآن الكريم، ويمكن أن نلمس ذلك في كثير من الآيات التي تتحدث عن الأخلاق، فقد كانت القيم الأخلاقية محط عناية الخطاب القرآني، فالقيم الأخلاقية مقياس لرفي الفرد والمجتمع، وممكن أن تكون أسرع القيم في خلق التواصل؛ وذلك لأنها تدعو للتفكير بها وتحليلها والتفاعل معها.

إنّ القيم القرآنية كانت كفيلة بالتفاعل معها؛ لما أحدثته من أمور منها، التغيير الذي أصاب التقاليد والقيم الثقافية السائدة، وانفراط عقد الجماعة، وهذا كفيل ببناء جماعة جديدة قائمة على مقومات جديدة (الاندماج الاجتماعي) والتنشئة الاجتماعية كل ذلك قائم على القيم الأخلاقية التي جاء بها الإسلام، فكل تلك القيم تخلق تواصلاً

يكون عن طريق التفاعل معها، وجعل المتلقي متفاعلاً معها، والواقع الأخلاقي ينقسم على قيم نظرية، وقيم عملية، والآيات التي تحمل قيماً أخلاقية كثيرة نذكر أمثلة منها:

• قوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^(١).

تخلق هذه الآية تواصلاً مع القرآن الكريم، وذلك عن طريق إثارة المتلقي وبما تحمله من قيمة أخلاقية فقد "أمر الله تعالى نبيه أن يأخذ مع الناس بالعفو، وهو التساهل فيما بينه وبينهم وقبول اليسير منهم الذي سهله عليهم ويسر فعله لهم، وأن يترك الاستقصاء عليهم في ذلك، وهذا يكون في مطالبة الحقوق الواجبة لله تعالى وللناس وغيرها"^(٢)، وهذا الخطاب عامّ يشمل كلّ منلقٍ للقرآن الكريم بعد الإيمان به وبأساس العقيدة؛ فهذه الآية بيان لأصول الفضائل الأخلاقية وأساس التشريع، وهي التي تلي في المرتبة أصول العقيدة المبنية على التوحيد^(٣).

• قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾^(٤).

إنّ القيمة الأخلاقية في هذه الآية تدعو إلى نشر الخير والإصلاح، والنهي عن الفساد والإفساد، وهو أن مكلف يجب عليه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، إما بيده، أو بلسانه، أو بقلبه، ويجب على كل أحد دفع الضرر عن النفس إذا ثبت ذلك الضرر، إنّ هذه الآية، وغيرها من الآيات التي تستهدف بناء الإنسان المسلم البناء الإسلامي الصحيح الذي يتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليكون ذلك سبباً في تقدمه، وعدم شيوع المفاصد في مجتمعه.

(١) سورة لأعراف: الآية ١٩٩

(٢) ينظر: التبيان، الطوسي: ٦٢/٥

(٣) المنار، محمد رشيد رضا: ٤٤٤/٩

(٤) سورة آل عمران: الآية ١١٠



- قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا كُفُؤًا قَوْمِينَ لَلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقَسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(١).

إنّ القيمة الأخلاقية في هذه الآية تتمثل في دعوة الله للناس أن يكونوا على مستوى عالي من الإنصاف والقيام بالعدل؛ إذ يدعو الله عباده المؤمنين ليكون شهداء بالعدل في أوليائهم وأعدائهم، ولا يجوروا في أحكامهم وأفعالهم، ولا يقصروا فيما حدده الله لهم من أحكام وحدود^(٢)، والذي يطالع تعاليم هذه الآية المباركة تتوق نفسه لمعرفة فلسفتها الأخلاقية التي لا يجدها في غير القرآن الكريم، وهذا ما يترك عند المتلقي دافع في التواصل معه.

- ومن الآيات التي تحمل قيم أخلاقية قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اجْتِبَاءً كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا يَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعضُكُمْ بَعضًا أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾^(٣).

تقرر الآية قيمة أخلاقية وهي الابتعاد عن الغيبة، وتشنيع عمل من يقوم بها، فقد قررت الآية وجوب الاحتراز عن إهانة جانب المؤمن حال غيبته، وذكر ما لو كان حاضراً لتأذى، وفيه معنى آخر وهو أن الاغتياب كأكل لحم الأدمي ميتاً^(٤). إنّ الآية شَبَّهت أمراً معنوياً وغير مادي بأمرٍ محسوس ومادي؛ فـ"في هذه الآية شَبَّهت الغيبة، التي هي من الذنوب الكبيرة والخطرة وبلاءً عاماً، بأكل لحم الأخ الميت، وتريد القول عن طريق ذلك كما أنّه لا أحد يأكل لحم أخيه كذلك الحال المفروض في الغيبة، فلا ينبغي أن ترتكب أبداً، وهذه الوصية الأخلاقية بصورتها التشبيهية تحلق بخيال الإنسان فتجعله يتصور ذلك المنظر البشع ليبتعد عن الغيبة،

(١) سورة المائدة: الآية ٨

(٢) ينظر: جامع البيان، الطبري: ٩٥ / ١٠

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٢

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي: ٩٨ / ٢٨، أمثال القرآن، ناصر بن سعد الرشيد: ٨ / ٢٦، الأمثل، مكارم الشيرازي: ٥٤٩ / ١٦.

وهذا التشبيه الذي اختاره القرآن الكريم هو الذي يجعله خطاباً تواصلاً متفرداً، فهل يقدر أي من البشر القيام بهذا التصوير؟ كلا، إن هذا الوجه وجيه جداً؛ إذ يمكن عن طريقه كشف إعجاز القرآن التواصلي.

• من الآيات التي تحمل قيم أخلاقية قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا نُنْفِقُونَ ﴿١٦٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٦٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٠﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٧١﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٧٢﴾ عَادُوا ﴿١٧٣﴾ قَالُوا لَنْ نَمُوتَ بِمَا نَعْبُدُ فَتَنْجِينَا اللَّهُ مِنَ الْعَذَابِ إِنَّ اللَّهَ لَهُ الْعِلْمُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٧٤﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٧٥﴾﴾^(١).

في هذه الآيات الكريمة إبراز القيم الأخلاقية عن طريق الشخصيات الإيجابية في القرآن الكريم، من ذلك الحوار بين النبي لوط (عليه السلام) وقومه فالنبي لوط (عليه السلام) يمثل الشخصية الإيجابية التي تمثل قيماً أخلاقية عليا، تمثل القيم في هذه الحوار الصادر من الشخصية الإيجابية، التقوى، والأمانة، والسلام، ومحاربة الفساد، والموقف الصارم قبل السلبية للطرف المقابل وهي عدم التقوى، والتكذيب والفساد الشنيع المتمثل بالانحراف الجنسي والأخلاقي، ففي هذا الحوار التواصلي يبرز القرآن الكريم الشخصية الإيجابية النبي نوح (عليه السلام) وما يدعو له من قيم أخلاقية عليا، في قبال السلبية التي يمثلها قومه، فقد أثبت الحوار القيم الأخلاقية العليا، وتعزية البنیان المتهالك للأخلاق السلبية التي يحملها الطرف المقابل، فمّا ذكر من قيم تتجسد في الحوار الذي هو بحد ذاته قمة في التواصل.

(١) سورة الشعراء: الآية ١٦٠ - ١٦٨



- ومن الآيات التي تحمل قيم أخلاقية عليا قوله تعالى: ﴿فَمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْهُمُ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَّفَقَضْنَا الْقَلْبَ لَأَفْقَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(١).

تقرر الآية البعد الاخلاقي في شخصية النبي (ﷺ) ذلك القائد العظيم الذي تفرّد بصفات خُلقية حتى وصفه الله بأنه على خلق عظيم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢).

إنّ اللين مع الرعية من الممكن أن يراها كثير من قادة السياسة صفة سلبية، لكن القرآن الكريم يرفض هذا التصور ويؤكد أن سبب تواصل الإمة مع قائدها هو اللين والرفق بهم، وأنّ فضاظة القلب تكون سبب في تفرق الأمة عن قائدها، "هذا خطاب للنبي (ﷺ)، والمعنى: فبرحمة من الله لئن للمؤمنين حتى آمنوا بك فسهلت عليهم الأمر، وبينت لهم الحجج، وحسنت خلقك، وصبرت على الأذى"^(٣) ولقد أشير في هذه الآية، قبل أي شيء إلى واحدة من المزايا الأخلاقية لرسول الله (ﷺ)، ألا وهي اللين مع الناس والرحمة بهم، وخلوه من الفضاظة والخسونة، فهذا الأمر يدعوا إلى تفاعل المتلقي مع القرآن الكريم الذي يُبين أخلاق من يختاره الله (تبارك وتعالى) للقيادة، وهذا الأمر يكون على الخط الطويل للبشرية لتعرف عن طريقه الصفات الخُلقية لقادتها، فأخلاق القائد يجب أن تكون بناءً على ما أودعه الله (تبارك وتعالى) به، لذا نجد مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) تعد اختيار القائد من مختصات الله ورسوله؛ لأن ذلك الاختيار قائم على قيم أخلاقية أودعها الله في ذلك القائد.

الخلاصة: يتّضح ممّا تقدم ذكره من قيم أنّ القرآن الكريم عمل على ابتكار أساليب تواصلية فعالة، عن طريق تلك القيم حيث نجده يُنوع تلك القيم بحسب الأثر

(١) آل عمران: الآية ١٥٩

(٢) سورة القلم: الآية ٤

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب: ١١٦٠ / ٢

الذي يسعى لتركه في المتلقي، ممّا يجعلها تتواشج مع النفس، والفكر البشري، فالقرآن الكريم تارة يخاطب في قيمه العقل، ويرشده إلى أعمال النظر والفكر، واستنباط السنن الكونية، والتفكر في الخلق، وتارة يخاطب الروح ليقف على أشواقها، وآمالها وآلامها، وتطلعاتها، وتارة يرشد الإنسان إلى الاستدلال المنطقي، ولا يقف عند ذلك بل يفتح عينيه على البديهيات، ويستعمل أسلوب الترغيب والترهيب، والمثل والقصة، ممّا جعل من القرآن الكريم منظومة تواصلية بالغة التأثير في المتلقي، وصيغ بناء القيم القرآنية صياغة توافرت على مقومات التأثير والجمال في آن واحد؛ وذلك بمراعاة القرآن الكريم التناسب بين قيمه المتنوعة والمتعددة بحيث لا يطغى بعضها على بعض، وإنما جعل بعضها يكمل الآخر، في بناء قرآني تفرد بالتأثير والجمال.

كما تفردت القيم القرآنية بإعجازها التواصلي؛ إذ لم يأت بها غير القرآن الكريم، فقد جاءت على نظام محكم تم اختياره ليمثل حلقة وصل بين المتكلم الله (ﷻ) والمتلقي، هذا النظام وإن اختص بلغة معينة لكن فيه خطوطاً عامة تشترك بها جميع اللغات، فهو نظام سنني كوني يمكن ترجمة مضامينه بناء على نظام تواصلي موحد تشترك به جميع اللغة؛ إذ إنّ هذه القيم التي وظفت للتواصل في القرآن الكريم، هي قيم خارجة عن المؤلف ممّا جعل الاهتمام بها يتزايد، وهذا المعطى الذي منح القرآن الكريم المكانة العالية والخالدة، لذا فالتواصل في القرآن يقصد به اتساق النص وترابطه مع المتلقي اتساقاً وترابطاً يستهوي القلوب، ويأخذ في النفوس، ويغدو هذا التأثير تفاعلاً لا ينفك بين القرآن الكريم ومتلقيه ليصل إلى تمثيل ما تم قراءته في سلوك المتلقي، فهو يأخذ البشرية إلى التفكير في قيمه، ويجعل منها قاعدة لسلوكه؛ لأجل أن يحس الفرد أن هذا السلوك شرّ يجب اجتنابه، وأن ذلك السلوك خير ينبغي فعله، وأن هذه الطريقة الفذة في العرض والتحليل للقيم القرآنية، هي من دلائل الأعجاز في القرآن الكريم، والوقوف على القيم القرآنية يفضي إلى معرفة عدم قدرة الناس، ومدى عجزهم عن مجاراته أو مداناته، وهذا يُثبت إعجازه التواصلي.

الختمة

الخاتمة

في ختام هذه الأطروحة التي حاولت التأسيس فيها للأعجاز التواصلي، أوجز أهم النتائج التي توصلت إليها:

١- إن مفهوم التواصل الذي وقفت عليه في القرآن الكريم تجربة تعكس تفاعلاً راجعاً في أصله إلى الواقع الإعجازي الذي يمتاز به القرآن الكريم منذ نزوله وإلى يومنا هذا؛ إذ أن القرآن الكريم قادر على إثبات وجوده وتحصيل مقبوليته عن طريق نظامه اللغوي، ومضمونه الفكري، فضلاً عن أنه وحياً إلهياً وكلام الله عز وجل قد تعهد الباري سبحانه بحفظه قائلاً: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ وهذا يؤسس لإعجازه التواصلي، الذي يمتاز به عن النصوص الأخرى الدينية وغير الدينية، وهو وجه للتحدي الذي عجز جميع الخلق عن الوصول إليه.

٢- أعتقد أن كل ما قيل في أطروحات الإعجاز القرآن داخل ضمن الإعجاز التواصلي؛ لأن كل الأطروحات كانت تُريد أن تثبت السبب الذي جعل المتلقي للقرآن الكريم يتفاعل معه، أي ما هو السر الذي يحمله القرآن في جعل من يتلقاه يتفاعل معه، وهذا ما أردته من الإعجاز التواصلي في القرآن الكريم؛ إذ لم يقدر أحد من البشر أن يأتي بخطاب أو نص له القدرة في جعل متلقيه متفاعلاً ومتأثراً بهذا المستوى الذي نجده في القرآن الكريم.

٣- إن القرآن الكريم هو تفصيل الكتاب كما عبر عن نفسه وهذا التفصيل من قبل الوحي فهو قادر على أن يؤثر في المتلقي والتسليم والإذعان لما يتضمنه، وهذا الأثر في المتلقي لم يكن لولا التفاعل الروحي بينه وبين المتلقي ويجعله ينشد إليه، وهذا التفاعل نتاج ما أكتنزه من معارف غيبية ومعنوية؛ فكان لها أثراً كبيراً في تنفرد القرآن الكريم بتواصله، الذي وصل إلى مرتبة التحدي التي عجز البشر عن الوصول إليها، وبهذا يتبين إعجاز القرآن التواصلي.

٤- إنَّ القراءة أصبحت في ظل القرآن الكريم فعلاً مستمرّاً لا يتوقف؛ إذ يبدأ من أول آية قرآنية نزلت ويستمر إلى الزمن الحاضر، في حركة لا تهدأ ولا تنفذ، أن تلاوة القرآن الكريم على وفق المنهج الإلهي وتطبيق سنة المعصومين (عليه السلام) كما جاءت الرواية عن الحسين (عليه السلام) في وصف القرآن الكريم إذ قال: «كتاب الله عزّ وجلّ على أربعة أشياء: على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء»^(١)؛ إذ يحتل المتلقي حضوراً مكثفاً في القرآن الكريم منذ نزوله في أول لحظة، فقد شكّل بؤرة الخطاب ومركزيته.

٥- إنَّ الإعجاز التواصلي هو الذي أحدث تغييراً في سلوك المتلقي للرسالة وهذا هو الغاية من المعجزة؛ فأن المعجزة هي عنصر إثبات لمن جاء بالرسالة على إنه يتصل بالله، فأن أي أمر يخرق القواعد المتعارف عليها فهو معجز، وغايته إثبات علاقة صاحب الرسالة بالله تعالى، فالقرآن معجز بما أثاره من تفاعل معه وممّا له من وقع على تغيير المنظومة الفكرية والمعرفية للمتلقي، ومن ثمة تغيير سلوكه.

٦- إنَّ التواصل في القرآن الكريم يتجاوز صحة المعنى اللغوي وسلامته إلى صواب المعنى وحقيقته، فيتفاعل المخاطب معه، فيستشري فيه روحاً وقلباً وعقلاً، وبهذا يظهر التواصل عن طريق الاعتقاد والفهم والسلوك والقراءة والسمع والإنصات، إذ أن من أبرز ما تمثّل به الخطاب القرآني هو الإعجاز التواصلي بحيث جعل المتلقي موضوعه الرئيس حكمةً وقصداً، وهذا المنحى الذي يتجلى فيه لفظاً ومعنى، وهدفاً يشير إلى حقيقة مهمة جداً وهي أنّ القرآن الكريم هو وحي ألهي تضمن كلام الله عزّ وجلّ.

(١) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليه السلام)، المجلسي: ٢٠ / ٨٩

٧- إنَّ التواصل يظهر في الخطاب القرآني من أوله إلى آخره ويوجه كل الخطاب القرآني ويحدد مراميه التي تندمج داخل بعضها البعض طبقاً لتراتبية هرمية ينبغي على التحليل أن يحددها بدقة عن طريق الكشف عنها بوساطة كرائم القرآن وعدله الخطاب، وعن طريق التلقي للقرآن الكريم.

٨- إنَّ القيم القرآنية تظهر في مجالات مختلفة تتسم بأعجازها التواصلية، فهي قائمة على أسس ثابتة لا تنفك عنها، فضلاً عن تأثيرها الوجداني، والغاية التي تنشدها، وهي تحرير عقل الإنسان وفكره بناءً على أسس فكرية متينة، لا تقوم على معرفة سابقة؛ بل تقوم على الإبداع والتميز؛ فلم تكن تلك القيم حاضرة في الفكر الإنساني قبل نزول القرآن الكريم، وهذا ما جعل تلك القيم تثبت الإعجاز التواصلية للقرآن الكريم.

وختاماً أدعو الله الذي لا يخيب من دعاه أن يسجّل هذا العمل، وأن تكون هذه الأطروحة ثمرة يانعة تنفع المسلمين والباحثين.

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع



قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم

المصادر والمراجع

١. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعة، الاسكندرية، د. ط، ٢٠٠٦م.
٢. الآيات في القرآن الكريم وأبعادها التواصلية، مسعدة مرسللي، الناشر: ألفا للوثائق، قسنطينة، الجزائر، الطبعة الاولى، ٢٠٢٣م.
٣. الأبعاد التداولية عند الأصوليين مدرسة النجف الحديثة إنموذجاً، فضاء ذياب الحسناوي، الناشر: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.
٤. الإبهاج في شرح المنهاج (منهاج الوصول إلي علم الأصول للفاضل البيضاوي (ت٧٨٥هـ)، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيى السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، ١٩٩٥ م.
٥. الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، مقداد يالجن، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م.
٦. الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، عصام خلف عامل، الناشر: دار الفرحة، الطبعة الاولى، ٢٠٠٣م.
٧. الاتجاهات السيميوطيقية (التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية)، جميل حمداوي، الناشر: المكتبة الذهبية، الطبعة الاولى ٢٠١٥م.
٨. الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، مارسليو داسكال، تر: حميد الحمداني وآخرون، الناشر: أفريقيا الشرق، المغرب، د. ط، د. ت.
٩. الاتصال الإداري والإعلامي، محمد أبو سمرة، الناشر: دار هومة للنشر والتوزيع، عمان، د. ط، ٢٠٠٨م.



١٠. الاتصال والخدمة الاجتماعية: أميرة منصور، الناشر: المكتب الثقافي الحديث، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٩٩٩م.
١١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط، تعليق: مصطفى شيخ مصطفى، الناشر: مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
١٢. أثر السياق في توجيه دلالة الألفاظ، عبد الكاظم الحسيني، الناشر: جيكور للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠١٧م.
١٣. الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الأمدي (ت ٦٣١هـ)، علق عليه: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: دار الصمعي للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
١٤. أحكام القرآن، علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكنيا الهراسي الشافعي، (ت ٥٠٤هـ)، : موسى محمد علي وعزة عبد عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ.
١٥. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، (ت ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م.
١٦. استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر، الناشر: دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٤م.
١٧. استراتيجية التواصل في البلاغ القرآني، ليلي جودي، الناشر: دار غيداء للنشر، الأردن، الطبعة الاولى، ٢٠١٢م.
١٨. استقبال النص عند العرب، محمد المبارك، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان، الطبعة الاولى ، ١٩٩٩م.
١٩. الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، العياشي أدرابي، الناشر: منشورات الاختلاف، الرباط، الطبعة الاولى، ٢٠١١م.



٢٠. أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، د. ط، د.ت.
٢١. الأسس الابدستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيوييه، إدريس مقبول، الناشر: جدار للكتاب العالمي، عمان، وعالم الكتاب الحديث، اربد، الاردن، الطبعة الاولى، ٢٠١١م.
٢٢. الأسس لنظريات الإعلام، جيهان أحمد رشتي، الناشر: دار الفكر العربي، د.ت، ١٩٨٨م.
٢٣. أسس السيميائية، دانيال تشاندلر، تر: طلال وهبه، مراجعة ميشال، الناشر: المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
٢٤. أسلوب الدعوة القرآنية، دعوة ومنهاجاً، عبد الغني محمد سعد بركة، الناشر: دار غريب، مصر، الطبعة الاولى، ١٩٨٣م.
٢٥. الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، سعد مصلوح، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م.
٢٦. الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام، عدنان علي رضا النحوي، الناشر: دار النحوي، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الاولى، ١٩٩٩م.
٢٧. الاسلوبيات وتحليل الخطاب، الناشر: منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، د. ط، ٢٠٠٦م.
٢٨. أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، تنظير وتطبيق على السور المكية، مثنى كاظم صادق، الناشر: مكتبة عدنان، بغداد، الطبعة الاولى، ١٠١٥م.
٢٩. الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، الناشر: الدار العربية للكتاب، الطبعة الثالثة، د. ت.
٣٠. الأسلوبية وتحليل الخطاب، نور الدين السد، الناشر: دار هرمة للطباعة والنشر، الجزائر، د. ط، ١٩٩٧م.



٣١. إشكاليات القراءة وآليات التأويل، نصر حامد أبو زيد، الناشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.
٣٢. إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، عمر مهيل، الناشر: منشورات الاختلاف، الجزائر، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
٣٣. الإعجاز الإعلامي في القرآن الكريم، تأصيل وتطبيق، طه أحمد الزيدي، الناشر: دار الفجر، بغداد، العراق، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.
٣٤. الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم، خليل مصطفى السعيد، الناشر: مطبعة أجيالنا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
٣٥. إعجاز القرآن الكريم بالصرفه والأنباء بالغيب، حسين نصار، الناشر: مكتبة مصر، الفجالة - القاهرة، مصر، د. ط، ٢٠٠٠م.
٣٦. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، (ت ١٣٥٦هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٥م.
٣٧. إعجاز القرآن ومنهج البحث عن التميز (الموازنة)، محمد إبراهيم، الناشر: مكتبة جزيرة الورد، المنصورة، د. ط، ٢٠٠٧م.
٣٨. إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (ت ٤٠٣هـ)، تح: السيد أحمد صقر، الناشر: دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة، ١٩٩٧م.
٣٩. الإعجاز بين النظرية والتطبيق، محاضرات السيد كمال الحيدري، بقلم: محمود نعمة الجياشي، الناشر: مؤسسة الإمام الجواد (عليه السلام) للفكر والثقافة، د. ط، د. ت.
٤٠. الإعلامية في الخطاب القرآني - دراسة في ضوء نظرية التواصل، زهراء البرقعواوي، الناشر: دار كنوز المعرفة العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.



٤١. الألسنية مبادئها وأعلامها، ميشال زكريا، الناشر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، د. ط، ١٩٨٠م.
٤٢. إلى اللسانيات، رونالد إوار، تر: بدر الدين القاسم، مطبعة جامعة دمشق، د. ط، ١٩٨٠م.
٤٣. أمثال القرآن، ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دراسة وتحقيق: ناصر بن سعد الرشيد، الناشر: مطابع الصفا، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.
٤٤. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، الناشر: مؤسّسة الأعلمي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
٤٥. الأنظار التفسيرية في تراث المرجع الديني الكبير السيد الشهيد محمد الصدر (عليه السلام)، محمود الجياشي، تقديم: السيد مقتدى الصدر، الناشر: مؤسسة المنتظر (عج) لإحياء تراث آل الصدر، مطبعة ياسين، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
٤٦. أنظمة العلامة في اللغة والادب والثقافة مدخل إلى السيموطيقا، سيزا قاسم، ونصر حامد أبو زيد، الناشر: منشورات عيون، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
٤٧. انفتاح النصّ الروائي (النص والسياق)، سعيد يقطين، الناشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م.
٤٨. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، العلامة المجلسي، المولى محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١٠هـ)، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٤ هـ ق.
٤٩. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجبية الحسني الأنجري (ت ١٢٢٤هـ)، تج: أحمد عبد الله القرشي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.



٥٠. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تح: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ.
٥١. البرغماتية، وليام جيمس، تر: وليد شحادة، الناشر: دار الفرقد، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠١٤ م.
٥٢. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٩٥٧ م.
٥٣. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، تح: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦ م.
٥٤. بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية (الخطابة في القرن الأول أمونجًا)، محمد عبد الله العمري، الناشر: افريقيا الشرق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢ م.
٥٥. البلاغة العربية واصولها النظرية، محمد صغير بناني، الناشر: دار الحداثة، بيروت، د.ط، د.ت.
٥٦. البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، الناشر: الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م.
٥٧. البنيوية في علوم اللغة المصطفى الشادلي، ترجمة: سعيد جبار، الناشر: دار الكتاب الجديد، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤ م.
٥٨. بيان إعجاز القرآن، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت ٣٨٨هـ)، تح: محمد خلف الله، محمد زغول سلام، الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦ م.



٥٩. البيان في إعجاز القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي، الناشر: دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م.
٦٠. البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم بن تاج الدين الموسوي (رحمته الله) (ت ١٤١٣هـ)، الناشر: دار الزهراء للطباعة، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٧٥ م.
٦١. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، الطبعة السابعة، ١٩٨٨م.
٦٢. التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، امبرتو إيكو، تر: سعيد بنكراد، الناشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية ٢٠٠٤م.
٦٣. التأويل في مختلف المذاهب والآراء، محمد هادي معرفة، الناشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، المعاونة الثقافية، مركز التحقيقات والدراسات العلمية، طهران، إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.
٦٤. التبيان في تفسير القرآن، ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٥٤٦٠هـ)، تح: أحمد حبيب قصير العاملي، قدم له: أغا بزرك الطهراني، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت.
٦٥. تجديد المنهج في تقويم التراث، طه عبد الرحمن، الناشر: المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ١٩٩٣م.
٦٦. تجلّي الجميل ومقالات أخرى، غدامير، هانز جورج، تحرير: روبرت برناسكوني، ترجمة: سعيد توفيق، الناشر: المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، د. ط، ١٩٩٧م.
٦٧. تحرير الإنسان وتجريد الطغيان، حاكم بن عبيسان المطيري، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د. ط، ٢٠٠٩م.
٦٨. التحرير والتتوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، د. ط، ١٩٨٤م.



٦٩. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، العلامة المصطفويّ، الناشر: مركز نشر آثار العلامة المصطفويّ، الطبعة الأولى، ١٣٨٥ هـ.
٧٠. تحليل الخطاب الأدبي (دراسة تطبيقية)، إبراهيم صحراوي، الناشر: دار الأفاق، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م.
٧١. تحليل الخطاب الحوارية في نظرية النحو الوظيفي، سعيدة زغيد، الناشر: دار مجدلاوي، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٥ م.
٧٢. تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، محمد مفتاح، الناشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢ م.
٧٣. تحليل الخطاب، جورج ويول، تر: محمد لطفي الزليطي ومخير التريكي، الناشر: مطابع جامعة الملك سعود، السعودية، دت، ١٩٩٧ م.
٧٤. تحليل الخطاب، في نظرية النحو الوظيفي، نعيمة الزهري، الناشر: منشورات ضفاف، الطبعة الأولى، ٢٠١٤ م.
٧٥. التحليل السيميوطيقي للنص الشعري، ترجمة: عبد الرحمن بوعلي، الناشر: مطبعة المعارف الجديدة، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م.
٧٦. تداوليات الإدراك والتواصل، اشواق محمد النجار، الناشر: دار كنوز المعرفة، الأردن، الطبعة الأولى، دت، ٢٠٢٣ م.
٧٧. التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ إسماعيلي ومجموعة باحثين، الناشر: عالم الكتاب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١١ م.
٧٨. التداوليات وتحليل الخطاب، جميل حمداوي، الناشر: مكتبة المثقف، الطبعة الأولى، دط، د. ت.
٧٩. التداولية اصولها واتجاهاتها، جواد ختام، الناشر: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٦ م.
٨٠. تداولية الخطاب، من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب، آن روبول، وجاك موشلار، ترجمة وتعليق: لحن بوتكلاي، الناشر: كنوز المعرفة، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠ م.



٨١. التداولية اليوم في التواصل، آن روبل وجاك موشلار، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، الناشر: دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
٨٢. التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، الناشر: دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
٨٣. التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلاشيه، ترجمة: صابر الحباشنة، الناشر: دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
٨٤. تساؤلات التداولية وتحليل الخطاب، دراسات وبحوث مختارة، ترجمة: حافظ اسماعيل عليوي، وآخرون، الناشر: كنوز المعرفة، عمان، الطبعة الأولى، د.ت.
٨٥. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق، القاهرة، الطبعة العاشرة، ١٩٨٨م.
٨٦. تفسير ابن كثير، عماد الدين ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
٨٧. التفسير البنائي للقرآن الكريم، محمود البستاني، الناشر: مكتبة مؤمن قريش، الطباعة: مؤسسة النشر التابعة للاستانة الرضوية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٨٨. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، الطبعة الأولى، ١٩٧٧م.
٨٩. تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، (ت ٤٨٩هـ)، تح: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.



٩٠. تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٩٠ م.
٩١. التفسير المُنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، الناشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة العاشرة، ٢٠٠٩ م.
٩٢. تفسير النكت والعيون، علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت ٤٥٠هـ)، راجعه وعلّق عليه: عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، د. ط، د.ت.
٩٣. تفسير مجمع البيان، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٨٤هـ)، الناشر: دار العلوم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م.
٩٤. التفكير الدلالي عند المعتزلة، علي حاتم الحسن، الناشر: دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الاولى، ٢٠٠٢ م.
٩٥. التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبد السلام المسدي، الناشر: الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٨٦ م.
٩٦. تكوين العقل العربي، محمد عابد الجابري، الناشر: المركز العربي الثقافي بيروت، الطباعة: دار الطليعة، الطبعة الأولى، ١٩٨٤ م.
٩٧. التلقي والتأويل بيان سلطة القارئ في الأدب، محمد عزام، الناشر: دار الينابيع، دمشق، الطبعة الاولى، ٢٠٠٧ م.
٩٨. التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي، الناشر: دار التعارف للمطبوعات، قم المقدسة، د.ط، ٢٠١١ م.
٩٩. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرّي (ت ٣٧٠هـ)، تح: محمد معوّض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م.
١٠٠. التواصل اللساني والسيميائي والتربوي، جليل حمداوي، الناشر: مؤسسة المثقف العربي، المغرب، الطبعة الاولى، ٢٠١٥ م.



١٠١. التواصل اللساني والشعرية، مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكسون، الطاهر بن حسين بومزبر، الناشر: منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الاولى، ٢٠٠٧م.
١٠٢. التواصل في القرآن الكريم، ابراهيم حسن ابو حسنية، الناشر: كنوز المعرفة، عمان، الأردن، الطبعة الاولى، ٢٠١٤م.
١٠٣. التواصل والتفاعل المدرسي، تاعوينات علي، الناشر: هيئة التأطير بالمعهد، د.ط، ٢٠٠٩م.
١٠٤. توظيف علم الدلالة المعجمي في حقل التفسير القرآني، عبد الرحمن طعمة، الناشر: كنوز المعرفة، الطبعة الاولى، ٢٠١٨م.
١٠٥. التوقيف على مهمّات التعاريف، عبد الرؤوف المناويّ (ت ١٠٣١هـ)، تح: عبد الحميد صالح حمدان، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
١٠٦. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمّد بن جرير الطبريّ (ت ٣١٠هـ)، تح: د. عبد الله عبد المحسن التركيّ، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
١٠٧. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
١٠٨. جماليات الأسلوب والتلقي، موسى ربابعة، الناشر: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، أربد، الأردن، الطبعة الاولى، ٢٠٠٠م.
١٠٩. جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني، صالح ملا عزيز، الناشر: دار الزمان، دمشق، سوريا، الطبعة الاولى، ٢٠١٠م.
١١٠. جماليات التلقي في السرد القرآني، لطيف يادكار الشهرزوري، الناشر: دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع: سوريا، الطبعة الاولى، ٢٠١٠م.



١١١. جماليات التلقي، دراسة في نظرية التلقي عند هانز روبرت يابوس وفولفجانج إيزر، سامي إسماعيل، الناشر: المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الاولى، ٢٠٠٢م.
١١٢. جمالية التلقي في القرآن الكريم أدبية الإيقاع الإعجازي نموذجاً، شارف مرازي، الناشر: اتحاد الكتاب العربي، دمشق، الطبعة الاولى، ٢٠٠٩م.
١١٣. جمالية الخطاب القرآني برؤية معاصرة، سلام كاظم الالوسي، الناشر: دار نيبور، العراق، الطبعة الاولى، ٢٠١٤م.
١١٤. جمالية الخطاب في النص القرآني، لطفي الجودي، الناشر: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.
١١٥. جمل العلم، الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)، تح: حمد الحسيني، الناشر: مؤسسة الآداب، الطبعة الاولى، ١٣٧٨هـ.
١١٦. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٥هـ)، تح: علي محمد عوض وعادل احمد عبد الموجود، الناشر: دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
١١٧. الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠١١م.
١١٨. حدود التواصل (الاجتماعي والتنازع من هابرماس وليوتار) فرانك مانفرد، تر: عز العرب نباتي، الناشر: افريقيا الشرق، المغرب، د. ط، ٢٠٠٣م.
١١٩. الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين، الناشر: دار أقرأ، بيروت، لبنان، الطبعة الاولى، د. ط، ١٩٨٤م.
١٢٠. حفریات المعرفة، ميشال فوكو، تر: سالم يقوت، الناشر: المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.
١٢١. الحقيقة والمنهج. غادامير، هانز جورج. تر: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، راجعه عن الألمانية: جورج كتوره، الناشر: دار اويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، طرابلس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.



١٢٢. الحل القصدي للغة في مواجهة الاعتباطية، عالم سبيط النيلي، الناشر: دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
١٢٣. الحوار القرآني تداوليته وحجاجيته، منتهى علي العبودي، الناشر: دار كنوز للطباعة والنشر، عمان-الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٢٢م.
١٢٤. الحوار وخصائص التفاعل التواصلي- دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، محمد نظيف، الناشر: افريقيا الشرق، ٢٠١٠م.
١٢٥. حول القصة الإسلامية، نجيب الكيلاني، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
١٢٦. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تح: محمد علي النجار، الناشر: المكتبة العلمية، الطبعة الرابعة، د.ت.
١٢٧. الخطاب القرآني وأسرار التلقي، عبد السلام المسدي، الناشر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، الطبعة الأولى، ٢٠٢٢م.
١٢٨. الخطاب القرآني، عموش، خلود، الناشر: عالم الكتب الحديث، الأردن، د.ط، ١٤٤٢هـ.
١٢٩. الخطاب والحجاج، أبو بكر العزاوي، الناشر: مؤسسة الرحاب الحديثة، لبنان، د.ط، ٢٠١٠م.
١٣٠. الخطاب وخصائص اللغة العربية، أحمد المتوكل، الناشر: منشورات الاختلاف، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
١٣١. دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي، الناشر: مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٢٦هـ.
١٣٢. درس السيميولوجيا، رولان بارت، تر: بن عبد العالي، تقديم: عبد الفتاح كيليطو، الناشر: دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م.
١٣٣. الدلالات المفتوحة، مقارنة سيميائية في فلسفة العلامة، الناشر: منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.



١٣٤. دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، الناشر: الناشر: مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الخامسة، ١٩٨٤م.
١٣٥. الدلالة والنحو، صلاح الدين صالح حسين، الناشر: مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، د.ت.
١٣٦. دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجانيّ الدار (ت ٤٧١هـ)، تح: محمود محمد شاکر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م.
١٣٧. دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من خمسين مصطلحًا نقديًا معاصرًا، ميجان الرويلي، وسعد البازغي، الناشر: الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.
١٣٨. دينامية النص، تنظير وإنجاز، محمد مفتاح، الناشر: المركز الثقافي العربي، بيروت، د.ط، ١٩٨٧م.
١٣٩. الذخيرة في علم الكلام، الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ)، تح: أحمد الحسيني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، د. ط، ١٤١١هـ.
١٤٠. ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، جار الله الزمخشري (ت ٥٨٣ هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ.
١٤١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (ت ١٢٧٠ هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
١٤٢. سوسيو لسانيات نهج البلاغة، نعمة دهش فرحان الطائي، الناشر: دار المرتضى، بغداد، د. ط، ٢٠١٣م.
١٤٣. سيكولوجية القصة في القرآن، التهامي نفرة، الناشر: الشركة التونسية للتوزيع، تونس، د.ط، ١٩٧٤م.



- ١٤٤ . السيمولوجيا بين النظرية والتطبيق، جميل حمداوي، الناشر: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د. ط، ٢٠١١م.
- ١٤٥ . السيميائيات الاصول، القواعد والتاريخ، آن اينو وآخرون، تر: رشيد بن مالك، الناشر: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، د. ت.
- ١٤٦ . السيميائيات، بيار غيرو، تر: انطوان أبو زيد، الناشر: منشورات عويدات بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٨٤م.
- ١٤٧ . السيميائيات والتواصل، نور الدين رايس، الناشر: عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.
- ١٤٨ . الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة، إسماعيل بن حماد الجوهريّ (ت٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م.
- ١٤٩ . صفوة التفاسير، محمّد عليّ الصابونيّ، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨١م.
- ١٥٠ . الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبو هلال العسكريّ، تح: محمد البجاري، محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د ط، ١٩٨٦م.
- ١٥١ . الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة الحسينيّ العلويّ (ت٧٤٥هـ)، الناشر: المكتبة العنصرية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- ١٥٢ . العبارة والإشارة، دراسة في ضوء نظرية الاتصال، محمد العبد، الناشر: مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الاولى، ٢٠٠٧م.
- ١٥٣ . علم الاجتماع العام، كمال التابعي، وعلي المكاي، الناشر: كتب عربية كوم، د. ط، ٢٠٠٧م.
- ١٥٤ . علم الأسلوب ومبادئه واجراءاته، صلاح فضل، الناشر: منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٩٢م



١٥٥. علم اللغة الاجتماعيّ، د. كمال محمد بشر، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
١٥٦. علم اللغة الاجتماعيّ، هديسون، ترجمة: محمود عياد، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م.
١٥٧. علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، الناشر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، د. ط، د. ت.
١٥٨. علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، الناشر: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
١٥٩. علوم القرآن، محمد باقر الحكيم، الناشر: مجمع الفكر الإسلامي، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣م.
١٦٠. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
١٦١. عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، حسن عبد الفتاح أحمد، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
١٦٢. فعل القراءة (نظرية في الاستجابة الجمالية)، فولفجانج إيزر، تر: عبد الوهاب علوب، الناشر: المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٠م.
١٦٣. الفكر الإسلامي، قراءة علمية، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، الناشر: المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.
١٦٤. فلسفة التواصل، جان مارك فيري، تر: عمر مهيبيل، الناشر: منشورات الاختلاف، الجزائر، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.



١٦٥. فوائد علم الأصول، محمد علي الكاظمي، (ت ١٣٦٥هـ)، الناشر: وزارة الارشاد الاسلامي، طهران، ايران، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢م.
١٦٦. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، الناشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.
١٦٧. في الأدب الحديث ونقده، علي سليم الخطيب، الناشر: دار المسيرة، عمان، الطبعة الاولى، ٢٠٠٩م.
١٦٨. في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، الناشر: بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
١٦٩. في اللسانيات المعاصرة التواصلية والتداولية ومعايير النص القرآنية، صالح هادي القريشي، الناشر: مطبعة السطور، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.
١٧٠. في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم محمود خليل، الناشر: دار المسيرة، عمان الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م.
١٧١. في سيمياء الشعر القديم، محمد مفتاح، الناشر: دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الاولى، ١٩٨٢م.
١٧٢. في ظلال القرآن، سيد قطب (ت: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٤١٢ هـ.
١٧٣. في معنى القراءة، قراءة في تلقي النصوص، الطائع الحدودي، الناشر: دار الثقافة، مطبعة النجاح الجديد، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الاولى، ١٩٩٩م.
١٧٤. قاموس علم الاجتماع، محمد عاطف غيث، الناشر: دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
١٧٥. القرآن والتلقي من الإعجاز والمجاز إلى الأسطورة والخرافة، منذر عياشي، الناشر: عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
١٧٦. القرآن وعلم النفس، عبد الوهاب خلاف، الناشر: منشورات دار الشروق، القاهرة، الطبعة السابعة، ٢٠٠١م.



١٧٧. القصص القرآني من العام المنظور وغير المنظور، عبد الكريم الخطيب، الناشر: مؤسسة دار الأصالة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.
١٧٨. قضايا الشعرية، جاكسون، تر: محمد الولي ومبارك حنون، الناشر: دار توبقال، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
١٧٩. القيم والعادات الاجتماعية، فوزية دياب، الناشر: دار الكاتب العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
١٨٠. قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية، نجيب اسكندر إبراهيم، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٢م.
١٨١. الكافي (الأصول والفروع) ثقة الاسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت ٣٢٨ / ٣٢٩ هـ) صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري ونهض بمشروعه: الشيخ محمد الاخوندي، الناشر: دار الكتب الإسلامية طهران، إيران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥ هـ.ش.
١٨٢. كبرى اليقينيّات الكونية، محمد سعيد البوطي، الناشر: دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، الطبعة الثامنة، ١٩٩٧م.
١٨٣. كتاب العين: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت ١٧٠ هـ)، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي. الناشر: مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، د. ط، د. ب.
١٨٤. الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله بن عمر الزمخشريّ (ت ٥٣٨ هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعليّ محمّد معوّض وفتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
١٨٥. الكليّات، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفويّ (ت ١٠٩٤ هـ)، تح: عدنان درويش، ومحمّد المصريّ، الناشر: مؤسّسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.



١٨٦. كيف نتعامل مع القرآن، محمد الغزالي، الناشر: دار نهضة مصر، الطبعة الأولى، د. ط، د. ت.
١٨٧. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري (ت ٩٧٥ هـ)، تح: بكري حياني - صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٩٨١ م.
١٨٨. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور الإفريقي (ت ٧١١ هـ)، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، الناشر: دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ.
١٨٩. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، الناشر: المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.
١٩٠. لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ذهبية حمو الحاج، الناشر: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، ٢٠٠٥ م.
١٩١. اللسانيات المعاصرة في ضوء نظرية التواصل، نور الدين رايس، الناشر: عالم الكتب، إربد، الأردن: الطبعة الأولى، ٢٠١٤ م.
١٩٢. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، الناشر: مركز الثقافة العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦ م.
١٩٣. اللسانيات والنقد الحديث، توفيق الزبيدي، الناشر: الدار العربية للكتاب، الطبعة الأولى، تونس، ١٩٨٤ م.
١٩٤. اللسانيات ونظرية التواصل رومان ياكسون نموذجًا، عبد القادر الغزالي، الناشر: دار الحوار للنشر، دمشق-سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.
١٩٥. اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية (١٩٧٠م-٢٠٠٠م)، ناصر يعقوب، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠ م.
١٩٦. اللغة والبيئة، عبد القادر الفاسي الفهري، الناشر: مطبعة النجاح الجديد، الدار البيضاء، منشورات الزمن، د. ط، ٢٠٠٣ م.



١٩٧. اللغة والخطاب، عمر أوكان، الناشر: أفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
١٩٨. الله والإنسان في القرآن، علم الدلالة الرؤية القرآنية للعالم، توشيهيكو إيزوتسو، ترجمة وتقديم: هلال محمد الجهاد، الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
١٩٩. مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٥م.
٢٠٠. مبادئ في الاتصال، تيسير المشاقبة، الناشر: دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، د.ت.
٢٠١. مجاز القرآن، ابو عبيدة، (ت ٢١٠هـ)، تعليق: محمد فؤاد سركين، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ.
٢٠٢. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد القاسمي (ت ١٣٣٢هـ) تح: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ،
٢٠٣. محاضرات في اللسانيات الاجتماعية، لطفي بوقرية، الناشر: معهد الأدب واللغة، الجزائر، د. ط، د. ت.
٢٠٤. محاضرات في علم الدلالة، نواري سعودي ابو زيد، الناشر: عالم الكتاب الحديث، إربد، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
٢٠٥. المحاورة مقارنة تداولية، حسن بدوح، الناشر: عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
٢٠٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، (ت ٥٤٦هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.



٢٠٧. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، (ت: ٤٥٨هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠ م.
٢٠٨. محيط المحيط: بطرس البستاني، الناشر: مكتبة عدنان، بيروت، لبنان، د. ط، ١٩٨٧ م.
٢٠٩. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت ٧١٠هـ)، حققه وأخرج أحاديثه: يوسف علي بدوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.
٢١٠. مدخل إلى اللسانيات، رونالد إوار، تر: بدر الدين القاسم، مطبعة جامعة دمشق، د. ط، ١٩٨٠ م.
٢١١. مدخل إلى علم اللغة النصي، فولجانج هاينه، تر: فالح بن شبيب العجمي، الناشر: جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، د. ط، ١٩٩٩ م.
٢١٢. مدخل إلى علم اللغة، إبراهيم خليل، الناشر: دار المسيرة، الأردن، د. ط، ٢٠١٤ م.
٢١٣. مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، الناشر: منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ م.
٢١٤. مسائل خلافية في النحو، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت ٦١٦هـ)، تح: محمد خير الحلواني، الناشر: دار الشرق العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢ م.
٢١٥. مستويات السرد في القرآن، شارف مزارى، الناشر: منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، سوريا، د. ط، ٢٠٠١ م.
٢١٦. المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي (ت ٧٧٠هـ)، الناشر: مكتبة لبنان، بيروت، د. ط، ١٩٨٧ م.



٢١٧. المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومنيك مانغونو، تر: محمد يحياتن، الناشر: منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
٢١٨. معاني القرآن وإعرابه، أبي إسحق إبراهيم بن سري الزجاج (ت ٣١١هـ)، شرح وتحقيق: عبد الجليل عبده الشلبي، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
٢١٩. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.
٢٢٠. معايير تحليل الأسلوب، ميكائيل ريفاتير، ترجمة وتقديم وتعليق: حميد الحمداني، الناشر: منشورات دراسات سال، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
٢٢١. معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
٢٢٢. المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة، الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، د. ت.
٢٢٣. معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م، كامل سلمان الجبوري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
٢٢٤. معجم التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة القاهرة، د. ط، د. ت.
٢٢٥. معجم اللسانيّة، بسّام بركة، الناشر: دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الاولى ٢٠٠٩م.
٢٢٦. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
٢٢٧. معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، الناشر: الموسوعة العربية للناشرين المتحدين، الطباعة: التعااضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس- تونس، د. ط، د. ت.



٢٢٨. المعجم المفصل في علوم اللغة، محمد التونجي، وراجي الأسمر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
٢٢٩. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمود فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، د. ط. ١٩٤٥م.
٢٣٠. معجم علم اللغة النظري، محمد علي الخولي، الناشر: مؤسسة الفلاح للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
٢٣١. معجم المصطلحات التربوية لجرس ميتشل، وحنا الله رمزي، الناشر: دار النهضة العربية للطباعة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
٢٣٢. معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، أحمد زكي بدوي، الناشر: مكتبة لبنان، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.
٢٣٣. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر للطبعة الثالثة، ١٩٧٩م.
٢٣٤. معرفة الآخر مدخل الى المناهج النظرية الحديثة، سعيد الغانمي، وعبد الله إبراهيم، وعواد علي، الناشر: المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.
٢٣٥. مغني اللبيب عن كتب الأعراب، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨٥م.
٢٣٦. مفاتيح الألسنية، جورج موانان، ترجمة الطيب البكوش، الناشر: منشورات الجديد، تونس، د. ط. ١٩٨١م.
٢٣٧. مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
٢٣٨. مفهوم النص، نصر حامد ابو زيد، دراسة في علوم القرآن، الناشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.



٢٣٩. المقاربة التداولية، أرمنيكو فرانسوا، ترجمة سعيد علوش، الناشر: مركز الإنماء القومي، الرباط، ١٩٨٦م.
٢٤٠. مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨هـ) تح: المستشرق الفرنسي أ. م. كاترمير، الناشر: مكتبة لبنان، بيروت، د. ط، ١٩٩٢م، عن طبعة باريس ١٨٥٨م.
٢٤١. الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، (ت ٧٩٠هـ)، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٢٤٢. من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة- دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة، عبد الكريم شرفي، الناشر: الدار العربية للعلوم ناشرون- الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
٢٤٣. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ)، تح: فواز أحمد زمرلي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
٢٤٤. منة المنان في الدفاع عن القرآن: محمد محمد صادق الصدر (ت ١٩٩٩م)، تح: مؤسسة المنتظر لإحياء تراث آل الصدر، الناشر: المحبين للطباعة والنشر، الطباعة: الكوثر، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
٢٤٥. المنطق الفطري في القرآن الكريم، محمد يعقوبي، الناشر: ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ٢٠٠٠م.
٢٤٦. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، الناشر: دار الكتب الشرقية، تونس، د. ط، ١٩٦٦م.
٢٤٧. مهارات الاتصال، سيف الدين، السودان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
٢٤٨. موسوعة السرد العربي، عبد الله إبراهيم، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.



٢٤٩. موسوعة القيم والأخلاق الإسلامية، إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الناشر: مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، د. ط، ٢٠٠٥م.
٢٥٠. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، تصحيح وإشراف: حسين الأعلمي، الناشر: مؤسسة الأعلمي، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
٢٥١. النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، اعتنى له واخرج أحاديثه: عبد الحميد الدخاني، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
٢٥٢. نحو جمالية للتلقي، هانس روبرت ياوس، تر: محمد مساعدي، الناشر: النابيا للدراسات والنشر، د. ط، ٢٠١٤م.
٢٥٣. نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، يحيى بعطيش، الناشر: جامعة منتوري، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
٢٥٤. النص القرآني وآفاق الكتابة، ادونيس، الناشر: دار الآداب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
٢٥٥. النص والخطاب والاتصال، محمد العبد، الناشر: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، د. ط، ٢٠١٤م.
٢٥٦. النص والخطاب والإجراء، دي بوجراد، تر: تمام حسان، الناشر: عالم الكتب، الطبعة الأولى، د. ط، ١٩٩٨م.
٢٥٧. النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي)، فان ديك، ترجمة عبد القادر قنيني، الناشر: أفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.
٢٥٨. النص وآليات الفهم في علوم القرآن دراسة في ضوء التأويليات المعاصرة، محمد الحريش، الناشر: دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
٢٥٩. النص وتفاعل المتلقي مع الخطاب الأدبي عند المعري، الناشر: منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، د. ط، ٢٠٠٥م.



٢٦٠. نظام الخطاب، ميشيل فوكو، تر: محمد سبيلا، الناشر: التنوير للطباعة والنشر، د. ط، د. ت.
٢٦١. نظرات معاصرة في القرآن الكريم، محمد حسين علي الصغير، أستاذ الدراسات القرآنية في جامعة الكوفة، الناشر: دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت.
٢٦٢. نظرية أفعال الكلام العامة-كيف ننجز الأشياء بالكلام، جون لانكشو أوستين، ترجمة، عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م.
٢٦٣. النظرية الألسنية عند رومان جاكسون دراسة ونصوص، فاطمة الطبال بركة، الناشر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٩٣م.
٢٦٤. النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، محمود عكاشة، الناشر: مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
٢٦٥. نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، الناشر: دار الشروق، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٩٩٨م.
٢٦٦. نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، بول ريكور، تر: سعيد الغانمي، الناشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الاولى، ٢٠٠٣م.
٢٦٧. نظرية التلقي - مقدمة نقدية، روبرت هولب، تر: عز الدين إسماعيل، الناشر: كتاب النادي الثقافي الأدبي، جدة، الطبعة الاولى، ١٩٩٤م.
٢٦٨. نظرية التلقي أصول وتطبيقات، بشرى موسى صالح، الناشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الاولى، ٢٠٠١م.
٢٦٩. نظرية التلقي في النقد الادبي الحديث، أحمد بو حسن، الناشر: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، د. ط، ١٩٩٣م.
٢٧٠. نظرية التلقي، خلفياتها الإستمولوجية وعلاقتها بنظريات الاتصال، غنيمة كولوقلي، الناشر: دار التنوير، الجزائر، الطبعة الاولى، ٢٠١٣م.



٢٧١. نظرية التواصل العربية: تأصيلها وخصوصيتها، إيمان سليم يوسف، الناشر: الذاكرة للنشر، بغداد ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م، الأصل: رسالة دكتوراه، وكانت بعنوان: النظرية التواصلية بين علم اللغة الحديث وجهود العلماء العرب.
٢٧٢. نظرية التواصل واللسانيات الحديثة، نور الدين رايس، الناشر: عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، ٢٠١٤ م.
٢٧٣. نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، عبد الناصر حسن محمد، الناشر: المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، د. ط. ١٩٩٩ م.
٢٧٤. نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل والإدراك، دان سبيربر، وديدي ولسن، تر: هاشم إبراهيم عبد الله الخليفة، الناشر: دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٦ م.
٢٧٥. النظرية النقدية التواصلية: حسن مصدق، الناشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م.
٢٧٦. نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت ٧٥٨)، تح: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، ١٩٩٧ م.
٢٧٧. النكت في إعجاز القرآن، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (ت ٣٨٤ هـ)، تح: محمد خلف الله، محمد زغول سلام، الناشر: دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦ م.
٢٧٨. نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٨٢٧ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
٢٧٩. الهداية الى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب الأندلسي، بو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ)، تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف: الشاهد البوشيخي، الناشر:



- مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ م.
٢٨٠. الهرمنيوطيقا والفلسفة نحو مشروع عقلي تأويلي، عبد الغني بارة، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ م.
٢٨١. الوصائل في تحليل المحادثة، خليفة الميساوي، الناشر: عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٢ م.
٢٨٢. وصف اللغة العربية دلاليًا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية دراسة حول المعنى وظلال المعنى، محمد محمد يونس علي، الناشر: منشورات جامعة الفاتح، ليبيا، الطبعة الأولى، ١٩٩٣ م.
٢٨٣. الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، يوسف تغزاوي، الناشر: عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، ٢٠١٤ م.



الرسائل والأطاريح العلمية

١. الأبعاد التداولية في توجيه الخطاب الدعوي في القرآن الكريم- مقارنة في آليات الحجاج وبلغة الإقناع، بن بوفلجة محمد الفاتح، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، ٢٠١٨م.
٢. الاتصال اللساني وآلياته التداولية في الصناعتين لأبي هلال العسكري، سامية بن يامنة، رسالة ماجستير، الجزائر، ٢٠٠٧م.
٣. أثر الوظيفة التواصلية في البنية الصرفية، الطاهر شارف، رسالة ماجستير، الجزائر، ٢٠١٣م.
٤. أساليب التعبير عن الخسران في القرآن الكريم، زينب عبد الأمير حسين القيسي، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٥م.
٥. الاستلزام الحواري في خطاب سيدنا موسى (عليه السلام) مقارنة تداولية، سولاف عكريش، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة العربي بن مهدي، ٢٠٢٠م.
٦. الاستلزام الحواري في سورة البقرة في القرآن الكريم، دراسة وصفية تحليلية تداولية، حجر نورما وحيدة، رسالة ماجستير، جامعة مولانا مالك إبراهيم، ٢٠١٠م.
٧. بلاغة الانزياح ودورها التواصلية في لزوميات أبي علاء المعري، كدار دليلة، وخياري جنات، رسالة ماجستير، جامعة العربي التبسي، ٢٠١٧م.
٨. التفكير التداولي في كتاب الحروف لأبي نصر الفارابي، بن شريط نصيرة، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، ٢٠١٧م.
٩. التواصل اللساني في كتاب سيويه للسيرافي، علي جواد كاظم الذبحاوي، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٨م.



١٠. التواصل اللغوي في الخطاب القرآني دراسة في الاستئناف البياني، العزوزي حرزولي، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر - باتنة، ٢٠١٣م.
١١. التواصل في القصص القرآني، نزيهة رويبة، أطروحة دكتوراه، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، ٢٠١٣م.
١٢. حركة الثابت والمتغير عند علماء الإعجاز القرآني، محمد عباس نهاية الجريايوي، رسالة ماجستير، كلية الدراسات القرآنية، جامعة بابل، ٢٠١٧م.
١٣. الخطاب الإشهاري عند داعش دراسة في آليات التواصل، واثق حسن مجهول، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة المثنى، ٢٠١٩م.
١٤. الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، مؤيد عبيد آل صوينت، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٩م.
١٥. الدرس النصي في كتاب أصول الفقه على ضوء لسانيات النص، خالد الرفاعي، أطروحة دكتوراه، جامعة حلب، ٢٠٠٧م.
١٦. شعر المتنبي في ضوء نظرية افعال الكلام، محمد ابراهيم هريس جواد، رسالة ماجستير، جامعة ذي قار - كلية الآداب - قسم اللغة العربية، ٢٠١٦م.
١٧. عوامل التجديد الأصولي المعاصر عرض وتحليل، نافع سعيد محمد، أطروحة دكتوراه، جامعة كربلاء، كلية العلوم الاسلامية، ٢٠٢٣م.
١٨. القراءة الحدائثية للنص القرآني في ضوء تحليل الخطاب، حكيم سلمان كريدي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠١٦م.
١٩. القيم الشخصية في ظل التغير الاجتماعي، بوعطيط سفيان، أطروحة دكتوراه، قسم علم النفس، كلية العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، الجزائر، ٢٠١٢م.
٢٠. القيم في القرآن الكريم دراسة في ضوء اللسانيات الاجتماعية، مالك طغوان ضعيف القرشي، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة واسط، ٢٠٢٢م.
٢١. المتلقي في الخطاب القرآني، بوفورمة حكيمة، أطروحة دكتوراه، جامعة مولود معمري، الجزائر، ٢٠١٠م.



٢٢. النظريات التواصلية في النصوص القرآنية، كلثوم عامر شخير، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة ذي قار، ٢٠١٨م.
٢٣. واقع الاتصال اللغوي الشفهي لمدرسي اللغة العربية في المرحلة المتوسطة ومقترحات تطويره، ستار طارش حسن، اطروحة دكتوراه، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٨م.



المجلات والبحوث

- ١- أثر معرفة صفات المخاطب في تفسير القرآن، دراسة تحليلية في ضوء عناصر الاتصال السلوكي، عبد العزيز بن جاسم المرزوق، مجلة ريادة للدراسات الإسلامية، العدد ٥، أغسطس، ٢٠٢٠م.
- ٢- استراتيجيات التواصل من اللفظ إلى الإيماءة، سعيد بنكراد، مجلة علامات، العدد ٢١، ٢٠٠٤م.
- ٣- استراتيجيات النص وآفاق التأويل، سعيد الواحد المرابط، مقاربة جمالية لمجموعة عندما يومض البرق للزهرة رميج، النقد النصي واستراتيجيات القراءة، الناشر: منشورات شعبة مختبر البحث في اللغة والآداب والتواصل، كلية المتعددة التخصصات، المجلد ١٨، العدد ١، تازة، ٢٠١٨م.
- ٤- الاستلزام الحواري عند بول جرايس (المفهوم والمقومات)، سمية عامر، بحث منشور في مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، مجلد ٢، العدد ٣، ٢٠١٩م.
- ٥- الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني، مقاربة تداولية في آيات من سورة البقرة، عيسى تومي، مجلة إشكالات في اللغة والآداب، مجلد ٨، العدد ١، ٢٠١٩م.
- ٦- الاستلزام الحواري في آيات التوحيد، مبدأ الكم أنموذجاً، سارة كاظم عبد الرضا مقال منشور على النت، بوابة الإمام الحسين (عليه السلام) الإلكترونية، العتبة الحسينية المقدسة.
- ٧- أفق النقد الأدبي العربي في بناء استراتيجية للتلقي، شكري عزيز الماضي، أعمال المؤتمر الدولي الثاني للنقد الأدبي، القاهرة، نوفمبر: ٢٠٠٠م.



- ٨- تحليل الخطاب في اللسانيات الحديثة (المقاربة التداولية نموذجاً)، عباس محمد أحمد، جمال الدين ابراهيم عبد الرحمن، بحث منشور، في مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، المجلد ٢، العدد ١٠، أكتوبر، ٢٠١٠م.
- ٩- تداوليات التخاطب عند ميخائيل باختين، محمد الحريش، مجلة كلية الآداب، تطوان، جامعة عبد الملك السعدي، العدد ٩، ١٩٩٩م.
- ١٠- التفاعل بين النص والقارئ، فولغانغ أيزر، يحيى حاج يحيى، مجلة دراسات سيميائية أدبية، الدار البيضاء، المغرب، العدد ٨، ٢٠٠٩م.
- ١١- التقنيات البلاغية في التواصل اللساني وأبعادها التداولية، يوسف تغزاوي، مجلة الكلمة، العدد ٦٧، تشرين الثاني، ٢٠١٢م.
- ١٢- التلقي عند عبد القاهر الجرجاني، الأستاذ عبد العزيز جابا الله، والأستاذة محجوبة البفور، مجلة الباحث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، مراكش، المغرب، العدد ١٣، لسنة ٢٠١٣م.
- ١٣- التواصل الحضاري، عيسى الطيب طيبي، مقال، على موقع المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، تاريخ ١٠/٦/٢٠١٠م
- ١٤- جمالية التلقي، افتراضات يالوس وأيزر، سميرة حدادي، مجلة الآداب، مجلد ١٧، العدد ١، ٢٠١٧م.
- ١٥- دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم مقارنة تداولية، بوفرومة حكيم، جامعة محمد بو ضياف، المسيلة، الناشر: دار الأمل، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزلي، العدد الثالث، ٢٠٠٨م.
- ١٦- علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة، صلاح فضل، مجلة فصول، المجلد ٧، العدد ١، مصر، ١٩٨٤م.
- ١٧- فلسفة التواصل عند هابرماس، سالم يفوت، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية.



- ١٨- قراءة القرطاجني في ضوء نظريات تحليل الخطاب الحديثة، خليفة الميساوي، بحث منشور في الندوة الدولية الثانية، قراءة التراث الأدبي واللغوي في الدراسات الحديثة، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، ٢٠١٤م.
- ١٩- قضايا التداولية في الخطاب القصصي القرآني، قصة سيدنا يوسف أنموذجاً، إيمان جربوعة، جامعة قسطنطينية، الجزائر، جامعة الملك سعود، الندوة الدولية الثانية، قراءة التراث الأدبي واللغوي في الدراسات الحديثة، ٢٠١٤م.
- ٢٠- القيم بين الرؤية الإسلامية والرؤية الغربية المنهج المعرفي القرآني، طه جابر العلواني، المحاضرة الافتتاحية لدورة القيم، مركز الحضارة للدراسات السياسية، القاهرة، ٦ فبراير، ٢٠١٠م.
- ٢١- اللسانيات بين لغة الخطاب وخطاب الأدب، عبد السلام المسدي، مجلة الاقلام، العدد ٩٠، بغداد، ١٩٨٣م.
- ٢٢- اللغة الدينية بين السلطة والمعنى، وجيه قانصو، مجلة قضايا اسلامية معاصرة، العدد (٦٥-٦٦)، ٢٠١٦م.
- ٢٣- مدخل للتعريف باللغة، ادوار سابير، ضمن كتاب اللغة والخطاب الأدبي (مقالات لغوية في الأدب) مجموعة مقالات اختارها وترجمها سعيد الغانمي.
- ٢٤- المعنى عند عبد القاهر الجرجاني في ضوء فكرة التواصل، صلاح كاظم هادي، مجلة الباحث الإعلامي، بغداد، العدد (٢٤-٢٥)، ٢٠١٤م.
- ٢٥- مفهومات نظرية القراءة والتلقي، خالد علي مصطفى، ربي عبد الرضا عبد الرزاق، مجلة ديالى، العدد ٦٩، ٢٠١٦م.
- ٢٦- من التلقي الجمالي إلى التلقي الاقناعي سورة يوسف أنموذجاً: فالح عبد الله شلاهي، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد ٣٤ في ٢٠١٩/٧/١م.
- ٢٧- من سلطة النص إلى سلطة القراءة، فاضل تامر، الفكر العربي المعاصر، العدد ٤٨-٤٩، ١٩٨٨م.



- ٢٨- نظرية الاستلزام الحوارية، المفهوم والمبادئ، ريمة كبش، مجلة الخليل في علوم اللسان، المجلد ١، العدد ١، ٢٠٢١م.
- ٢٩- نظرية التلقي وأطروحاته، الشريف مرزوق، بحث منشور في جامعة أم البواقي، الجزائر مجلة النص المجلد ٧، العدد ١٠، السنة ٢٠٢١م.
- ٣٠- نظرية التواصل المفهوم والمصطلح، رضوان القضاوي، وأسامة العكش، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العملية، مجلد ٢٩، العدد ١، ٢٠٠٧م.
- ٣١- نظرية التواصل في رسائل الجاحظ في ضوء نظرية جاكبسون، محمود كاظم موات، مجلة الجامعة العراقية، المجلد ٢، العدد ٣٧، ٢٠٢١م.
- ٣٢- نظرية التواصل في ضوء اللسانيات الحديثة، محمد الركيك، مجلة علامات، كلية الآداب، تازة العدد ٢٣.
- ٣٣- نظرية التواصل وأبعادها في الدرس اللغوي العربي، دليدار غفور ونشأت علي، مجلة كوفاري زانكو، المجلد ١٨، العدد ١، ٢٠١٤م.
- ٣٤- نظرية التوصل، جونييف شوفو، تر: ابراهيم اولحيان، مجلة فكر ونقد، العدد ٣٦، ٢٠٠١م.



Abstract

The Holy Qur'an is the first book of Islam, and the communicative experience is an experience that reflects an interaction between the Holy Qur'an to prove the miraculous impact that characterizes it.

The Holy Qur'an since its revelation to the present day, as the Holy Qur'an is able to prove its existence and obtain its acceptability through its linguistic system and intellectual content, and this establishes its communicative miracle, through which it has proven its difference from other texts.

This influence on the recipient would not have been without the interaction that the Holy Qur'an creates between him and the recipient and makes him sing to him, and this interaction and influence is the product of mechanisms used by the Holy Qur'an; The ideal model of communicative theory.

The interactive approach with which the Holy Qur'an initiated its message has an advantage. communicative relate to the recipient, to involve him in understanding his strategies through interpretation, and invites him to be a party to the verbal reaction held by the speech The Qur'anic with its recipient, by inviting him to contemplate, contemplate and realize the mind, to understand his In a framework in which the speech interacts with the recipient, and moves it within a framework Quranic discourse, and this trend of interaction is unique to the Holy Qur'an from other discourses, and this



uniqueness rises to the level of miracle represented in the communication of the Holy Qur'an, and the communicative miracle is the one that brought about a change in the behavior of the recipient of the message and this is the purpose of the miracle; It was provoked by those who interacted with him and had an impact on changing the intellectual and cognitive system of the recipient, and then changing the behavior of the recipient.

The Qur'anic discourse is different and divergent from other creative discourses, through its infinite communicative uniqueness, and this revolves around the epistemological foundations of communication theory, as the Qur'anic discourse is a communicative discourse par excellence.

The Qur'anic values emerge in different fields characterized by their communicative miracles, they are based on fixed foundations that do not cease from them, they are based on logical evidence, as well as their emotional impact, and the goal that they seek, which is the liberation of the human mind and thought based on solid intellectual foundations, not based on previous knowledge, but based on creativity and excellence, these values were not present in human thought before the revelation of the Holy Qur'an, and this is what made these values prove the communicative miracle of the Holy Qur'an.



Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kerbala College of Islamic Sciences
Department of Quranic Studies and Jurisprudence

((The Communicative Miracle in the Holy Quran: An Authentic Study))

**A thesis submitted to the Council of the College of Islamic
Sciences/University of Kerbala, which is part of the requirements for
obtaining a doctorate degree
in Philosophy of Sharia and Islamic Sciences.**

Written by a student

Hassan Falih HabrSupervisor

Prof. Dr Hakmat Obaid Al-Khafaji

1446 AH

2025 AD